الدكتور عدنان علي رضا محمد النحوي

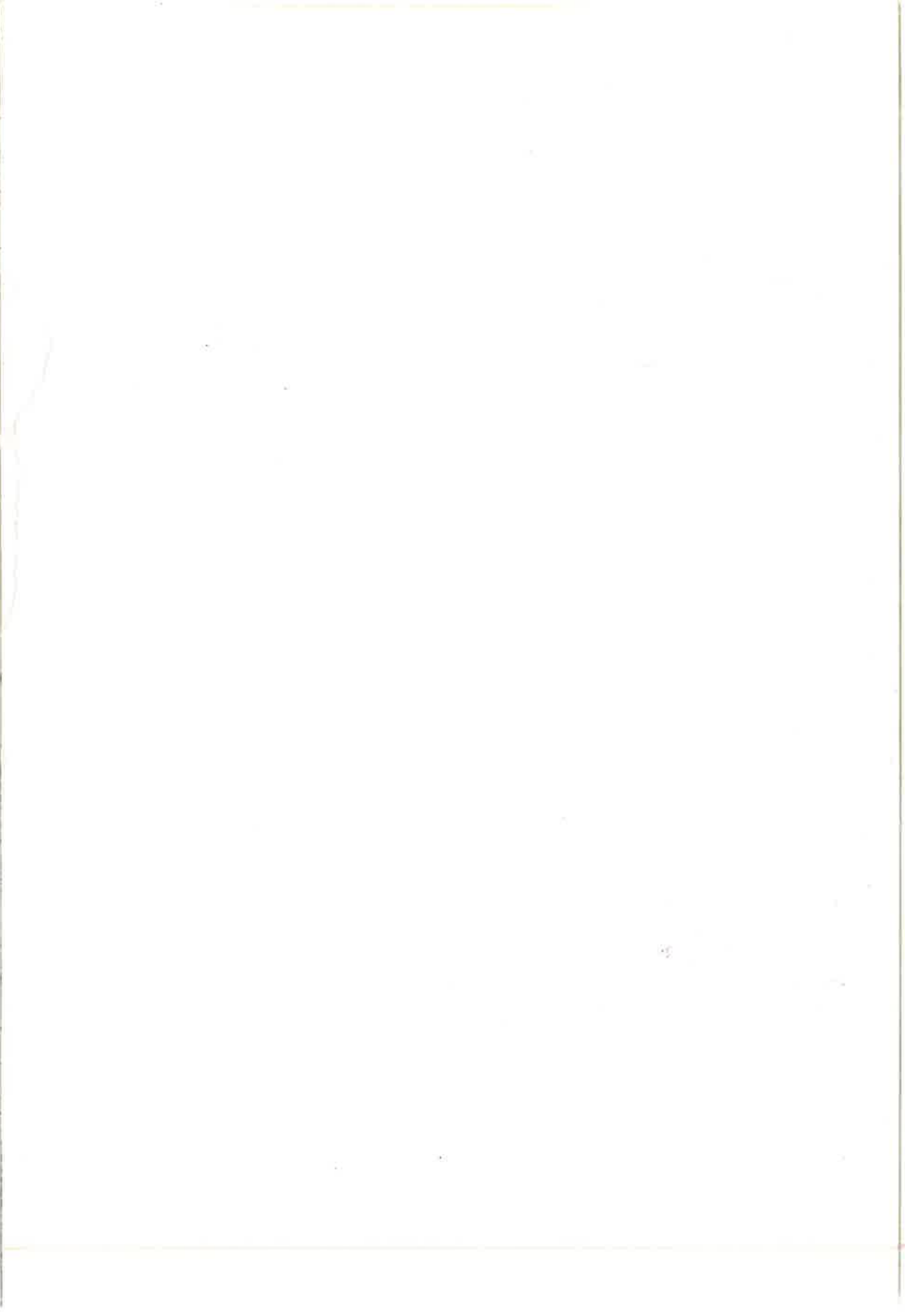
مصارحة ونصيحة

مراجعات دعوية ووقفات إيمانية



الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار النحوي
للنشر والتوزيع



إلى
لقاء المؤمنين
وبناء الجيل المؤمن

مصارحة ونصيحة

مراجعات دعوية ووقفات إيمانية

الدكتور
عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار النحوي
للنشر والتوزيع


دار النحوي للنشر والتوزيع ، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النحوي ، عدنان بن علي بن رضا بن محمد النحوي

مصارحة ونصيحة - مراجعات دعوية ووقفات إيمانية

عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي - الرياض ١٤٢٩هـ

٢٥٥ص ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ١-٥-٩٩١٣-٩٩٦٠-٩٧٨

١- الدعوة الإسلامية - العصر الحديث ٢ - الوعظ والارشاد

أ - العنوان

ديوي ٢١٣ ٢٨١٣ / ١٤٢٩هـ

رقم الإيداع : ٢٨١٣ / ١٤٢٩هـ

ردمك : ١-٥-٩٩١٣-٩٩٦٠-٩٧٨



الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م



دار النحوي للنشر والتوزيع
هاتف : ٤٩٢٤٣٣٩ - فاكس : ٤٩٣٤٨٤٢
موقع الانترنت : www.alnahwi.com
البريد الإلكتروني : info@alnahwi.com
ص . ب : ١٨٩١ الرياض : ١١٤٤١
المملكة العربية السعودية



موقـع

" لقـاء المؤمنــين "

على الشبكة الدولية للمعلومات

www.alnahwi.com

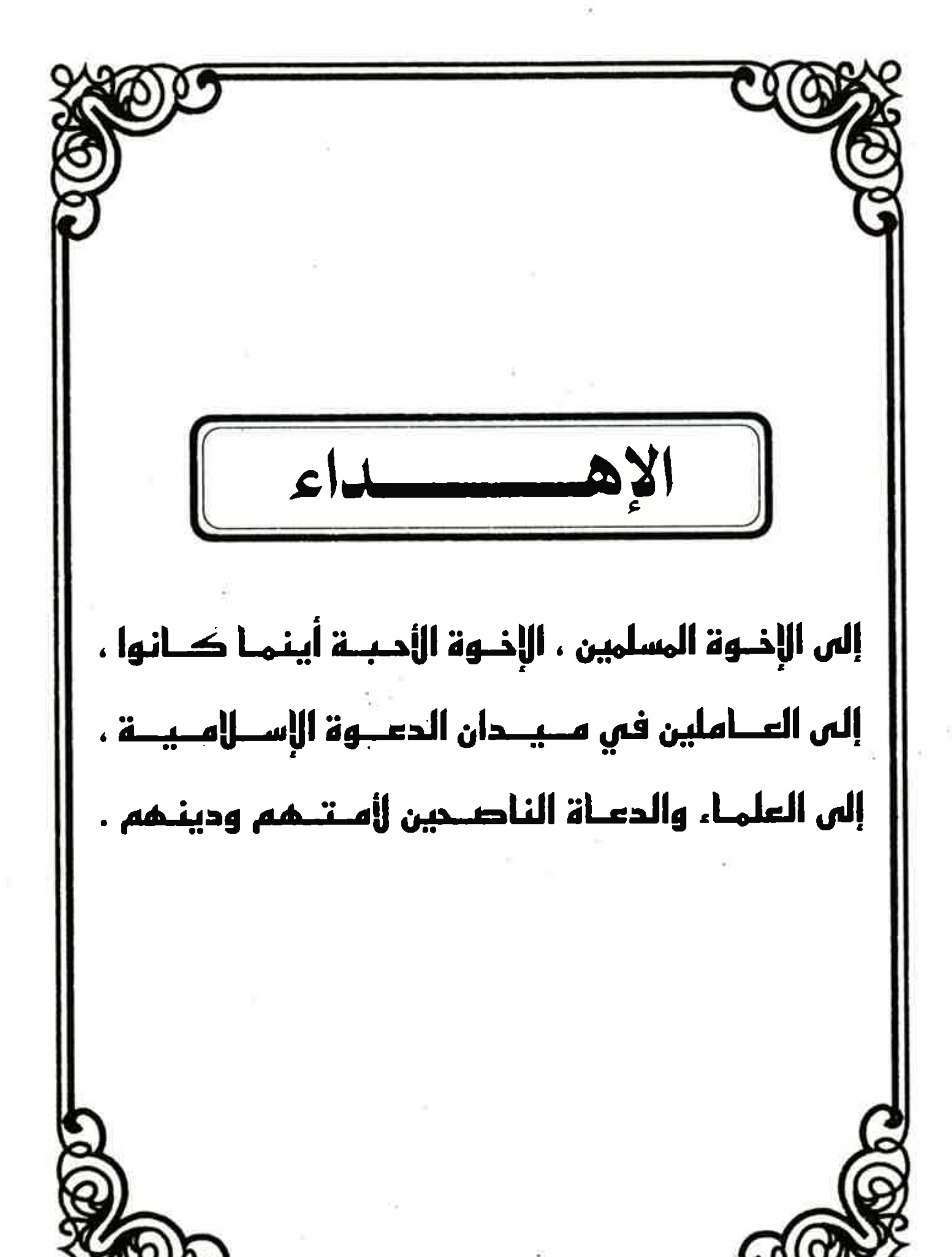
يهـدف هذا الموقع إلى المساهمـة مع المواقع الإسـلاميـة الأخرى وجهـود العـاملين إلى بناء الجيل المؤمن وبناء الأمة المسلمة الواحدة التي تكون فيها :

كلمـة الله هـي العليـا

نـأمل التـلطف بـزيارة هـذا الموقـع وإبداء مـــلاحظـاتكـم ونصائحكم على البريد الإلكتروني :

info@alnahwi.com

كما يسرنا دعوة إخوانكم وأصدقائكم لزيارة الموقع .



الإهداء

إلى الإخوة المسلمين ، الإخوة الأحبة أينما كانوا ،

إلى العاملين في ميدان الدعوة الإسلامية ،

إلى العلماء والدعاة الناصحين لأمتهم ودينهم .



الافـــتـــتـــاح

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص: ٨٣]

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥]

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨]

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٩]

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ :

(بلغوا عنِّي ولو آية) [رواه أحمد والبخاري والترمذي]



كلمـات مضيئـة

للدكتور عدنان علي رضا محمد النحوي

بنــاء الإنســـان

إن بناء عمارة مهما عظمت يسهل إذا قيس ببناء الإنسان على قواعد الإيمان والتوحيد وعلى قواعد المنهاج الرباني وفق التوجيه النبوي . فتلك مهمة يقوم بها المهندسون والفنيون ، أما بنـاء الإنســان وإعداده وتدريبه فهي مهمة بعث الله من أجلها الرسل والأنبياء الذين خُتموا بمحمد ﷺ ، ثم جعلها مهمة الأمة المسلمة الواحدة الممتدة مع الزمن ، عَلى أساس من المنهاج الربّاني - قرآناً وسنة ولغة عربية -.

* * *

حقُّ التعـاون بين المؤمنين ووجوبه

يجب أن نتعاون فيما أمر الله أن نتعاون فيه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما أذن الله أن نختلف فيه .

* * *

خافوا على أنفسكم

أيها النـاس ! أيها المسلمون ! أيها الدعاة ! كما تظهرون الخوف على الإسلام ، مع أنَّ للإسلام ربّاً سينصره بجنود ينصرون الله ربهم ويوفون بعهدهم معه ، فخافوا على أنفسكم حين تقفون بين يدي الله، يسألكم عما فعلتم في الحياة الدنيا ، وهل نصرتم الله كما أمركم وتجنبْتُم الفتن التي نهاكم عنها ، والصراع والشقاق وتنافس الدنيا ؟ ! خافوا على أنفسكم كما تخافون على الإسلام .

* * *

إذا غاب النهج والتخطيط

إذا غـاب النهج والتـخطيط على أسـاس الإيمان والتـوحيد والمنهـاج الرباني في واقع أيّ أمّة ، فلا يبقى لديها إلا الشعارات تضج بها ولا تجد لها رصيداً في الواقع إلا مرارة الـهزائم وتناقض الجهود واضطراب الخطا ، ثم الشقاق والصراع وتنافس الدنيا في الميدان ، ثم الخدر يسري في العروق ، ثم الشلل ، ثم الاستسلام !

* * *

فـريقــان
فريق له نهجه وخطته وفريق لانهج له ولا خطة

إذا التقى فريقان : فريق له نهجه وخطته ، فعرف بذلك دربه ومراحله وأهدافه ، فنهض وصدق عزمه لها ، وفريق لا نهج له ولا خطة إلا الشعارات يُدَوِّي بها ، فإن الفريق الأول بنهجه وتخطيطه يستطيع أن يحوِّل جهود الفريق الثاني لصالحه ، فيجني النصر ، ويجني الآخر الهزيمة والخسران والحسرة .

* * *

الأهداف الربانية وتحقيقها

إن الأهداف الربانيـة لا يمكن تحقيقهـا إلا بجنود ربانيين ووسائل وأساليب ربانية . وهذه وتلك تحتاج إلى بناء وإعداد رباني .

* * *

العـاجـز

من عَجَزَ عن إصلاح نفسه فهو أعجز عن إصلاح غيره أو إصلاح المجتمع . كم من الذين ينادون بالإصلاح والتغيير هم أحوج الناس إلى الإصَلاح .

* * *

تَقبُّل النصيحة

من سدَّ أذنيه عن النصيحة فَقَدَ فرصة عظيمة لمعرفة أخطائه ، وفرصة أعظم لمعرفة سبيل الإصلاح والعلاج ، وتعرَّض أكثر للمتاهة والضلال .

* * *

اتباع الحقِّ لا الهوى

إن الهوى لا يُصْلِحُ بل يفسد ويدمِّر ، وإن اتّباع الحق هو سبيل الإصلاح للفرد والأسرة والجماعة والأمة ، وكذلك للبشرية كلها .

* * *

من صدق الله نجا

بين الحق والهوى باب ابتلاء وتمحيص . من صدق الله نجا ودخل إلى الحق ، ومن ضلَّ هلك ودخل إلى الهوى .

* * *

تكامل الإسلام
وتكامل الدعوة إليه

ليس من الحكمة أن نكتفي بإعلان مبادئ الرحمة والعفو والتسامح والسلام في الإسلام ، حين يكون مثل هذا الإعلان مظهراً من مظاهر الضعف والهوان والاستسلام أو يوحي به . ولكن الحكمة والواجب أن نُظْهِرَ تكامل الإسلام من عفو وتسامح ، ومن عقوبة وحزم ، ومن سلام وحرب ، ومن حكمة وتشريع ، ومن إيمان وتوحيد .

* * *

أين تبتدىء المعركة

إن المعركة مع أعداء الله تبتدئ أولاً في نفسك أيها الداعية المسلم ، فإن انتصرت فيها ، فيمكن الانتقال إلى جولة بعد جولة ! وإن هزمت بها فستُهزَم في سائر المعارك ! وتظل هذه المعركة ممتدَّة مع المسلم حياته كلها حتى يلقى الله .

* * *

الحَيْدُ عن الصراط المستقيم

إنَّ الله سبحانه وتعالى جعل صراطه الحقَّ مستقيماً وواضحاً ، حتى لا يَضلَّ عنه أحد. وجعله سبيلاً واحداً حتى لا يُخْتَلَفَ عليه، وجعله صراطاً مستقيماً ليجمع المؤمنين أُمَّةً واحدة وصفّاً كالبنيان المرصوص.فلماذا تاه المسلمون عنه فتَفَرَّقوا، واختلفوا عليه فتَمزَّقوا، ثمَّ ضَعُفُوا وهانوا ؟!

عن أبي الدرداء : خرج علينا رسول ﷺ ونحن نذكر الفقر ونتخوّفه فقال : «الفقر تخافون ؟ والذي نفسي بيده لتُصَبَّن عليكم الدنيا صباً حتى لا يزيغ قلب أحد منكم إلا هيِه . وأيم الله ، لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء»

[ابن ماجه : المقدمة . أحمد المسند ٤/ ١٢٦] .

* * *

حتى يفيقوا أو يهلكوا

وكلَّما توانى المؤمنون عن الوفاء بالعهد والتزام الحقِّ والدعوة الصافية في صفٍّ واحد كالبنيان المرصوص ، أنزل الله بهم البلاء والعقاب والعذاب ، حتى يستيقظوا أو يهلكوا .

* * *

أخوة الإيمان
عاطفة ومسؤوليات

إن أُخوّة الإيمان ليست عاطفة فحسب ، ولكنَّها مسؤوليات وواجبات ، وحقوق والتزام ، لاتسقط حتى لو تغيَّرت العاطفة . إنَّها رابطة المؤمنين في الأرض جميعاً ، رابطة يجب الوفاء بها . إنها رابطة ربَّانيّة أمر الله بها المؤمنين جميعاً ، حتى يكون الولاء الأوَّل لله ، والعهد الأوَّل مع الله ، والحب الأكبر لله ورسوله . وبغير ذلك لاتتحققُ أخوة الإيمان .

* * *

لو حقق المسلمون
أخوّة الإيمان في واقعهم

لو أنَّ المسلمين حققوا في واقعهم "**أُخوة الإيمان**" كما أمر بها الله سبحانه وتعالى ورسوله محمد ﷺ لأنزل الله نصره عليهم ولسادوا العالم ! ولأعزّ الله الجميع !

* * *

أخوة الإيمان
والولاء الأول لله
والعهد الأول مع الله وحده
والحبّ الأكبر لله ولرسوله.

لاتصدق أخوّة الإيمان في ميدان الممارسة والتطبيق إلاّ إذا كان الولاء الأول لله وحده دون شرك ، والعهد الأول مع الله وحده ، والحَبُّ الأكبر لله ولرسوله ، ثمَّ يَنبع كلُّ ولاء وعهد وحبٍّ في الحياة الدنيا من الولاء الأوّل والعهد الأول والحبّ الأكبر .

* * *

كلمة المؤمن
صادقة طيبة

كلمة المؤمن طيّبة ، قويّة ، واعية ، لاتنحرف عن الصراط المستقيم . إنها بركةٌ للناس ، ونورٌ في الحياة ، وسلاح في الميدان . وهي أساس حرّيّة الرأي ، وأساس النصيحة ، وقاعدة الشورى متى ما أدركها الإنسان المؤمن عاش في ظلها تقياً نقياً سعيداً .

* * *

الخلل فينا والأخطاء منّا

لايختلف مؤمنان في أنّ كلّ مايجري في الكون والحياة ، من أمر صغير أو كبير ، هو بقضاء الله وقدره : قضاءً نافذاً ، وقدراً غالباً ، وحكمةً بالغةً ، وحقاً لا ظلم معه أبداً . ومن هنا وجب علينا شرعاً أن ننظر في أنفسنا ، في واقعنا ، فالخلل فينا ، والأخطاء منا ، والتقصير جلي كبير ! .

* * *

أيها المسلم !
إنّك مسؤول ومحاسَب

إنك مسؤول أيها المسلم ، وإنك محاسَب ، ولايغرنّك أن تقول لنفسك إنَّ المسؤولين هم العلماء والدعاة وحدهم . نعم إنهم مسؤولون ومحاسَبون وإنك مسؤول ومحاسَب . ولاتنفع الندامة والحسرة يوم القيامة ! فانهض إلى مسؤوليَّتك أيها المسلم .

* * *

منهاج الله ودراسته
وتدبّره وممارسته في واقع الحياة

أيها المسلم ! لاتكن كالميت بهجرك دراسة منهاج الله وتدبّره وممارسته في واقع الحياة ، فاطلب الحياة والنور ، والهداية والفلاح بذلك ، والقاعدة لذلك :

* أن تكون دراسة منهاج الله - قرآناً وسنة ولغة عربية - منهجيّة يوميًا.

* وأن تكون صحبة عمر وحياة لاتتوقف أبداً ، حتى يلقى المسلم ربّه !

* أن يتدرَّب المسلم على رد الواقع بأحداثه وأفكاره إلى منهاج الله ردّاً أميناً ، ليصاحب ذلك دراسة منهاج الله .

* * *

التَزِمْ النَّهج الإيماني للتفكير

أخي الكريم ! أيها المسلم ! إن الله سبحانه وتعالى خلقنا على فطرة سليمة ، ووهبنا القدرة على التفكير ، فأول مانطلبه ونوصي به هو أن نُفكّر ، أن نفكر التفكير الإيماني ، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالتفكير على نهجٍ إيمانيٍّ ونور وهداية بآيات كثيرة .

* * *

الفقه في الإسلام

الفقه في الإسلام يقوم على ركنين : المنهاج الرباني - قرآنا وسنة ولغة عربيّة - ، والواقع . فلا يوجد فقه خاص يسمى "**فقه الواقع**" ، فالفقه كله قائم على الواقع والمنهاج الرباني .

* * *

الفقه وامتداده وحدوده

كل مسلم مكلّف أن يجتهد فيما هو ضمن مسؤوليته الشرعية وحدود اختصاصه ووسعه وعلمه ، مما سيحاسب هو عليه يوم القيامة ، دون أن تتعطل الاستعانة بإمكانات المجتمع ، أو الشورى ، على أن يهيئ المسلم نفسه للمسؤوليات المكلّف بها ، ويتزوّد لها بالزاد الحق .

* * *

المسـؤوليّة والفقـه

لافقه دون وفاء بالمسؤولية ، ولا وفاء بالمسؤوليّة دون فقه .

* * *

العصبيات الجاهلية والدعوة الإسلامية

إن العصبيات الجاهلية التي حرّمها الإسلام عقبة كبيرة أمام قيام الدعوة الإسلامية الواحدة في الأرض . وإن هذه العصبيات الجاهلية ثمرة تمكُّن الأهواء والمصالح الشخصية المادية الدنيوية في النفوس ، بعيداً عن تصور الدار الآخرة . ومن أخطر أشكال هذه العصبيات الجاهلية ما يلي :

- **عصبية الإنسان لنفسه وهواه على غير حق ودعماً للباطل !**
- **العصبية العائلية على غير حق ودعماً للباطل !**
- **العصبية الحزبيّة التي يفسد فيها الولاء وتتمزّق بها الأمة .**
- **العصبية الوطنية والإقليمية والقومية على غير حق ودعماً للباطل .**

* * *

من أسس الإيمان والتوحيد

إن من أسس الإيمان والتوحيد التبرُّؤ من العصبيات الجاهلية كلها ، ليكون الولاء الأول لله وحده ، والعهد الأول مع الله وحده ، والحبُّ الأكبر هو لله ورسوله ، لينبع كل ولاء وموالاة في الدنيا من الولاء الأول لله ، وكل عهد في الدنيا من العهد الأول مع الله ، وكل حبّ في الدنيا من الحبّ الأكبر لله ورسوله . فتقوم بذلك أخوة الإيمان ، وتقوم الأمة المسلمة الواحدة ، وتقوم الدعوة الإسلامية الواحدة في الأرض .

* * *

الدعوة الإسلامية واحدة

إن الله سبحانه وتعالى واحد ، وإن الدين عند الله واحد هو الإسلام ، وإن أمّة الإسلام واحدة ، فيجب أن تكون الدعوة الإسلامية في الأرض واحدة على نهج واحد ومنهج رئيس واحد .

* * *

منهج
الدعوة الإسلامية الواحدة ونهجها

يجب أن يكون للدعوة الإسلامية الواحدة في الأرض منهج تفصيلي تطبيقي واحد ، ونهج على الصراط المستقيم واحد . ويجب أن ينبع المنهج والنهج من : أسس الإيمان والتوحيد ، ومن منهاج الله ـ قرآناً وسنة ولغة العربية ـ ، ومن مدرسة النبيّ الخاتم محمد ﷺ ، ليُلَبّي حاجة الواقع الذي يمرّ به المسلمون .

* * *

نهج
مدرسة لقاء المؤمنين
وبناء الجيل المؤمن

ونظرياتها العامة ومناهجها التطبيقية
ووسائلها وأساليبها ودراساتها المفصلة
وأهدافها المحدّدة ونظامها الإداري

إننا نقدمُ **نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل بكامل** أجزائه المترابطة ليكون أساس **لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن** ، نابعاً من المصادر الثلاثة : أسس الإيمان والتوحيد ، **منهاج الله ـ قرآناً وسنة ولغة عربيّة ـ ومدرسة محمد** ﷺ ، ملبياً لحاجة الواقع .

* * *

جوهر
الدعوة الإسلامية الواحدة

إن جوهر الدعوة الإسلامية الواحدة هو تبليغ رسالة الله إلى الناس كافّة . كما أُنْزِلَتْ على محمد ﷺ وتعهّدهم عليها تبليغاً وتعهُّداً منهجيّين ، حتى تكون كلمة اللهِ هي العليا في الأرض .

* * *

تبليغ الدعوة كما أُنْزِلَتْ من عند الله
فرضٌ على المسلمين
وتكليف من عند الله

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨]

* * *

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥]

* * *

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣]

* * *

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٩]

* * *

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٢، ٢٣]

* * *

﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾
[الجن: ٢٨]

* * *

﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾
[إبراهيم: ٥٢]

* * *

﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ [يس: ١٧]

* * *

وفي الأحاديث الشريفة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ قال:

(بلّغــوا عنّــي ولو آيــة ......)[1]

* * *

المسؤوليـة
عن تبليغ هـذه الدعـوة

إنهـا مسؤولية المسلمين جميعاً، كلٌّ قدر وسعه الصادق الذي وهبه الله له والذي سيحاسَب عليه يوم القيامة، بعد أن يتزوَّد بالزاد الرئيس الضروري: من

(١) رواه أحمد: المسند ٢/ ١٥٩، ٢٠٢، ٢١٤، الفتح: ١/ ١٧٧، الترمذي: ٤٢/ ١٣/ ٢٦٦٩، صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم: (٢٨٣٧).

صفاء الإيمان ، وصدق العلم بمنهاج الله - **قرآناً وسنة ولغة عربية** - ، ووعي الواقع من خلال منهاج الله .

* * *

أيها المسلم انهض وتزوّد بالزاد الحق ، وانزل ميدان الدعوة في صف واحد كالبنيان المرصوص ، وبلغ رسالة ربك كما أُنزلت على محمد ﷺ إلى الناس كافة وتعهّدهم عليها ، وساهم في بناء لقاء المؤمنين والجيل المؤمن ، ومن ثمّ بناء الأمة المسلمة الواحدة ، حتى تكون كلمة الله هي العليا في الأرض .

* * *

إلـهـــي ..!

إلهي ! فَمَنْ للْمُسْلمينَ وَقَدْ غفَـواْ ... وما أَيَقظَتْهُـمْ آيـةٌ وَمَـصَاحِـفُ
إلهي ! أعنَّا واسكُـب النُّـور بَيْننا ... بأَفْئـدَة ضَاقَـت علَيْها المَصَـارفُ
وأَلِّـفْ قُلوباً فـرَّق الحقْـدُ بَينها ... وقَـدْ يَجْمعُ الأضْدَادَ يـوماً تآلـفُ
وَهَبْنَـا يقينـاً في القُلـوبِ لَعلَّنَـا ... نَهُـبُّ إلى سَـاحَـاتنـا ونُشـارفُ
وأَنْزل علَيْنا رَحْـمـةً تغسـل الذي ... نَـهُـمُّ بـه من مـأثَـمٍ ونُقَـارفُ
ونَنْـزعُ عَنْ آثامنـا ، علَّ تَوبَـةً ... يُفـيـقُ بهَـا لاَهٍ عن الأمْـرِ عـازفُ
فَتدْفُقُ في المَيْـدَان منّـا جَحافـلٌ ... يَمُوجُ بِهَـا شَاكي السّلاحِ وعاطـفُ
ونَحْمـلُ للدّنيـا رِسَالـةَ ربِّنـا ... نُخاصـمُ في هَدْيِ لهـا ونُعَاطـفُ
ونَمْضي بهَـا صفّـاً كَـأَنَّ جُنـودَه ... قـواعـدُ بنيـان ، فَـداعٍ وزَاحـفُ
فَتُنْزِلُ نَصْـراً يا إلهـي ورَحْـمَـةً ... إذا صحَّ عَـزْمٌ في الميادين عـاكـفُ

* * * * *







الباب الأول

لمحة سريعة عن الدعوة إلى الله ورسوله

في واقعنا اليوم

مصارحة ونصيحة








التمهيد

يمُر المسلمون جميعهم بظروف قاسية وفواجع ونكبات ، ومجازر وويلات ، ويتحرَّك المسلمون على تفرّقهم ، يحاول كل فريق أن ينجو ممّا يلاقيه . ولكن الحقيقة أن الأزمات تشتدُّ وتتّسع ، والنكبات تتوالى في : فلسطين ، والصومال ، وكشمير ، والفلبين ، والشيشان ، ولبنان ، والعراق ، وأفغانستان ، وامتدت إلى باكستان وغيرها ، ولا ندري إلى أين ستمتد بعد ذلك ! ولا نرى أحداً نجا .

إنه لأمر واضح كل الوضوح ، أن هذه الأزمات والغزوات والفواجع تحرّكها أصابع مجرمة وأياد فتاكة ، وغفلة وهوان من المسلمين أنفسهم ، وخلل في مسيرتهم . ومع هذا الوضوح لا تكاد ترى من يقف وقفة إيمان وحق على ميزان حقٍّ أمين ليدْرس حقيقة الأسباب التي أدّت بنا إلى هذا الهوان . غابت الدراسات الأمينة ، وغابت النصيحة الصادقة ، وغلبت المجاملات والشعارات لتخفي في داخلها ألواناً شتى من الكذب والخداع والمراء ، ليدافع كلٌّ عن نفسه ويثبّتها في الساحة في أجواء المصائب كأنه بطل مغوار ، يطلب الدنيا وزينتها ، ويغلّف ذلك بشعار الإسلام ، وحينا ينكشف الغطاء ، فيستبدل به غطاء الديمقراطية أو العلمانية أو الإنسانيّة ، أو القومية ، أو الإقليمية ، ولكن لا تكاد تجد الصرخة المدوّية باسم الإسلام الحق كما أنزل على محمد ﷺ ، وإن ظهر صوت فسرعان ما يغيب بين طوفان الضجيج وأهوال المآسي .

نؤكد أولاً وقبل كل شيء أن الأمر كله لله ، يقضي به وحده ، وأنه لا تتمّ صغيرة ولا كبيرة في هذا الكون كله ، مما نعلمه ومما نجهله ، إلا بعلم الله وقضائه وقدره . ونؤكد ثانياً أن قضاء الله كله حقٌّ وعدلٌ لا ظلم معه أبداً . فما يقع فينا نحن المسلمين هو بقضاء الله الحق العادل الذي لا ظلم معه أبداً . فالخلل إذن فينا نحن المسلمين . ولقد أكدنا هذه الحقائق الرئيسة في أكثر من كتاب ودراسة وبحث ، واتصال وتذكير !

إنه قضاء نافذ . وقدر غالب وحكمة بالغة .

وكلّ ذلك كنا نقدّمه مدعّماً بالآيات البيّنات من القرآن الكريم ، والأحاديث الصحيحة من سنة الرسول ﷺ ، حتى لا يبقى شكٌّ ، وحتى تسدَّ أبواب الأهواء والمصالح الذاتية المتصارعة !

إن المعركة الحقيقية في التاريخ البشري كله هي معركة الإيمان ضد الكفر في الأرض . ولذلك بعث الله في كلّ أمة في التاريخ البشري رسلاً مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب والميزان :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾

[النحل: ٣٦]

﴿ . . . . وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) ﴾ [فاطر: ٢٤]

وبعث الله محمداً ﷺ رسولاً إلى الناس كافة، رسولاً للعالمين :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٨) ﴾

[سبأ: ٢٨]

والمعركة بين الإيمان والكفر ماضيةٌ في الأرض على سنن ربّانية وقضاء نافذ وقدر غالب وحكمة بالغة . ومن هذه السنن ما يقع بها العذاب والعقاب للكافرين في الحياة الدنيا ، ليذيقهم الله العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ، فإن لم يرجعوا إلى الحق أخذهم العذاب الأكبر في الآخرة :

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) ﴾

[السجدة: ٢١]

أو يُنزل الله الابتلاء بعد الابتلاء على المؤمنين ليمحّصهم ، ولتقوم الحجة على كل إنسانَ يوم القيامة أو تقوم له :

﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤١]

ولكن هذه المعركة الدائرة في التاريخ البشري بين الإيمان والكفر أخذت صورة جديدة عندما بُعثَ محمدٌ ﷺ ، فقامت قريش تصدّ عن سبيل الله ، وتحرّكت اليهود والمنافقون ، والتقوا في معركة الأحزاب ، حيث ابتلي المؤمنون ابتلاءً شديداً .

وكانت معركة الأحزاب حول المدينة المنوّرة آيةً عظيمة من آيات الله ، ودرساً عظيماً للمؤمنين ، ليروا كيف أن اللجوء إلى الله والصدق مع الله والإعداد الصادق ، والتزام منهاج الله ـ **قرآناً وسنّةً ولغة عربيةً** ـ في واقع الحياة ، هو السبيل الوحيد أمام المسلمين المؤمنين للنجاة مما يُكاد لهم . آية عظيمة ممتدّة أمام البشريّة كلها على مدى الأزمان.

وإن أول معنى من معاني امتدادها هو استمرار أعداء الله في حربهم على دين الله الإسلام ، حرباً لم تتوقف في أي مرحلة من مراحل تاريخ الإسلام . وانطلقت جيوش الإسلام تصدُّ الكيد والعدوان .

وتحرّكت الروم عند " **مؤتة** " ليصدّوا عن سبيل الله ، فنهض المؤمنون ليدفعوا كيدهم ومكرهم عن الإسلام ، وكأنها معركة الأحزاب الثانية ، على نطاق أوسع حيث بلغ جيش الروم ومن معهم من العرب أكثر من مائة ألف ، يقف أمامهم ثلاثة آلاف من جنود مدرسة النبوّة الخاتمة ، فصدّوا زحف الروم عن قاعدة الإسلام ، وعادوا إلى المدينة المنورة.

وامتدت المعارك والحروب يصدّ المسلمون من خلالها عدوان فارس وعدوان الروم، فمعركة اليرموك(١٣هـ/ ٦٣٥م) ، ومعركة القادسية (١٤هـ/ ٦٣٦م) ، ومعركة نهاوند (٢١هـ/ ٦٤٣م) .

ثم يأتي فتح القدس (١٥هـ/ ٦٣٦م) ، وتتابعت المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام ، يشق بها الإسلام طريقه إلى بلاد فارس وتركستان والهند والصين ،

ويشق طريقه غرباً حيث تصدى الأتراك مع سنة (٩٥هـ/ ٧١٣م)، ولكن الأتراك دخلوا الإسلام وحملوا رسالته، وأصبحوا جنوده ودعاته، حتى أقاموا الدولة الإسلامية العثمانية، ثم الخلافة الإسلامية.

وهجمت أوروبا على المسلمين في حملاتها الصليبية التي امتدت من سنة (٤٨٩هـ-٦٠٨هـ) (١٠٩٦م-١٢٠٤م)، في أربع حملات كبيرة يقودها ملوك أوروبا تحت شعار الحرب ضد الإسلام ونصرة الصليب، ولكن الدافع الرئيس المخفي هو أطماع العدوان والظلم والإفساد في الأرض. ولعلها من سنن الله سبحانه وتعالى وحكمته أن تمضي هذه الحروب حتى ينكشف الفرق العظيم بين زحوف الإسلام والمسلمين يحملون رسالة الله ويصدّون أعداء الله، وبين حروب المعتدين الظالمين.

وهجوم المغول على بغداد يقودهم هولاكو سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، فدمّروا عاصمة الخلافة بغداد كما هي تدمّر اليوم، وأبادوا الخلق كما يُبادون اليوم. ويقدر عدد القتلى في بغداد آنذاك بمليون نسمة، كما أن عدد القتلى من العراقيين اليوم مليون نسمة أيضاً.

ولكن كيد أعداء الله أخذ يتطور في قوته ووحشيته وأساليبه، عندما أخذ المسلمون يضعفون شيئاً فشيئاً. فقد بدأ أعداء الله يغزون دار الإسلام من جميع نواحيها، ابتداءً من جنوب شرق آسيا إلى عدن، إلى الخليج العربي، إلى الهند، إلى مصر وشمال إفريقيا، حتى طوقوا الخلافة تطويقاً محكماً. وفي الوقت نفسه أخذوا ينشرون في قلب العالم الإسلامي الأفكار الضالة والمبادئ الخبيثة ودعوات الجنس والخمر والفاحشة بكل الوسائل الممكنة والنامية والمتزايدة، ووجدوا الأبواب مفتوحة لهم فتسللوا دعاة فتنة وفساد، ودخلوا جيوشاً غازية، حتى سقطت الخلافة ومُزّق العالم الإسلامي إرباً إرباً، ولاقى هذا التمزيق قبول كثيرين أو صمتهم، ممن فتنتهم زخارف الغرب العلماني وزينته الكاذبة. وأخذ كلٌّ يتغنى

بأرضه وعصبياته الجاهلية ، دون أن يشعروا بحقيقة ما يكاد لهم . بل ظهر أناس يدعون إلى أنه لا يوجد كيد ولا مؤامرات ، وأنه لا بد من اتباع الغرب في جميع أوجه حياته . وامتدّت المؤامرات في تخطيط إجرامي واضح حتى ضاعت فلسطين ، والتهبت مواقع كثيرة في العالم الإسلامي في فتن كقطع الليل المظلم في : فلسطين والصومال ولبنان وكشمير والعراق وأفغانستان ، والشيشان ، ومعظم ديار المسلمين . وواضح أن أعداء الله كانوا يسيرون خطوة خطوة على مناهج مدروسة دون ارتجال . نشروا الفتن على أوسع مدى ، وبأكثر الأساليب شراً وفساداً ، حتى أوهنوا الأمة ، وفرّقوها شيعاً وأحزاباً ، وحدوداً وأقطاراً ، وغلبت الأهواء واستسلم الكثيرون لذلك ، بل أصبح منهم دعاةٌ لهذه الفتن . ولما اطمأن الأعداء إلى وهن القوى وتمزّقها ، جاسوا خلال الديار يفتكون ويدمرون بأبشع صور الإجرام .

لا شك أن عقلية المجرمين ابتدعت أساليب إجرامية كثيرة لتحقيق انهيار العالم الإسلامي ، وتفلّت بعض المسلمين من دينهم أو انحرفوا عنه ، على درجات مختلفة .

لقد استطاعوا أن يحوّلوا بعض المجتمعات الإسلامية إلى مجتمعات علمانية ، لا يحكم فيها الإسلام . واستطاعوا أن يتدرّجوا مع بعض المجتمعات الإسلامية في إزالة الشريعة الإسلامية في خطوات هادئة . فنشروا الديمقراطية بجرأة وقوة وتحدٍّ على أنها سبيل خلاص المسلمين . وصدّق ذلك العدد الكبير من الدعاة المسلمين ، ومنهم من أطلق الفتاوى الشرعية أنها من الإسلام أو هي الإسلام ، أو أن العلمانية مساوية للإسلام في مقصودها . رُفِعتْ قواعد كثيرة من قواعد شريعة الإسلام هنا وهناك في جهود متواصلة لا تكلّ ولا تهدأ . وانتشر دعاة التنصير في بلاد الإسلام ، ودعاة الديمقراطية والعلمانية . وكلما ألقى أعداء الله بيننا مبدأ جديداً ركضنا إليه لنجعله إسلامياً : الاشتراكية الإسلامية ، الديمقراطية الإسلامية ، العلمانية الإسلامية ، وقس على ذلك .

لقد امتدّت الحرب ضد الإسلام حتى يومنا هذا ، وأخذت أشكالاً متعددة مما عرضنا موجزه في الصفحة السابقة ، ومما كان موضع دراسات مفصّلة في كتب أخرى ومقالات أخرى أصدرناها . وستظل هذه الحرب ممتدة مع الزمن . إلا أن ذلك كله انتهى إلى ما نحن فيه اليوم من ذلة وهوان ، وضياع البلدان ، وامتداد الفكر العلماني إلى العالم الإسلامي بموجات قوية جريئة يستسلم أمامها كثير من المسلمين ، ومن دعاة وعلماء !

وأسوأ ما في واقعنا اليوم أن الملايين من المسلمين لا يشعرون بأي خطر على دنياهم ولا بأي خطر على آخرتهم . إنهّم مخدّرون أو نائمون أو تائهون أو ضائعون ، حتى يفجأهم الخطر في الدنيا ، أو يأخذهم عذاب الاخرة ، ولات ساعة مندم .

إن الخطر حقيقيٌّ لا وهم فيه. وإن نُذُرَه مدويّةٌ في الأرض كلها ، لا ندري إلى أين ينتهي هذا المدّ الزاحف من الخطر. إلا أننا نعلم أن العالم الإسلامي لا يملك من الإعداد وقوة السلاح والصناعة ، والعلم وآفاقه إلا الشيء القليل القليل الذي لا يكفي لصد العدوان ، إلا إذا عدنا عودة صدق إلى الله ليمدّنا بمَدَدٍ من عنده !

وفي ختام هذا التمهيد أود أن أعرض السبب الحقيقي لهذه الغارة الممتدة على المسلمين يقودها الغرب بكل فئاته إلا من رحم الله .

إن هذه القوة المعتدية لا تقاتل من أجل أي دين ، ولكن من أجل أطماع دنيوية ومصالح مادية وأهواء شيطانية . إنها في حقيقة أمرها تعبد هذه المصالح والأطماع والأهواء ، من دون الله ، وتتخفّى كلما لزم الأمر وراء شعار رقيق من دين يبتدعونه ، أَو فلسفة ينشرونها ، ليتخذوا منه مسوّغاً لعدوان يجمعون عليه الجماهير والدول والأعوان .

ولقد تعلموا من التاريخ ومن تجاربهم مع الإسلام أنهم يستطيعون أن يساوموا على هذه الدنيا وأطماعها وأهوائها وباطلها فئات الأمم المختلفة إلا الإسلام ، دين الله الحق الذي جاء به جميع المرسلين الذين خُتموا بمحمد ﷺ . فلله دين واحد

سماوي من عنده ، ولا يُعقل أبداً أن الله الواحد الأحد يرسل إلى عباده ديانات مختلفة يتصارع عليها الناس ، ثم يحاسبهم يوم القيامة !

لا يوجد ديانات سماوية متعددة ، ولا ديانات توحيدية متعدّدة ، إنه دين الله الحق الواحد، دين الإسلام :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) ﴾ [آل عمران: ١٩]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾

[آل عمران: ٨٥]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) ﴾ [آل عمران: ٨٣]

ولقد تردّد على لسان الكثيرين من الدعاة استخدام " الديانات السماوية " فكأنهم يردّون كلام الله الذي ينصّ على أن الدين واحد ، دين جميع الأنبياء والرسل ، ويبين لنا القرآن الكريم أن ما يسمونه اليوم الدين اليهودي أو الدين النصراني على أنهما دين موسى ودين عيسى عليهما السلام ، هو باطل لأن ما بين أيديهم هو محرّف عما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام ، وأول من ينكر هذه الديانات الأنبياء الذين تنسب إليهم هذه الديانات .

دين الله واحد ، دين التوحيد واحد ، الدين المنزل من عند الله واحد ، وهو الإسلام ، دين جميع الرسل والأنبياء .

نعود لموضوعنا الذي كنا فيه ، لنؤكد أن تلك القوى المعادية لا تحارب من أجل دين أبداً ، فإنها لا تعبد الله وإنما تعبد مصالحها ومطامعها وأهواءها :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٥]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٣]

ولما وجد هؤلاء من خلال تجاربهم الطويلة أن الإسلام لا يقبل المساومة على حق ، وأنَّ أبناءه المسلمين لا يقبلون الباطل ولا يساومون على الحق ، رأوا أنه لم يعد أمامهم إلا الحرب والمكيدة والمكر ليدمّروا العالم الإسلامي بُنيةً تحتيةً وطاقةً بشريةً ، وعلماً وصناعةً ، وغير ذلك ، حتى تُفْتَح أمامهم السبل لنهب ثروات الأرض وإبقاء الفقراء فقراء أو ليزيدوهم فقراً .

انظر ماذا يفعلون في العراق وأفغانستان والصومال وفلسطين وغيرها ، حيث تتفجّر أحقادهم مجازر، وفواجع ، وإبادات جماعية ، واغتصاب الأعراض ، وتدمير البيوت على سكانها دون رحمة . ولكن الجريمة هذه لم تكن جريمتهم وحدهم ، فهي كذلك جريمة الظالمين المنحرفين من المنتسبين إلى الإسلام الذي والَوْا في الحقيقة أعداء الله ، ففتحوا لهم أبواب بلادهم ، وخانوا الله ورسوله وخانوا الأمة كلها . إنها كذلك جريمة المنافقين في الأمة ، المنافقين الذين يطلبون الدنيا تحت شعار الإسلام ، وإنها جريمة أعداء الله من أهل الكتاب الذين أخذوا يجاهرون في حرب الإسلام .

لا تنتظرْ من عدوِّك الرحمة ، وقد انطلق يحكمه هواه وجشعه ، ولكن المأساة في أبناء جلدتك الذين يتكلمون بلسانك ، والذين فارقوا دينهم وأمتهم . انظر كم استطاعت أمريكا وحدها أن تشتري من ضمائر المنتسبين إلى الإسلام بسعر بخس من الدولارات ! ولقد أصبح هذا يُعلن جهاراً نهاراً ، وتصدر كتب تشرح عمليات الشراء بشكل واضح جريء .

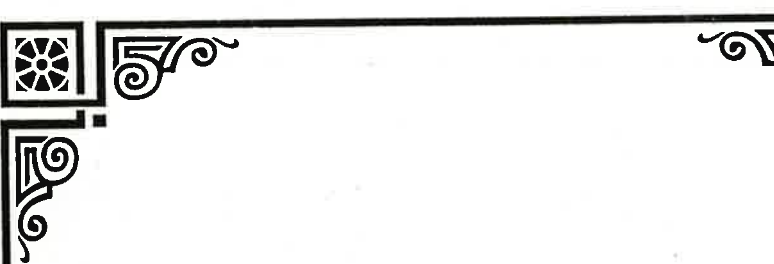
أولئك اختـاروا تلك الصفقة حين باعوا ضمائرهم بدولارات قليلة ، والمؤمنون الصادقون المتقون لهم صفقة أخرى حين اشترى الله سبحانه وتعالى منهم أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ [التوبة: ١١١]

إن الذين لجؤوا إلى أعداء الله يطلبون نصرتهم لم ينالوا في حقيقة الأمر إلا الخسارة والهوان ، إن عاجلاً أو آجلاً . وكلّما بالغ المسلمون بالخضوع إلى أعداء الله وممالأتهم والتودّد إليهم ، زاد أعداء الله بالظلم والإذلال .

والذين يتخفّون وراء زخرف الشعارات ودويها وضجيجها لا يخفَوْنَ على الله، وسينالون العقاب الحق على سنن لله ماضية ثابتة : **قضاء نافذ وقدر غالب وحكمة بالغة .**






الفصل الأول

ماذا يجب أن يتوافر
في مدرسة الدعوة إلى الله ورسوله
من خصائص إيمانية









الفصل الأول
ماذا يجب أن يتوافر
في مدرسة الدعوة إلى الله ورسوله
من خصائص إيمانية

على الرغم من كثرة الحركات الإسلامية في الأرض ، وكثرة الدعاة ، وامتداد الساحات والزمن ، نلاحظ بسهولة ويُسر أن ذلك كله لَمْ يَبن صفّاً واحداً كما يريده الله ورسوله ، ولم يُبْنَ جيلٌ مُؤمن واحدٌ ليمثِّل منهاجَ الله فكراً ونهجاً وممارسة إيمانيّة ، ولم تُبْنَ أُمة الإسلام الواحدة التي يكون رباطها أخوّة الإيمان ، وممارسة المؤمنين في الأرض أُمّة واحدةً ، كما يأمر الله سبحانه وتعالى ، وكما بنى رسول الله ﷺ .

ولا يمكن أن تقوم أخوة الإيمان إلا إذا صدق الإيمان وصفا حتى كان **العهد الأول في حياة المؤمن مع الله سبحانه وتعالى وحده ، والولاء الأول هو لله سبحانه وتعالى وحده ، والحبُّ الأكبر هو لله ولرسوله** ، مع سائر أسس الإيمان والتوحيد وخصائصهما كما وردت في منهاج الله ، عندئذ تقوم رابطة أخوة الإيمان قويّة متينة ، وتتآلف القلوب والسواعد لتمضي كلها على نهج واحد وأهداف ربانّية واحدة، تمضي على صراط مستقيم بيّنه الله لنا وفصّله في كتابه المبين !

وأول نتائج صدق الإيمان والتوحيد على الصورة التي عرضناها أن يصبح كلُّ عهد وكلُّ ولاء وكلُّ حُبٍّ يُقيمه المؤمن في الحياة الدنيا ، نابعاً من العهد الأول والولاء الأول والحب الأكبر ومرتبطاً بها كلّها ، فتشتدُّ أخوّة الإيمان وتمتّد بين المؤمنين جميعاً ، وعند ذلك يُصبح الهدفُ الأكبرُ والأسمى في حياة المؤمن الدار الآخرة والجنّة ورضوان الله ، فيُؤثر المؤمن عندئذ الدار الآخرة على الدنيا ، ويأخذ من الدنيا ما يعينه على طلب الآخرة والجنّة ورضوان الله، يأخذ منها ويبذل فيها على صراط مستقيم ونهجٍ ربّاني .

وكذلك إذا تحققّت هذه الخصائص الإيمانية في قلب المؤمن ، فيُغسَل قلبُه من العصبيات الجاهليّة ، ومن إيثار الدنيا على الآخرة ، وتتوافر في قلبه عزيمة مجاهدة النفس على أسس ربّانيّة يتعلّمها من منهاج الله، حتى يمضي حياته كلّها على صراط مستقيم، وسبيل قويم ، يشعر في نفسه الطمأنينة والرضا واليقين ، وحلاوة الإيمان وجمال السعادة . إن هذه الأسس الإيمانية هي أسس التربية الإسلامية والبناء الإيماني للأجيال ، لا تستقيم تربية ولا ينهض بناء بغيرها أبداً ، إنها أسس ربانية .

عندما تتحقَّق هذه الخصائص الإيمانية في قلب المسلم من خلال التربية والبناء والإعداد ، ومن مصاحبة منهاج الله ، فإنَّه يُصبح مؤمناً يعرف أن له رسالةً في الحياة كلَّفه الله بها . وشتّان بين مسلم يؤمن أن له رسالة في الحياة تمثل أساس عهده مع الله ، وبين مسلم لا يشعر بذلك .

إنَّ هذه هي حقيقة المعركة اليوم في واقع المسلمين ، المعركة التي لا يمكن بغيرها الخروج من الذّلة والهوان الذي نحن فيه .

ومما يساعد على بناء هذه الخصائص في قلب المؤمن وفي مسيرة حياته ملازمتُه لدراسة منهاج الله ـ **قرآناً وسنّة ولغةً عربيةً** ـ وتدبُّره ، دراسة **منهجيّة** ، وتدبّراً صادقاً ، **صُحبة عمر وحياة لا تتوقف** . ومع هذه الدراسة والتدبُّر يلتزم المؤمن إقامة الشعائر . فالدراسةُ المنهجيّة الممتدّة وإقامة الشعائر يمدّان المسلم بغذاء ضروريّ للمحافظة على إيمانه وتنميته ورعايته ، ويمدّانه بالنور . ولذلك كانت الشعائرُ والشهادتان أركان الإسلام ، وكان كتابُ الله النور الممتد ، وكأنّ دورهما في حياة المسلم كدور المُولِّد الكهربائي الذي يمدّ المنزل بالنور . والأمر كلّه هداية الله لمن يشاء من عباده .

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]

هذه القضايا أساس في التصوّر الإيماني ، وأساس في الدعوة الإسلامية . وأساس في البناء والتربية والإعداد . ولأهمّيتها نوجزها هنا للتأكيد والتثبيت :

١- أن يكون الولاء الأول للمسلم لله وحده ، والعهد الأول مع الله وحده ، والحبُّ الأكبر هو لله ورسوله . ومن هذا الولاء الأول والعهد الأول والحب الأكبر تنشأ كلُّ موالاة في الحياة الدنيا ، وينشأ كل عهد مع الناس في الحياة الدنيا ، وكلُّ حب وموالاة في الحياة الدنيا ، ويرتبط به .

٢- ينشأ عن هذا الولاء الأول والعهد الأول والحب الأكبر أخوّة الإيمان التي أمر الله بها بين المؤمنين رباطاً جامعاً وحبلاً موصولاً وعُرىً موثّقة ، لا تقوم إلا بذلك .

٣- يصبح الهدفُ الأكبرُ والأسمى في حياة المؤمن الدارَ الآخرةَ ورضوانَ الله والجنّة . فيُؤثر الآخرة على الدنيا ، فلا يُفْتَنُ بالدنيا ، ولكن يأخذ منها ما أحلَّهُ الله له وما يكون قوةً له للوفاء بعهده مع الله ، والوفاء بالرسالة التي يحملها ، وقوّة لإيمانه لبلوغ الجنة .

٤- إن هذا الإيمان والتوحيد ، حين يشرح الله صدر المؤمن به ، يدفع المؤمن إلى دراسة منهاج الله وتدبّره ، صحبة منهجّية صحبة عمر وحياة ، وهذه الصحبة لمنهاج الله تزيد الإيمان وتثبّته ، والإيمانُ يظل يدفع المؤمنَ إلى هذه الصحبة لمنهاج الله .

٥- ومن هذه الصحبة لمنهاج الله ـ **قرآناً وسنةً ولغة عربيّة** ـ يعرف المسلم المسؤوليات الفردّية والتكاليف الربانية التي وضعها الله في عنقه ، والتي سيحاسَبُ عليها يوم القيامة ، ويعرف أن أول المسؤوليات بعد إعلان الشهادتين إقامة الشعائر إيماناً وخشوعاً كما أمر الله . وتقوم على هذه الأركان الخَمْسة للإسلام : الشهادتان والشعائر ، سائرُ التكاليف الربانية المرتبطة بالأركان الخمسة لا تنفصل عنها أبداً ، ولا تصحُّ دونها . وأول تكليف يقوم

على هذه الأركان الخمسة دراسة منهاج الله ـ **قرآناً وسنة ولغة عربية** ـ وتدبّره وممارسته في الواقع البشري ، ثمّ الدعوة والتبليغ لرسالة الله كما أُنْزِلَتْ على محمد ﷺ ، بلاغاً منهجياً وتعهّداً منهجيّاً ، فهذه هي الرسالة التي كلفه الله بها والأمانة التي حملها .

٦- فإذا صدقت هذه الأسس في قلب المسلم ، وصدق إيمانه وصدق التزامه ، وصدقت انطلاقته لتبليغ رسالة الله كما أُنزلت على محمد ﷺ ، إلى الناس كافة ، وتعهّدهم عليها ، حتى تكون كلمة الله هي العُليا ، فإنّ قلبه يصفو بإذن الله وبرحمته من العصبيات الجاهلية التي حرّمها الله : العصبيّة لذاته بغير حق ، والعصبية العائلية ، والعصبية الحزبيّة ، والعصبية الإقليمية والعصبية القومية ، وكلُّ عصبيّة ظالمة حرّمها الله .

٧- لتدبُّر منهاج الله الذي يسّره الله للذكر : ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠] هناك مفتاحان ، هما أساس التيسير، بيَّنَهما اللهُ لنا في عدّة آيات في كتابه المبين ، وكذلك في أحاديث رسول الله ﷺ . هذان المفتاحان هما :

ـ صدق الإيمان والتوحيد .

ـ إتقان اللغة العربيّة .

وهما مفتاحان يعملان معاً لا يُغني أحدهما عن الآخر ، فلا بدّ من توافرهما ليعملا معاً . ومع هذين المفتاحين هناك عوامل مساعدة تعين على التدبّر والفهم . وأهم ذلك السنّة والسيرة النبوية ، والموهبة التي يضعها الله فيمن يشاء من عباده . وتبرز المواهب في الأمة حين يعمّها العلم ، وحين يصبح طلب العلم فرضاً على كل مسلم . فإذا انتشر العلم بالكتاب والسنة واللغة العربيّة ، تظهر عندئذ المواهب وتتمايز القدرات ويظهر كلُّ وسعٍ كما وهبه الله لعبده ، ويعرف كل مسلم حدوده ، ويقوم التعاون بين المؤمنين على صورة ربانيّة : أخوة في الله ، وعلم ممتدّ كلُّ قدر وسعه ، والتزام صادق ، ومعرفة المسلم لحدوده وقدراته بصورة أمينة ، والانطلاق

المنهجي لتبليغ رسالة الله كما أنزلت على محمد ﷺ إلى الناس كافة وتعهّدهم عليها .

٨- ومما يتعلمه المسلم من منهاج الله **محاسبة النفس** على أسس ربّانية جليّة ، ونهج مدروس وخُطّة واعية ، ووقفات إيمانيّة منهجّية دورية ، وتقويم دوري للمسيرة ، ومعرفة الأخطاء ودراستها ومعالجَتها ، ليكون هذا كله جزءاً من نهج مدرسة الدعوة الإسلامية ، **يُدرَّبُ المسلم عليه** ، كما يُدرّب على سائر قواعد النهج .

٩- فإذا صدقت هذه القواعد والأسس في حياة المسلم وفي التزامه ، يتّضح له أن الإيمان والإسلام ، والكتاب والسنة واللغة العربية ، وسيرة الرسول ﷺ ، كلّ ذلك يفرض على المسلم أن يسير على نهج واعٍ جليٍّ وخُطة عملية مدروسة ، ليتمثل ذلك النهج وتلك الخُطّة في المضيّ على الصراط المستقيم الذي بيّنه الله لنا وفصّله، إلى أهداف ربّانية ستة محددة تمتدّ إلى الهدف الأكبر والأسمى - الدار الآخرة والجنّة ورضوان الله .

١٠- وقد يلتبس اليوم على كثير من المسلمين المقصودُ بمصطلح النهج والخطة . فالنهج والخُطَّة نعني بهما النيّة الصادقة الخالصة لله التي تحدّد الأهداف الربانيّة ، وترسم السبيلَ الممتدّ وتفصيلاته التي تؤدّي إلى تحقيق الأهداف الربّانية الستة والأهداف المرحلية الممتدّة إلى الهدف الأكبر والأسمى . ونعْني كذلك توفير الوسائل والعدّة والإعداد الذي يكفل للجهد البشريّ أن يمضي على نور ووعي . أهداف محدّدة، وسبيل يوصل إليها محدّد ، ووسائل وأساليب محدّدة ، كلّ ذلك يوفّر للنهج صدْقه وللخطة سلامتها ، حتى لا تتحوّل الأهداف الربانيّة إلى شعارات تضجُّ دون أن يتوافر لها سبيل للتنفيذ والتحقيق في واقع الحياة .

١١- لا بدّ إذن أن يكون للعمل الإسلامي **نهجٌ وخطة** على أسس مفصّلة

ودراسات واسعة ، **وممارسة إيمانية** ، **وتقويمٌ دوريٌّ** ، **وميزانٌ حقٌّ** توزن به الأمور والأشخاص ، **وتدريبٌ جادٌّ على ذلك كله للمسلم في مدرسة الدعوة الإسلامية الواحدة** ، تدريب وإعداد حقيقيٌّ على : نهج التفكير الإيماني ، وردّ الأمور صغيرها وكبيرها إلى منهاج الله ، وعلى التخطيط والإعداد والتدبير ، وتخطيط المسلم لوقت يومه وأسبوعه وسنته ، وأمور أخرى كثيرة ، ليكون هذا كله ، يُمثِّل النهج الذي يقوم عليه العمل الإسلامي ويلتقي عليه الدعاة كلهم في مدرسة واحدة ، مدرسة الدعوة الإسلامية الواحدة ، مدرسة النبوّة الخاتمة لبناء الجيل المؤمن والأمة المسلمة الواحدة .

هذه لمحات سريعة فقط حول أسس الدعوة الإسلامية الجامعة ، وحول أسس النهج والتخطيط الذي يقوم على أسس ربّانية إيمانية تجمع المؤمنين كلَّهم ليمضي رجالهم ودعاتهم صفّاً واحداً على صراط مستقيم . ونجد التفصيلات في الدراسات المفصّلة التي يقدّمها **نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن ومناهجها ونظرياتها العامة ودراساتها الممتدة المفصّلة ونظامها الإداري ووسائلها وأساليبها** .

١٢- ولا نغفلُ في هذه العجالة والموجز السريع أن نؤكد أهمية التدريب **على دراسة الواقع من خلال منهاج الله** ، ليصبح الواقع بعد المنهاج الرباني **الركن الثاني من ركني النظرية العامة للدعوة الإسلامية** ، وليُردَّ الواقع كله إلى منهاج الله لا إلى الهوى .

هذه لمحات فحسب من نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن ومناهجها، نقدمه نصيحة خالصة لوجه الله ، لا على أساس حزبي أو عمل سرّي ، وإنما هو تكاليف ربّانية مبيّنة بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، لتكون أساس لقاء المؤمنين . ولا أدّعي أني أنا وحدي ومن يعين في هذا الأمر سنقيم وحدَنا لقاءَ المؤمنين ! كلا ! إنّه واجب كل مسلم صدق علمه وإيمانه ، ومسؤوليته ، وصدقت نيّته خالصة لله ، وسنحاسَب كلُّنا عليها بين يدي الله يوم القيامة . فهي مسؤولية الجميع !

ولينظر المسلمون اليوم ، ولينظر الدعاة ، وليسألوا أنفسهم أسئلة محدّدة ، نطرحها هنا لأنفسنا وللجميع :

١- كم مضى على عملهم من السنين ؟! وكم جمعوا من الأنصار ؟! وكم وفّر الله لهم من مال يدفعون به مسيرة الدعوة الإسلامية ؟!

٢- هل استطاعوا أن يغيّروا المجتمع إلى الصورة الأقرب للكتاب والسنة ، والأقرب لطاعة الله ؟! أم استطاع الغرب والعلمانيون أن يفتنوا عدداً غير قليل في المجتمعات الإسلامية ؟!

٣- هل استطاع العمل الإسلامي بما وفّر الله له من زمن طويل وحشود ليست قليلة ومال وفير ، هل استطاع أن يطبق في العالم الإسلامي الآية التالية ويقيم بها وبسائر الآيات والأحاديث ـ أمة الإسلام الواحدة :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ . . . ﴾ [الحجرات: ١٠] وكذلك سائر الآيات والأحاديث .

أم أن الأعداء كانوا أقدر على تمزيق المسلمين واستدراجهم إلى الصراع الحزبي والعائلي والقطري والإقليمي ، حتى صار ذلك مطلب بعض الدعاة المسلمين ، منهم من يتغنّى بالاشتراكية ، وآخرون بالديمقراطية ، وآخرون بالعلمانية ، حتى في قلب المؤتمرات الإسلامية ، وحتى إن بعضهم أقام أعراساً للديمقراطية ومهرجانات ، ينصر بعض المسلمين تلك المبادئ بجهودهم وأموال المسلمين وطاقاتهم ويزيدون الفتنة في الأمة . عجباً ! كيف تفلّت بعض الدعاة وتاهوا في ظلام هذه المبادئ ، وسقطوا في شركها ! ولكن الله أعلم بما في صدور عباده !

٤- هل درس الدعاة المسلمون لماذا فشلوا في إقامة أمة مسلمة واحدة ، أو على الأقل أن يدعوا إليها ؟ أم أنهم لا يؤمنون بذلك ولا بأنه أمر ربّاني ؟!

٥- هل أدرك الدعاة وهم في غمرة الخلاف والشقاق والصراع ، وهم يُهْرَعون إلى

الانتخابات ، ويلهثون وراء ما لم يستفيدوا منه سنين طويلة ، هل أدركوا أن الفرقة بين المسلمين إثم كبير ومعصية لله ورسوله ، وفتنة واسعة ، يَنْزل على المسلمين بسببها عذاب عظيم ، وأنهم بهذا الشقاق وهذه الفتن حجبوا عن أنفسهم نصرَ الله ووعده المبيّن في كتابه الكريم وسنّة نبيه المصطفى ﷺ .

لا شك إذن أن هناك خللاً في واقع العمل الإسلامي ، وأن هناك انحرافات واسعةً شُغِل كثيرٌ من الدعاة بتسويغها وإقرارها كأنها من شرع الله !

لا بد إذن من دراسة الخلل ومعالجته على أساس من منهاج الله ، قبل أن تشتدّ النكبات والفواجع ، وقبل أن يبلغ الأعداء جميع ديار المسلمين ويَفتنْوا قلوب الكثيرين منهم . ولقد قدّمنا دراسات واسعة عن نواحي الخلل في العمل الإسلامي ، وتجوّلنا في الأرض نشرح ونذكّر سنين طويلة ، ولكنّ الفتن والهزائم والشقاق ما زال يمتدّ ويتّسع ، على الرغم من كثرة الشعارات المدوّية وضجيجها .

٦- في هذه العجالة أودُّ أن استعرض قضيتين رئيستين من قضايا الخلل :

القضيّة الأولى : وجوب تبليغ الدعوة وإيصالها إلى الناس كافّةً . ولكن الكثيرين سيقولون إن التبليغ قائم على قدم وساق . والحقيقة تفرض الأسئلة التالية : **ماذا نبلّغ للناس ؟! وكيف نبلّغهم ؟! وعلى ماذا ندرّبهم ؟! وإلى ماذا وصلنا ؟! وأين الميزان لذلك ؟!**

الواجب على كل مسلم قادر **أن يبلّغ رسالة الله ودينه الإسلام كما أُنزل على محمد ﷺ إلى الناس كافّة، ويتعهّدهم عليها ، حتى تكون كلمة الله هي العليا ، وحتى يجتمع الناس كلهم على رسالة واحدة ودعوة واحدة ونهج واحد ، ودين واحد ، ليكونوا صفّاً واحداً وأمّة واحدة في الأرض . الله واحد، والدين واحد ، والدعوة الإسلامية في الأرض يجب أن تكون واحدة .**

ويجب أن يقوم التبليغ لرسالة الله كما أُنْزِلتْ على محمد ﷺ وفقَ خُطة مدروسة ونهج محدّد ، تجتمع عليه الطاقات والمواهب المؤمنة لتُبدع فيه وفي البذل

والعطاء . إن النهج والخطة يجب أن يكونا شاملين لجميع المراحل والخطوات ، ووسائل البناء والإعداد .

وعلى هذه القضيّة قدّمنا دراسات تفصيلية لتكون جزءاً من :

«نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن ومناهجها»

ونؤكّد ونُعيد أن التبليغ يجب أن يكون **لرسالة الله كما أُنزلتْ على محمد** ﷺ **إلى الناس كافة، دعوة واحدة ، ورسالة واحدة ، وديناً واحداً ، على نهج موحد وخطة شاملة ، حتى يتحقّق وعد الله للمؤمنين ، ويُنْزِل نصْره .**

القضية الثانية : يجب أن لا يُطْلَق شعار في أيّ ميدان من ميادين الدعوة الإسلامية إلاّ وله خُطّةٌ إيمانيّة عملية تطبيقيّة مفصَّلة، وأن تكون الخطة نابعة من منهاج الله وردّ الواقع إليه، حتى يتوافر للشعار وسائل تطبيقه ونجاحه، وحتى لا نجد بعد عشرات السنين أن الهدف في الشرق ونحن نسير إلى الغرب، ونغطّي ذلك بالشعارات والمزايدات وما يجرّ ذلك من خداع أو كذب أو مكر المسلم بالمسلم لا بأعدائه، ومن تحاسد وتباغض وشقاق ويُسَمُّون ذلك تكتيكاً .

وإذا كنّا نوّجه نصيحة خالصة لوجه الله للعمل الإسلامي فإننا ننصح **بأن يراجع مسيرته ويحدّد أخطاءه على أساس من منهاج الله ثم يعالج أخطاءه في هذه الظروف القاسية التي يمرّ بها العالم الإسلامي**. وإننا لا ننكر في الوقت ذاته أن الحركات الإسلامية بمجموعها صدّت قدرما تستطيع من طوفان الغزو الغربي الممتدّ لقرون كثيرة، الغزو العسكري والفكري والأدبي والاجتماعي، ولكننا كنا نأمل أن يكون قد توافر للعمل الإسلامي من خلال مسيرته وتجاربه بروز حقيقة جلّية هي أنه لا يستطيع بواقعه السابق والحاليّ أن يحقّق النصر المطلوب للأُمة، وأن أول ما يمنع ذلك هو تمزُّق العمل الإسلامي إلى أحزاب وجماعات أضاعت عليها بتمزُّقها فرصاً واسعة لنُصْرة دين الله، ولوضع حلول ربّانية إيمانيّة لمشكلات العصر الحديث نابعة من منهاج الله -قرآناً وسنة

ولغة عربية-، بدلاً من الانشغال بصراعات قاتلة، وانتخابات مدمّرة، ومجالس نيابيّة لم تُغْن شيئاً. إنها من أساليب الديمقراطية وخداعها، حين عجز المسلمون عن وضع نظم ربّانية بديلة .

ونتيجة لفشلها في تقديم حلول إيمانية نابعة من الكتاب والسنة لمشكلات عالمنا اليوم، جروا لاهثين لحلول الغرب المادّية، يحاولون تغطيتها بثوب إسلامي يخفون به عوراتها، أو يدّعون أنها من الإسلام فيقعون في معصية بعد معصية، وتزداد الأمور سوءاً. وكما ذكرنا قبل قليل وجوب تبليغ رسالة الله إلى الناس كافّة كما أُنزلت على محمد ﷺ ، خضوعاً لقوله سبحانه وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة: ٦٧]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٩]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٨]

وكذلك حديث رسول الله ﷺ :

(**بلّغوا عنّي ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج** ، (أي بما جاء في الكتاب والسنة) **ومن كذب عليّ متعمداً فَلْيَتَبَوَّأْ مقعده من النار**)[1]

---

(١) أخرجه أحمد : الفتح : ١/ ١٧٧ ، والبخاري ، والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما : رقم : ٢٦٦٩ صحيح الجامع الصغير وزيادته: الرقم: ٢٨٣٧) .

وآيات كريمة وأحاديث شريفة تفرض تبليغ رسالة الله كما أُنزلتْ على محمد ﷺ إلى الناس كافة وتعهّدهم عليها.

هذه هي القاعدة الرئيسة التي نظنّ أنها كانت غائبة عن بعض الدُّعاة، فيبلّغون للناس آراءهم وتصوراتهم، وآراء فلان وفلان. حتى أصبح عدد غير قليل من الدعاة يستشهد على صحة رأيه، ليس بآية أو حديث، وإنما بما قاله فلان أو فلان. ولم يَعُدْ منهاج الله المرجعَ للإتيان بالحجة والرأي، ولا للتبليغ والتربية والبناء. وتفرّق العمل شيعاً وأحزاباً، وكلٌّ يرى رأيه هو الحق:

كلٌّ يقول أنا الذي ينجي الديّا	رَ بوَهْمِهِ وشعاره المتَعَجّل
كلٌّ يقول أنا الذي! فإذا الذي	ليس الذي! يا ويل من لم يعدلِ

٧- إن أساس التربية في الإسلام أن تبتدئ التربية والدعوة الإسلامية في البيت، في الأسرة في مسؤوليّة الوالدين، ثم تمتد على نهج واحد إلى المدرسة والمعاهد والجامعات، وإلى المؤسسات، ووسائل الإعلام، خطةً واحدة ونهجاً واحداً.

إني أعرض هذه القضايا بعد تجربة لي في العمل الإسلامي تزيد عن خمسين عاماً، رأيت معظم النماذج وأكثر الأخطاء ونصَحْتُ لله بكل وسيلة ممكنة، حتى رأيت أن أضع النصيحة على صورة دراسات مفصّلة، أعرضها لكل مسلم وأسرة ومجتمع ولكل حركة إسلامية ولكل داعية مسلم، ولكل عالم وفقيه، ليرى الجميع رأيهم في ما أعرض ويردّوه إلى الكتاب والسنة، فإن أخطأت في شيء قاموا بواجبهم الشرعي بالنصح الأمين مع الحجة والبيّنة من كتاب الله، وإن رأوا فيه حقاً نصروه واتبعوه ودعوا إليه. ولقد مررتُ بمواقف متعدّدة في مسيرتي في الدعوة الإسلامية، منها ما هو ماض بتعاون مع كثيرين، ومنها ما هو مواقف مفاجئة فرديّة أتصرّف فيها من خلال منهاج الله على نهج واضح!

ولقد رأيتُ أن معظم أفراد التنظيم الواحد تركوا عدداً من مسؤولياتهم

الشرعية لتكون مسؤولية القيادة أو مسؤوليات أفراد معدودين ، دون أن يعرف كلُّ فرد أن عليه مسؤولية فرديّة في قضايا متعددة، وضعها الله أمانة في عنقه وفي نطاق مسئوليته، لينهض إليها على نهج محدّد وخطة مدروسة تُحقّق الصورة الربّانية للدعوة الإسلامية. وبذلك تلتقي الجهود كلها على درب واحد وصراط مستقيم ، وهدف واحد ووسيلة وأساليب واحدة مدروسة ومقررة، لتحقّق تبليغ رسالة الله إلى الناس كافّة وإلى المستويات كلها كما أُنزلتْ على رسول الله ﷺ وتعهدهم عليها لتكون كلمة الله هي العليا في الأرض. وهذه الأسس هي التي توفّر الفرصة لنموّ العمل الإسلامي وتطوره صفاً واحداً.

وهذا الهدف - **أن تكون كلمة الله هي العليا في الأرض**- لا يمكن أن يَتحقّق والدعاة ممزقون والحركات ممزّقة ، وكلٌّ يدعو ويعمل على طريقة خاصة به . لا بد أن تكون الدعوة الإسلامية دعوةً واحدةً في الأرض ، ونهجاً واحداً ، يسعى إلى أهداف واحدة ، لا تمزقها الأهواء والعصبيات الجاهلية والمصالح الذاتية الخاصة ، حتى نبلّغ للناس ديناً واحداً ، هو دين الله الواحد ! **فالله واحد ودينه واحد ودعوته واحدة .**

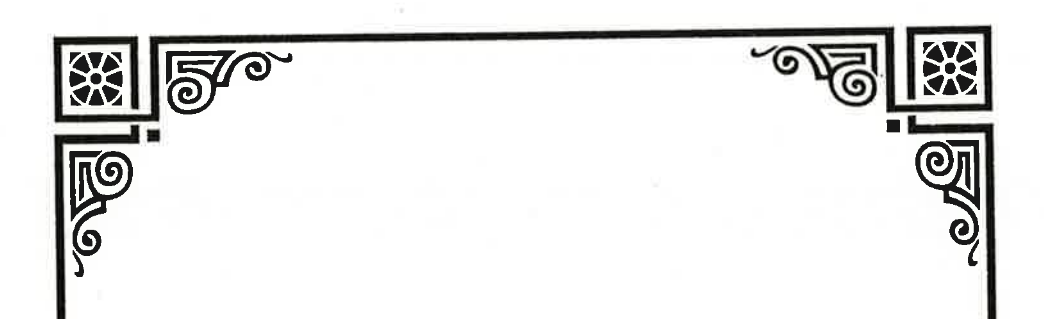
كلُّ هذا لا يمكن أن يتحقّق في الواقع إلا إذا جاهدنا أنفسنا أولاً حتى نتبرأ من العصبيات الجاهلية التي حرّمها الله ورسوله ، وحتى يكون عهدنا الأول مع الله وحده، وولاؤنا الأول لله وحده ، وحبنا الأكبر هو لله ورسوله ، ومن هذا العهد الأول ، والولاء الأول ، والحبّ الأكبر ينبع كل عهد في الدنيا وكلّ موالاة وكل حب .

لا بدّ أن نجاهد أنفسنا أولاً ، حتى تصدق النية لله ، ويصدق الإخلاص لله ، وحتى يتحقق الولاء الأول والعهد الأول والحب الأكبر، على أُسس ربّانيّة فصّلها منهاج الله ـ **قرآناً وسنة ولغة عربيّة** ـ . وعندئذ يصبح الهدف الأكبر والأسمى للمسلم الدار الآخرة ورضوان الله والجنّة ، وبذلك فقط يصبح المسلم يؤثر الدار

الآخرة على الدنيا ، وعندئذ يستقيم الدرب أمام المسلم إلى هدفه الأكبر والأسمى ، إلى الجنة ورضوان الله .

وعندئذ تجتمع الأمة صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص ، كما يريد الله وكما أمر . وعندئذ فقط ينزل الله نصره ، ويحقّق وَعْدَه الذي وعَدَه لهذه الأمة الواحدة المتماسكة . إلى هذه القضية نأمل أن تُصَبّ الجهودُ المؤمنة ، قبل أن تنهال علينا نكبات وفواجع وهزائم أكثر مما نحن فيه .





الفصـل الثانـي

أهـم نواحـي الخلل في واقـع العمـل الإسلامي









الفصل الثاني
أهم نواحي الخلل في واقع العمل الإسلامي

واقع المسلمين اليوم لا يخفى على أحد إلا على الغافلين النائمين الذين تفجؤهم الرزايا حيناً فيصحون قليلاً ثم يعودون إلى ما هم فيه من خدر وغفوة !

ولقد أثرنا هذه الموضوعات في دراسات جادة وكتب ومقالات وقصائد ، لأننا نشعر أن الأمر جلل.

وأورد هنا بعض الأبيات الشعرية حول هذا المعنى :

إذا لم تقمْ في الأرض أمة أحمد فكل الذي يجري على الساح ضائع[1]

* * * * *

إن لم تقمْ في الأرض أمة أحمد سنظلُّ في وهَن وفي خسرانِ[2]

* * * * *

إن لم تقمْ في الأرض أمة أحمد ضاعت جهودُكم وتَاهَ المذهبُ[3]

* * * * *

لا أنكر أنني في مرحلة من مراحل حياتي ، وأنا في قلب الدعوة الإسلامية ، كنتُ أدعو الناس لينضموا إلى حزب أو جماعة . ثم مع الأيام والسنين رأيت كيف أن أبناء هذا الحزب أو ذاك ملكتهم العصبيةُ العمياء لحزبهم ولرجاله ، حتى أصبحوا لا يرون الإنسان مسلماً أومؤمناً إلا إذا دخل هذا الحزب وحمل العصبية

(١) رسالة المسجد الأقصى إلى المسلمين : ملحمة الإسلام : ص١٩٩ .
(٢) لهفي على بغداد : هل عاد هولاكو وابن العلقمي: ص : ٣٠١ .
(٣) ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين : السهم الأخير ص: ٢٠٤ .

الجاهليّة التي يحملونها . ولا يُعينون مسلماً إذا احتاج إلى العون إلا أن يكون من حزبهم أو جماعتهم . ولو كان لهم ساحة يملكون بها مدارس أو أعمالاً تجارية ، لا يُدخلون فيها إلا من كان منهم ، من جماعتهم أو حزبهم ، فتفرّقت الأمة شيعاً وأحزاباً وأهواءً . وأصبحت الأخوة الإيمانية ليست كما أمر الله ورسوله لتقوم بها أمة واحدة ، ولكن ضُيِّقت وخُنِقَتْ في أخوة حزبية أو تجمُّع على عصبيّة جاهلية .

أروي بعض القصص الواقعية : تقدّمت فتاة مسلمة عارفة بدينها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ على قَدَر ما ، تقدمت لتعمل مدرّسة في مدرسة إسلامية . فكان شرط قبولها أن تدخل في الحزب ، ولما رَفَضت رُفِضَتْ ورُفِض طلبها .

وتقدّم رجلان لوظيفة مدرّس لمادة التاريخ . أحدهما يحمل شهادة بكالوريوس في التاريخ ، والآخر لا يحمل شهادة في التاريخ بل بعلوم أخرى ، ولكنه أخ للمسؤول في الحزب ، فتّم تعيين هذا الرجل قريب المسؤول.

وقصة أخرى. أثناء حوار بيني وبين بعض إخواني ، وحين اعترضتُ على أمرٍ مع بيان الحجة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن أحداث الواقع بردِّها إلى منهاج الله ، قال لي أحد الإخوة المشاركين في الحوار : اسمع يا أخي : " إنّ شيخنا رسم لنا دائرة ، كلُّ من كان داخل هذه الدائرة هو منّا ونحن منه ، وكلُّ من كان خارج هذه الدائرة فهو ليس منا ولا نحن منه " !

فأجبته : " يا أخي الكريم إن الله سبحانه وتعالى رسم لي وللمؤمنين كافة دائرةً، فمن كان داخل هذه الدائرة فهو منّي وأنا منه ، ومن كان خارجها فهو ليس مني ولا أنا منه. " فأيّ الدائرتين أصدق عند الله ؟!

وكأن بعض الحاضرين أفاق من غفوة طويلة كان فيها ، فقال: نعم، صدْقتَ! ولكن سرعان ما يعود لغفوته وللعصبية الحزبيّة القاتلة!

كثرة هذه الحوادث نبَّهتْني لأبدأ أُفكّر كما لم أكن أُفكر من قبل، وأتساءل: إن

الخطأ بيّنٌ وجليٌّ، فلماذا يقبل الجميع الخطأ، ويسكتون عنه، ولا يحاول أحد أن ينصح أو يعالج أو يعظ؟! وتتراكم الأخطاء أكواماً عالية تحجب الرؤية، ويعتادها الناس حتى يروها صحيحة مقبولة، والنصّ القرآني جليٌّ مشرقٌ بيّن تخالفه هذه الممارسات الخاطئة؟!

ظاهرة عجيبة تلك هي العصبية الحزبيّة الجاهليّة التي تجعل ولاء المسلم الأول ليس لله، وعهده الأول ليس مع الله، وحبّه الأكبر ليس لله ورسوله. وأصبح الفرد يأخذ الدين هوى في نفسه لهؤلاء أو هؤلاء، وكأنّه لا يقرأ القرآن ولا السنّة ولا اللغة العربيّة، فيقع في معصية بعد معصية دون أن يشعر بذلك، أو أنّه يقرأ بعينيه وقلبه غائب!

لقد حاولتُ النصحَ قدر جهدي حيثما كنتُ، ومع أي مسلم أو جماعة، ولكني شعرتُ أنه من الصعب أن تُقْبَل نَصِيحة ولو رافقتها كلُّ حجج القرآن والسنة وبيّناتها!

في هذه الأجواء لم يكن هناك تبليغ لرسالة الله كما أُنزلتْ على محمد ﷺ إلى النّاس كافّة وتعهدهم عليها ، كان هناك تبليغ لرسالة شَيخ أو عالم تبليغاً لا يرتبط بمنهاج الله ولا ينهض إلى مستواه. ويظل قول الشيخ هو الأعلى وهو القول الفصل، دون أن يرافقه حجّة من منهاج الله، كما هي سنة العلماء في الإسلام.

في هذه الأجواء لم يكن هناك نهج أو خطة نابعة من الكتاب والسنة وفهم الواقع من خلالهما، لإتمام عملية تبليغ رسالة الله كما أسلفنا، ولا لإتمام عمليّة البناء والتربية والإعداد.

فتعطّلتْ طاقاتُ المسلم، وأُخمدت المواهب، أو انحرفت وتفلّتتْ وحسبك اليوم ما تسمعه من شعارات متناقضَة، ومزايدات هائجة، وفتاوى يضرب بعضها بعضاً. وكلّما مضى يوم ترى التمزّق يزيد، والهوان يشتد، والهزائم تتوالى، والديار تتساقط، ومع ذلك يظلّ بعضهم يتغنى ببطولاته وكأنه منتصر هزم الأعداء كلهم وحرّر الديار!

لا بدّ من وقفة إيمانيّة، ومراجعة للمسيرة على أساس من منهاج الله وميزانه، وتقويم ذلك كله، وتحديد الأخطاء على ميزان حقٍّ أمين! إنّ ضجيج الشعارات التي تُحرّك الجماهير آنيّاً لا يسمح بالمراجعة ولا الدراسة ولا المعالجة.

إن هذه التجارب طويلة، ولها دراساتُها المفصّلة، ولكنني أكتفي هنا بهذا الإيجاز لأثير القضيّة ولتُطْرَح ولتُصْبح موضعَ الدراسة والتفكير من الجميع.

وأود أن أوجز أهم الملاحظات على العمل الإسلامي بصورة عامة في نقاط موجزة محددة كما يلي، لتكون النصيحة صريحة جليّة:

١- تفرُّق المسلمين في الأرض: أقطاراً ومصالح وأهواء وأحزاباً، وتمزّقهم وانفراط أخوة الإيمان، مما يخالف النصوص المحكمة في الكتاب والسنّة.

٢- غلبة العصبيات الجاهلية: العائلية، والشخصية، والوطنية، والإقليمية، والقومية، والحزبيّة، فتمزّقت بذلك روابط الإيمان: من رابطة أخوة الإيمان، والرحم، وغير ذلك، علماً أن الإسلام أعاد صياغة العلاقات البشرية كلها صياغة إيمانيّة ربانيَّةً طهرها من جميع أنواع العصبيات الجاهلية ونوازعها، وربطها كلها بالإيمان والتوحيد وما يتبعها من ولاء وعهد وحب ومسؤوليات وحقوق.

٣- غياب النصيحة، حتى أصبح الحال أنك لو نصحتَ بأرقِّ الأساليب مع البيّنة من الكتاب والسنّة، فإنّك تصبح في نظر من نصَحْت عدوّاً.

٤- لم يعد الولاء الأول لله ولا العهد الأول مع الله ولا الحب الأكبر لله ورسوله، وغابت كذلك معانٍ من خصائص الإيمان والتوحيد، فاضطرب الإيمان في نفوس الكثيرين.

٥- لم تعد **الجنة والدار الآخرة ورضوان الله** هو الهدف الأكبر والأسمى للمسلم، بل أصبحت الدنيا بكل غرورها هي المسيطرة على الكثيرين من المنتسبين إلى الإسلام.

٦- لم يعد المسلمون يبذلون في أي ميدان على أساس **النهج والتخطيط ، وتحديد الهدف الرباني ، والدرب الرباني الموصل إلى الهدف** ، والوسائل والأساليب الربانيّة الضرورية لتحقيق الهدف، والإعداد لذلك كله، حتى إن كلمة النهج والتخطيط أصبحت غريبة على الأذهان والنفوس، وكأنها غير مُتَقبلة! فغلب الارتجال والاندفاع والشعارات وضجيجها، لينتقل بعض المسلمين من مأزق إلى مأزق، ومن خطر إلى خطر، ومن مأساة إلى مأساة أوسع. وهذا الواقع الممتد أمامنا يتكلّم!

٧- غلبة الشعارات العاطفية ودويِّها وضجيجها، وكأنها هي كل الفكر والنهج والهدف والوسائل، فإذا سقط شعار قام شعار آخر يدوّي بديلاً منه، وتمضي المآسي بين ضجيج الشعارات التي تلهب الجماهير فيندفعون إليها بعاطفة جياشة وعقول طائشة، حتى يجدوا أنفسهم في ضياع، أو فتنة، أو مأساة جديدة لا تُغني منها كل الشعارات، ويختفي أصحابها في خيبة يتدارون وراء حجب من شعارات جديدة.

٨- تحوّلت مواقف المختلفين إلى صراع على الدنيا وزينتها، يتنافسون عليها، لا يتنافَسُون على الدار الآخرة، فَفُتحت بذلك أبواب واسعة للأعداء يتسللون منها إلى قلب العالم الإسلاميَ، يغزونه بالأفكار الضالة المضلة، وبالفتن والفواحش، وبزينة الدنيا وشهواتها، مع الغزو العسكري كلما لزم الأمر حسب خطتهم التي يغزون بها.

٩- فُرْقَةٌ وتَمزُّقٌ، وصراع وأهواء ، وشعارات وضجيج ، وعدم إعداد ، والاندفاع في نشاط غير مثمر ، كالانتخابات وأجوائها ، والمجالس النيابية ومآسيها ، والارتجال في بذل الدماء والمال والجهد على غير خطة أو نهج والصراعات حولها ، وتنافس الدنيا ، حيث استهلكت هذه الأجواء معظم طاقة العمل الإسلامي ، وبعد مضيٍّ قرن أو أكثر ماذا كان الحصاد والجنى ؟! .

١٠- لقد مرّ العمل الإسلامي بتجارب قاسية مريرة، كان يُفترض أن يستفيد منها. لقد أصاب الفشلُ العملَ الإسلامي في مواقع كثيرة من العالم الإسلامي. وضح أنه لم يُسْتَفَدْ من التجارب التي مرّ بها العمل الإسلامي، ولم تدرس الأخطاء دراسة منهجيّة ولم تحدَّد الأخطاء ولم تعالج، ولم يَكُنْ هناك ميزان أمين ثابت لتحديد الأخطاء، ولم يكن تقويم إيمانيٌّ منهجي، ولم يكن هناك تناصح ولا دراسات منهجيّة صريحة صادقة. فأخذت الأخطاء تتراكم أكواماً هائلة تحجب الرؤية وتمنع التحديد والتقويم والمعالجة. وانظر إلى الواقع أيها المسلم والنتائج التي وصلنا إليها ... !

١١- إن دراسة الأخطاء وتحديدها على أساس منهجي وميزان أمين ضرورة، ومن ثمّ معالجة الأخطاء وفق منهج إيماني نابع من الكتاب والسنة أمر ضروري كذلك . وذلك هو نهج الكتاب والسنة ، كما في موقعة أُحد وغيرها .

١٢- لا عجب بعد ذلك أن يفشل العمل الإسلاميّ في تقديم حلول إيمانيّة نابعة من الكتاب والسنّة، ومن فهم الواقع من خلال الكتاب والسنة، لمشكلات العصر الحديث .

وعلى أثر الفشل أخذوا ينادون بالحلول الغربيّة ويحاولون أن ينسبوها إلى الإسلام افتراءً عليه. هكذا فعلوا لما فزعوا إلى الاشتراكية، ثم العلمانية والديمقراطية والحداثة وغير ذلك! فأطلقوا شعارات: مساواة المرأة بالرجل، دولة مدنية بدلاً من دولة دينية، ومساواة المواطنين جميعاً في الحقوق والواجبات مهما اختلفت مذاهبهم بين مسلم ونصراني ويهودي وشيوعي...، وزوّروا من أجل ذلك حديثاً شريفاً نسبوه إلى الرسول ﷺ ، بأن أخذوا آخره.وأخفوا أوله الذي يغير معنى الحديث كله، والاعتراف بالآخر دون أن يعلنوا من هو الآخر، علماً أن الذي لا يُعترف به هو المسلم! ووجوب اشتراك المرأة في التمثيل، ومشاركتها في المجالس النيابية، وسفرها وحدها دون محرم إلى أي بقعة في العالم. والحقيقة أنه لم يكن هنالك ضرورة لإعلان هذه المبادئ المنحرفة، فهي مطبقة في الواقع عملياً في كثير من المواقع الإسلامية، وقضايا أخرى كثيرة مثل هذه!

١٣- ندَّعي أننا نحارب الغرب الظالم المعتدي الذي استباح الديار والثروات والأعراض، والذي أقام المجازر والسجون والمعتقلات، ندّعي أننا نحاربه وفي الوقت نفسه نتبنى فكره وعاداته ولباسه وأساليب حياته ونظمها وما فيها من انحراف صريح عن الإسلام.

أرجو أن أكون صريحاً واضحاً، وناصحاً أميناً. وأشير إلى أن هذه القضايا كلها لها تفصيلاتها في دراسات مُوسَّعة زادت عن مائة وعشرة كُتُب، أدعو الله أن يتقبّلها قبولاً حسناً إنه هو السميع البصير. **إنها كلها تمثل نهج مَدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن لمعالجة هذا الخلل وتلك الأخطاء.**

لذلك لا عجب إذا قلنا إن التبليغ والدعوة والبيان لم يكن لرسالة الله كما أنزلت على محمد ﷺ إلى الناس كافة وتعهدهم عليها، كما أمر الله:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣٩]

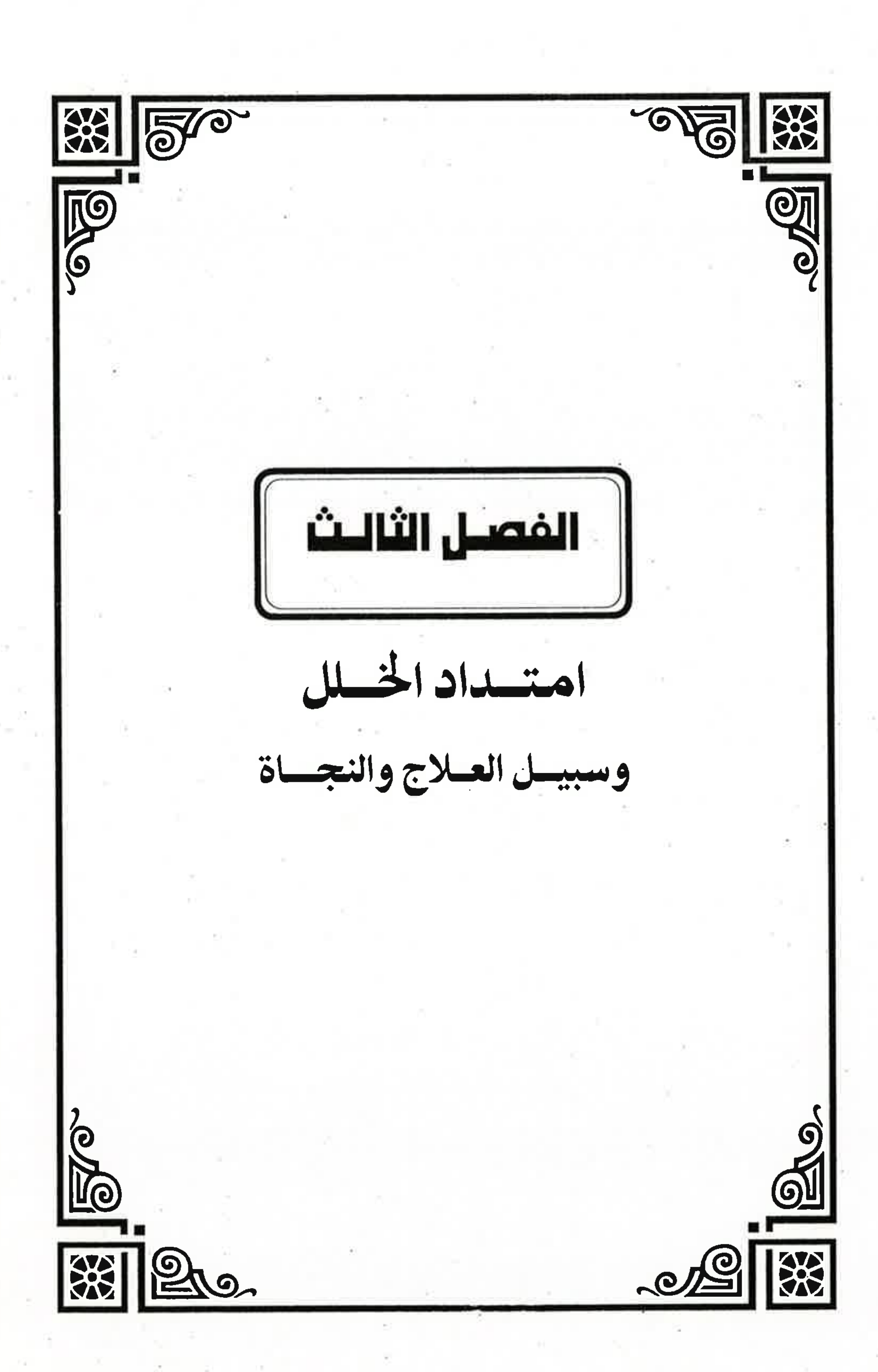
إن هذه القضايا قضايا الجميع، ذلك أننا كلنا مُبْتَلَوْن ونُحاسَبُ بين يدي الله، يوم لا ينفع مال ولا بنون، ولا أنصار وأعوان، ولا شعارات وضجيج، ولا دول ولا جماهير ولا حشود، ولا أرحام!

يُنْزَل الإنسان القبر، وقد ترك كلَّ ذلك خلفه لا يُصاحبه منها شيء ولا يعينه منها شيء إلا عمله، ودعاء ولد صالح له، وصدقة طيبة جارية، أو علم يُنتفع به.

إنّ قضيّة الدعوة الإسلامية ومهمتها قضيّة خطيرة ومسؤولية كبيرة جداً. إنها إنقاذ الناس من عذاب النار في الآخرة، وإنقاذهم من الفتنة في الدنيا. ولا يمكن للدعوة الإسلامية الربّانية أن توفي مهمتها الربّانية هذه بإنقاذ الناس إلا إذا تبرّأت منْ كُلّ عصبية جزبية أو غير حزبية، وإلا إذا كان العهد الأول مع الله، والولاء الأول لله، والحبُّ الأكبر لله ورسوله، وكل عهد أو ولاء أو حب يقام في الدنيا فيجب أن يكون نابعاً من العهد الأول مع الله، ومن الولاء الأول لله، ومن الحب

الأكبر لله ورسوله ، وخاضعاً لشروطها الربانية ، ويجب أن يمضي الداعية المسلم على صراط مستقيم وهو يوقن أن مهمته الحقيقية إنقاذ الناس من فتنة الدنيا ومن عذاب النار، عملاً خالصاً لوجه الله يطلب به رحمة الله ومغفرته وجنته ورضاه .

لقد جاءت الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة بيّنة مشرقة تدعو المؤمنين ليكونوا أمّة واحدة ، وصفّاً واحداً ، وينهاهم عن التفرّق والتمزّق ، الذي لا يمكن أن يحدث إلا من هوى في النفوس ، ومصالح دنيوية تطغى ، وعصبيات جاهلية تهيج !



الفصل الثالث

امتداد الخلل

وسبيل العلاج والنجاة



الفصل الثالث
امتـداد الخـلـل
وسبيل العـلاج والنجـاة

إن قلب العمل الإسلامي يموج بالأخطاء والخلل والمشكلات، حتى أخذت هذه المشكلات تضغط على فكر المسلم ضغطاً ينضمّ إلى ضغط الفكر الغربي العلماني الرأسمالي الديمقراطي، حتى اختلطت الأُمور في عقل المسلم ودفعته إلى الانحراف والدعوة إلى العلمانية كسبيل للنجاة وللتخلّص من تعدّد المذاهب والآراء والفتاوى وتضاربها، وللتخلّص من الصراعات الخفيّة والعلنية. ويلجأ إلى العلمانية لضعف إيمانه وعلمه أو لفتنة ملأت قلبه.

ولكن العمل الإسلامي لا يكشف عما يدور في داخله من أمواج المشكلات والخلل، ولا هو يعالجها، ويظلّ يحاول إخفاءَها، بعد أن ماتت النصيحة، وغاب الميزان، واختفى النهج والتقويم. وغابَ مبدأ ردّ الأمور صغيرها وكبيرها إلى منهاج الله، وأصبح الكثيرون يأتون بالحجة والبيّنة مما قال شيخهم أو رئيسهم ليستدلوا على صحة رأيهم الخاطئ. وأصبح لكل فئة شيخ يأوون إليه، بعيداً عن الكتاب والسنة.

غابت الأهداف الربانية التي يجب تحقيقها في واقع الحياة الدنيا، وغابت الوسائل والأساليب الربانية عن الميدان، ولم تعدْ عمليّة البناء تهدف إلى بناء جيل مؤمن يؤمن بأن له رسالة يحملها في الحياة الدنيا، أَمَرَهُ الله بها وكلفه بالقيام لتحقيقها والمجاهدة من أجل ذلك، لتمثل في حياته جوهر الأَمانة والعبادة والخلافة والعمارة.

إن مبعث معظم المشكلات والأخطاء والخلل هو غلبة الهوى على النفوس، حتى لم يعودوا يَردُّون أمورهم إلى منهاج الله - **قرآناً وسنة ولغة عربية** -. وإذا لم يتحقّق هذا الأمر - ردّ الأمور كلها إلى الكتاب والسنة - فلن يكون هناك

علاج . لقضايا المؤمنين . وكل علاج خارج عن منهاج الله هو مخدّر يقود إلى زيادة الخلل والهوان والزَّلل والمشكلات .

إن كثيراً من الطاقات والمواهب دفنت ، وأصواتها خُنقت ، في أجواء تسود فيها حيناً الغفلة ، وحيناً التحاسد والتباغض ، وحيناً الجَهل وضعف الإيمان . يضاف إلى ذلك اختراق صفوف العمل الإسلامي من قوى معادية ماكرة ، تزيد الفتن والصراع ، فترفع الضعيف ، وتسقط القوي ، وتبرز الخائن وتبعد الأمين ، ويختل الميزان بأيدي الناس دون أن يستطيع أحد أن يكشف الأصابع التي تحرّك أو الأيادي الخفية ، مما يمكنها أن تُسكت أي نصيحة ، أو تقضي أي طاقة ، أو تزيد الصراع والفتن .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال :

" سيأتي على الناس سنوات خداعات ، يُصَدَّق فيها الكاذب ، ويُكَذَّب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويُخَوَّن فيها الأمين ، وينطق فيها الرُّويبضة . قيل : ما الرويبضة ؟! قال : الرجل التافه يتكلم بأمر العامة "
[أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم](١)

نعم ! تضطرب الأمور ، ويختل الميزان بأيدي الناس ، ويغلب الهوى ، وتتناقض الفتاوى ، ويُلْعَبُ بالآيات والأحاديث الصحيحة .

ولكن مهما ساءت الأمور ، ومهما انحرف بعض المسلمين ، ومهما غلب النفاق ، أو كثر التنازل للأعداء ، وحمل شعاراتهم ، والتغني بأغانيهم ، فسيبقى في الأمة أبد الدهر نواة الحق التي لا تُحطَّم أبداً ، ثابتة على الحق ، صادقة به ، ترجو الدار الآخرة هدفاً أسمى ، ترجو رضاء الله وجنته . هذه النواة هي الطائفة الظاهرة التي حدّثنا عنها رسول الله ﷺ . هذه الطائفة الظاهرة قد لا نعرفها بأسماء أفرادها ، وإنما بخصائصهم ، وربما يكون منهم من لا يشار إليه بالأصابع ، ولا هو من أعلام الإعلام .

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم (٣٦٥٠) .

ويمكن أن نتصور هذه النواة التي تُحَطَّم بالنواة الصلبة من بعض الصحابة رضي الله عنهم ، الذين أحاطوا برسول الله ﷺ في معركة أحد ، حين انفرط جمع المسلمين وابتلوا ابتلاءً شديداً ، فأحاط به من الصحابة من يتلقّى السهام عنه ويصدُّ الكفار عن رسول الله ﷺ ، حتى كتب الله للمسلمين النجاة !

فعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرُّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك "(١)

ويأتي هذا الحديث الشريف في أكثر من سبع روايات أخرى : عن جابر بن عبد الله ، وعن جابر بن سمرة ، وعن معاوية بن أبي سفيان ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعن عقبة بن عامر ، وعن عمران بن الحصين ، رضي الله عنهم جميعاً .

وتجمع هذه الأحاديث الشريفة خصائص الطائفة الظاهرة ، ونوجز أهم هذه الخصائص :

١ - أنها تقاتل حقاً في سبيل الله مستوفية جميع الشروط في سبيل الله .

٢ - أنها ظاهرة بثباتها على الحق ، لا تنحرف عن دين الله ، ولا تأخذ من الآيات والأحاديث فتفسد تأويلها ، لتسوِّغ ضعفاً أو تنازلاً تقع فيه ، وإنما تظل ظاهرة بالنيّة الصادقة الخالصة لله ، والكلمة الصادقة ، والشعار الصادق الذي لا يتبدل بين ديمقراطية وعلمانية واشتراكية وعولمة ، ونهج صادق على صراط مستقيم لا يضرها من خالفها .

٣ - أنها ماضية على الحق والصراط المستقيم حتى تُنَازِلَ الدجال أو تقوم الساعة .

٤ - طهَّرت نفسَها من كلِّ عصبية جاهلية .

(١) مسلم : ٣٣/ ٥٣/ ١٩٢٠ .

كم نحن اليوم بحاجة إلى هذه الخصائص الربانية . ومن أحب أن ينتسب إلى هذه الطائفة الظاهرة ، فهي ليست حزباً ولا تجمعاً خاصاً يدخل في صراع مع أحزاب أخرى وتجمعات أخرى ، وإنما يحمل هذه الخصائص الربانيّة ويمضي بها حتى يلقى الله .

لعله آن الأوان لأن تقف الحركات الإسلامية والدعاة والعلماء وكل من يؤمن أنه محاسَبٌ يوم القيامة بين يدي الله ، وقفةً إيمانيّة ربّانية ، يحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسَبوا، ويراجعون مسيرتهم كلها ، ويحَدّدون أخْطاءهم وَانحرافاتهم ، كلٌّ ذلك على ميزان حَقٍّ أمين ، هو منهاج الله - قرآناً وسنّة ولغة عربية- ولقد دعونا إلى ذلك في كثير من دراساتنا وكُتبنا ، وبصورة خاصة في كتابنا " **مواجهة المشكلات وتحديدُ الأخطاء والتقصير ومعالجتها** " ، وقبل ذلك كله في مقالة في مجلّة الأمة القطرية قبل أكثر من عشرين سنة بعنوان: " الوقفة الإيمانيّة " ، وكذلك بدراسات قُدّمت لمعظم الحركات الإسلامية ولعدد من الدعاة في أقطار متعددة من العالم الإسلامي ، وفي كتاب " **حتى نغيّر ما بأنفسنا** " !

وأهم من كلٍّ ما كتبتُه أو قلُته، هو واقع المسلمين اليوم ، فمن بين طوفان الشعارات، وطوفان القنوات الفضائية ، وطوفان المؤتمرات ، يقدّم الواقع بنكباته مواعظ تقرع القلوب ، من بين الهزائم المتتالية ، والإذلال والهوان ، ولكن تظل الخطوات الارتجالية ماضية تزيد الهزائم والهوان والإذلال.

ما زال عدد المفتونين بخدعة الديمقراطية مع هول جرائمها وكذبها يزداد، وما زال ضجيجهم يعلو، وجرأتهم بالباطل تقوى وتشتد، وما زال المسلمون في خشية من أن ينهضوا لينشروا دين الحق ويدعوا إلى الحقّ، إلا إذا مزجوه بباطَلَ الديمقراطية وفساد العلمانيّة وخدعة الحداثة، يتقرّبون بها إلى الغرب ليرضى عنهم، أو ليُقال عنهم إنهم متحضرون.

ما زالت الفتنة تتسع والخطر يمتدُّ ، والوهَنُ يشتد، وكأنما عذاب من الله ينزل ليذكّر .

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]

نعم! صدق الله العظيم، وصدق وعده بالنصر أو بالعذاب، النصر لمن آمن وصدق والتزم وأوفى بعهده مع الله، والعذاب لمن خالف وانحرف ولم يلتزم وأصرّ!

أعجب من دعاة أو قوم يقولون إنهم مسلمون ثم يدعون إلى الديمقراطية أو العلمانيّة، ويبذلون مِن أجل ذلك ما لا يبذلون من أجل الإسلام!

وأعجب من قوم يدّعون محاربة أمريكا ثمّ هم يتبعون أفكارها وشعاراتها، ويتقرّبون سرّاً أو علانية إليها، كأنهم يحسبون أنّ الله غيرُ مطَّلع على ما في صدورهم!

﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [البقرة: ٩]

والأعجب من ذلك أن منهم من يعرفون أنهم كذّابون أو منافقون، ويخفون كذبهم أو نفاقهم، ويمضون على ذلك، كأنهم لا يقرؤون كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، أو أنهم حوّلوا الآيات والأحاديث شعارات يُدوّون بها في المناسبات الإعلامية لا يرافقها التزام ولا خشية من الله. أيُعْقَل أن هؤلاء لم يدركوا البون الشاسع بين الإسلام والديمقراطية، بين صدق الإيمان والانحراف إلى العلمانية؟!

أيعقل أن هؤلاء الدعاة والعلماء لم يدركوا كم مزّقت الحزبيّة والعصبيات الجاهلية أمر المسلمين، وكم أوهنت قواهم، وكم فتحت من ثغرات لأعدائهم يتسللون منها ليزيدوا المسلمين فرقةً وشتاتاً وتمزُّقاً وانحرافاً، وهزائم وهواناً؟!

ألم يدركوا أن هذا التمزّق معصية كبيرة لله سبحانه وتعالى ومخالفة صريحة لنصوص الكتاب والسنّة؟! ألم يقرؤوا قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

ألا يشعر المسلمون اليوم بأنهم يعصون أمر الله الحاسم: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا... ﴾ ؟! كيف يرضون بهذه المعصية الواضحة لله، ثم يطلبون منه النصر والعون والمدد؟!

ألا يشعرون أن هذه الفرقة نتيجة حتمية للعصبيات الجاهلية التي حرّمها الله ورسوله، فعصينا الله ورسوله، والتزمنا العصبيات الجاهلية بكل أنواعها وألوانها، ومنها "الحزبيّة" التي جعلت الأمة المسلمة أشتاتاً مع سائر أنواع العصبيات الجاهلية.

إن أعداء الله، وهم يمضون في حربهم الممتدة ضد الإسلام والمسلمين، إنما يمضون على نهج محدّد وخطة مدروسة اجتمعت عليها قواهم جميعاً وعزائمهم. فغزونا بخططهم ونحن لا خطة لنا إلا الشعارات الآنيّة والمواقف الارتجالية!

ألم يشعر المسلمون أنهم يُستدْرَجون شيئاً فشيئاً من فتنة إلى فتنة، ومن معصية إلى معصية، بخطوات مدروسة لدى الأعداء ، وإذا نحن ننقلب لنَصْمتَ عن شعار كنا نرفضه، ثم بعد الصمت نعلن قبولنا به، ثم نصبح من دعَاته والمدافعين عن باطله الذي زّينته شياطين الإنس والجن.

وهكذا انتشرت الخمور بين المسلمين ، وصمت عنها الكثيرون، ثم أخذوا يشربونها ثم يدعون إليها. ورافقتها الفواحش التي أخذت تنتشر حتى أصبح لها أماكن خاصة يرتادها الفاسقون، ثم إذا هي تنتشر تحت شعار الديمقراطية، شعار الحرّية الفردية التي تمارس في هذه الأجواء من الفتنة والفساد، وأما في غيرها فحرّية يغشاها الخدر والسكر ليُساق الإنسان عن غير وعي إلى ما يريده الطغاة والمجرمون. لقد جعل هؤلاء الطغاة والمجرمون جميع أنواع المتع المحرّمة مباحة،

حتى توفّر الخدر والسكر للناس، وحتى يُشغلَ الناسُ بها عن أي معنى كريم في حياة الإنسان، وحتى يساقوا إلى متاهات واسعة، وإلى هلاكهم!

هذه هي الحرّية القاتلة وهذه هي الديمقراطية المجرمة. ثم تنفتح هذه الحرّية وهذه الديمقراطية على فتن جديدة، ودعوات جديدة لا تنتهي. ومن أخطر ما أفرزته هذه الديمقراطية هو الدعوة إلى مساواة " المرأة والرجل " مساواة كاملة لتدخل المرأة جميع ميادين الحياة مثل الرجل ومعه : في التمثيل والمسرح والغناء والرّقص، ولتصبح الفاحشة تمارس في بعض الأماكن العامة علانية دون حياء ولا خشية لا من الناس ولا القانون، ولا خشية من عذاب الله الذي هو حقّ! فهلكت النساء وهلك الرجال .

وترى بعض المسلمين يدعون إلى مساواة المرأة بالرجل ، ويحاولون تسويغ ذلك بتأويل بعض الآيات والأحاديث، فيكذبون على الله ورسوله، ويزدادون إثماً على إثم، وضياعاً على ضياع، ويمضون في تجديد الفتن والانحراف، ويتّبعون خطوات الشيطان خطوة خطوة، حين يغلب عليهم الخدر والسكر، فتعمى الأبصار والقلوب، وتنهار القيم!

كم من المجتمعات التي تنتسب في أصلها إلى الإسلام، لم يعد للإسلام فيها شريعةٌ ولا حكمٌ، إلا ما يُحتاج إليه أحياناً من شعارات لتُخْفي الجريمة والمعصية والانحراف. اختفت الشريعة الإسلامية في عدد غير قليل من الأقطار المنتسبة إلى الإسلام، وربما يمتدّ اختفاؤها تدريجياً في أقطار أخرى.

مناهج التربية والتعليم أخذت شكلاً جديداً تختفي فيه معالم الإسلام، حيث زاحمتها معالم الوطنية والقومية وأمثالها، ولم يعد الكتاب والسنة واللغة العربية هي قاعدة بناء الأجيال المؤمنة، وتلا ذلك انحلال الأسرة، فغلبت شرور الحضارة الغربية على البيوت والأسر، وامتدت معالم العلمانية والديمقراطية، كلّ ذلك يتسلّل وينسلُّ إلى المجتمعات المنتسبة إلى الإسلام شيئاً فشيئاً .

غزت الفتنة الأسر والبيوت، والمدارس والمعاهد، ووسائل الإعلام، وساحات الترفيه، وميادين أخرى آخذة بالازدياد في فتنتها وانحرافها! وكأن المجتمعات الإسلامية متجهة إلى التغريب، إلى العلمانية والديمقراطية والفكر الغربيّ بكل ما فيه من فساد ورذائل وفواحش.

ربما يقول بعضهم إن الغرب هو الذي قدّم لنا رفاهية الحياة الدنيا من سيارات وطائرات، ومصانع وأدوات كثيرة، وعلوم كثيرة مفيدة. نقول لهم: نعم! لقد قدّمت الحضارة الغربية هذه المصالح المادّية من علوم وصناعة، ولكنها سخّرت ذلك كله لممارسة أسوأ أنواع الجرائم في الأرض كلها: عمائر تنهار على سكانها، ومجازر تتدفّق فيها الدماء وتتطاير الأشلاء، وعزل كامل عن الإيمان بالله والدار الآخرة.

إنه ابتلاء من الله ما بين عقاب وعذاب وما بين تمحيص واختبار وما بين تذكير وإنذار، فلا يُغَرَّنّ أحد بزيف هذه الحضارة، إلا أن ينهض المسلمون فيصنعوا هم كما يصنع أولئك، ويَبْنوا صروحَ العلم كما بنى أولئك، ليكون هذا كله قائماً على صدق الإيمان واليقين بالله واليوم الآخر، وصدق التزام منهاج الله في الأمر كله، فيصبح السلاح نعمةً على الإنسان، يُبَدِّلُها المجرمون لتكون بلاءً وفتناً وعذاباً. إنها نعَمُ الله التي يجب أن توضع في طاعته ونصرة دينه لتكون كلمة الله هي العليا في الأرض وشرعه هو الأعلى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨ - ٣٠]

إنّ أخطر آثار الرأسمالية والديمقراطية والعلمانية أنها عزلت الإنسان فكراً وممارسة عن الإيمان بالله واليوم الآخر، وربما أبقت من ذلك شعارات فقط، لتخدع الناس وتخفي جرائمها ولتخدر الشعوب بهذه الشعارات الخالية من أي محتوى .

لقد أصبح الناس بعامة يلهثون وراء الدنيا يطلبون زينتها وزخرفها، ويتنافسون عليها، ويتصارعون من أجلها، ناسين الموت والساعةَ والبعث والحساب والدار الآخرة! جهود العلمانيين في هذا السبيل جادة كثيرة منسّقة تمضي على خطة ونهج. ولقد أصبح كثير من المسلمين عندما ينادون بالإصلاح وتحسين الأحوال إنما ينادون بإصلاح دنياهم ومصالحهم المادّية، ومن أجل ذلك يغضبون أو يرضون، ويقاتلون وينتحرون، واختفت معاني " في سبيل الله " عن حقيقة التصوّر والممارسة والتطبيق!

لا تكاد تشعر اليوم بأن المسلم يحمل رسالة ربّانيّة أمر الله بحملها لتكون هي حقيقة مهمته ووجوده في الحياة الدنيا. هي المهمّة التي خلقه الله للوفاء بها في الدنيا، إنها هي حقيقة الأمانة التي حملها الإنسان، والعبادة التي أُمر بها، والخلافة التي جُعلتْ له، والعمارة التي أُنيطت به، والتي سيحاسَب عليها يوم القيامة:

وكأن بعض المسلمين اليوم، نَسُوا قوله سبحانه وتعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

ونسُوا أنّ عليهم أن يوفوا بالمهمّة التي خُلقوا للوفاء بها، وأن الله قد أخذ عليهم عهداً وميثاقاً أن يلتزموا وينهضوا ويوفوا بالأمانة والعهد والمهمة.

طغت التصورات المادية الدنيوية، وأقبلت النفوس على الدينا، ولا يُعجزهم هواهم عن أن يسوِّغوا ذلك بتأويل فاسد لبعض الآيات والأحاديث، ويعلنون ذلك بجرأة، دون أن يشعروا بأنهم في فتنة كبيرة. فلا عجب بعد ذلك أن نسمع من بعض الدعاة من يقول:

نريد دولة مدنيّة لا دينيّة، يتساوى فيها جميع المواطنين بالحقوق!

الإسلام أعطى لليهود والنصارى نفس حقوق المسلم، ويكذبون بذلك على الله ورسوله!

يجب الاعتراف بالآخر! ومن هو هذا الآخر، لعله اليهود وإسرائيل!

لقد قرّر الإسلام مساواة المرأة بالرجل!

يجب على المرأة المسلمة أن تشترك في التمثيل السينمائي لضرورة " الدراما " !

العلمانيّة مساوية للإسلام في مقصودها!

لا نملك إلا أن نندمج في النسيج الثقافي والديني الغربي!

وقس على ذلك ما يصدر من عشرات الفتاوى المخالفة مخالفة صريحة للكتاب والسنة، وتنشرها وسائل الإعلام من قنوات فضائية وصُحف ومجلات وكتبٍ وغير ذلك.

لقد أصبح للفتنة والفساد جنود كثيرون يقودهم الشيطان من أنوفهم ليعلنوا هذه الفتنة أو تلك! وبعض جنود الإسلام شُغلوا بالدعوة إلى الديمقراطية والعلمانية، وتخلّوا عن الدعوة إلى الإسلام. وبعضَ جنود الإسلام شُغلوا بالدفاع عن حضارة الغرب كلها وعن الغرب نفسه، وبذلوا جهوداً كبيرة من أجَل ذلك.

هذه لمحات سريعة موجزة عن الفتن التي يمرّ بها المسلمون اليوم، يضاف إليها الهزائم في الميدان، وضياع البلدان، وامتداد الغزو العسكري في أرض الإسلام، وهوان المسلمين وضعفهم!

لا بد أن يفكر كل مؤمن بوسيلة للخروج من هذا الهوان، وأن يعرض نهجاً وخطة توصل إلى شاطئ النجاة بإذن الله.

وإني أُقدِّم من أجل ذلك: " **نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن** " بكامل نظريته العامة، ومناهجه، ونماذجه، ووسائله، وأساليبه ونظامه الإداري، ونهجه المحدد للدعوة، والأهداف الربانية الستة المحددة كذلك، وبدراساته المفصّلة التي تجاوزت مئة وعَشرة كتب في مختلف ميادين الحياة. ونوجز رأينا بنقاط محددة :

١ - يجب عـودة المسلمين إلى الله عـودة صـادقـة أمـينة، وذلك عن طريق وضع خطوات عـملية تطبيقية، يلتزمها الفرد المسلم والأسرة المسلمة، لتمتدّ هذه الخطوات حتى تشمل المسلمين جميعاً.

٢- يجب وضع منهج دراسيّ تربويّ دعويّ واحد يتّبعه الجميع، ليكون للدعوة الإسلامية منهجٌ واحدٌ كما كان الحال في مدرسة النبوّة الخاتمة ، مدرسة محمد ﷺ . وأساس ذلك ما نسميه " **المنهاج الفرديّ أو الذاتيّ** " ليكون منهج كلّ مسلم يمارسهُ بنفسه مستعيناً بمن يحتاج إلى معونتهم، ليتدرّب من خلال ذلك على المبادرة الذاتية بالحوافز الإيمانية، والاعتماد على نفسه، والتدرب على التخطيط والعمل المنهجي. وهذا المنهاج الفردي يقوم على أساس منهاج الله- قرآناً وسنة ولغة عربيةـ ، وقواعد الإيمان والتوحيد ، ومدرسة النبوّة الخاتمة ، ودراسة الواقع من خلاله.

٣ - يرتبط هذا المنهاج الذاتي بما نسميه بيان الإشراف يُلَّخص فيه ما طبقه ومارسه المسلم خلال الشهر كله، ليُرفع إلى المشرفين من الدعاة، ليُدرَسَ مستوى الالتزام ومواطن الضعف، ووسائل التحسين ، ولتُدْرَس وسائل العلاج.

٤ - يوضع منهج محدد للقاء المسلم بالمسلم منطلقاً من حديث رسول الله ﷺ :

" **... ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده...** " (١)

٥- يُوضع منهج له نماذجه للتقويم الدوري لهذا النشاط أو ذاك، ليتدّرب المسلم على تقويم عمله وملاحظة أخطائه ونواحي ضعفه ليعالجها. ومن هذه النماذج : " تقويم منهج الداعية " ليمارس مرّة أو مرّتين في السنة، يراجع فيها المسلم مسيرته خلال ستة أشهر أو خلال سنة، وكذلك نموذج « **تقويم منهج لقاء المؤمنين** » .

---

(١) مسلم : ٤٨/ ١١/ ٢٦٩٩ .

٦- يُوضَع نموذج تفصيلي نسميه " ميزان المؤمن " ليزن المسلم الناس والمواقف على أساس إيماني رباني، لا على أساس جاهلي.

٧- تُوضع مناهج ونماذج لتدريب المسلم على التخطيط لإدارة وقته وتنظيمه في يومه وأسبوعه وسنته: ونسمي هذه النماذج: الخطة اليومية، والخطة الأسبوعية، والخطة السنوية.

٨- وتأتي بعد ذلك نماذج مختلفة أخرى لتدريب المسلم على التخطيط والإدارة والتفكير الإيماني ، وتحمل المسؤولية ، ومحاسبة نفسه .

٩- يَهدف هذا النهج وهذا المنهج أن يتزوّد المسلم بالزاد الحقّ اللازم له في ميدان الدعوة والبلاغ ، من إيمان صاف وتوحيد صادق ، وعلم وافٍ بمنهاج الله ، وخبرة تنمو مع الممارسة في الإيمان .

١٠- من خلال دراسة منهاج الله ، ودراسة الواقع وأحداثه وأفكاره من خلاله ، يَبْرُز النهج السياسي الذي يجب أن يفقَهَهُ المؤمن من القضايا والأحداث والمبادئ ، بكل جوانبه واضحاً جلياً .

ويجب أن نتذكر دائماً أننا حين ندعو الناس إلى الإسلام إلى الإيمان والتوحيد ، واجبنا أن نقدِّم لهم أولاً كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما جاءا باللغة العربية ما أمكن ذلك ، وأن نوضح لهم أن واجبهم التزام دراسة منهاج الله ـ **قرآناً وسنة ولغة عربية** ـ ، وأن مسؤولية الدعوة الإسلامية أن تعينهم على بلوغ ذلك والتدريب عليه وتحقيقه ، ثمَّ نقدّم لهم من الجهد البشريِّ والتخطيط ورسم الدرب ما هو ضروري لتدبُّر منهاج الله والتزامه وممارسته في واقع الحياة ، وما يرسم لهم الخطة والنهج ليمضوا على صراط مستقيم .

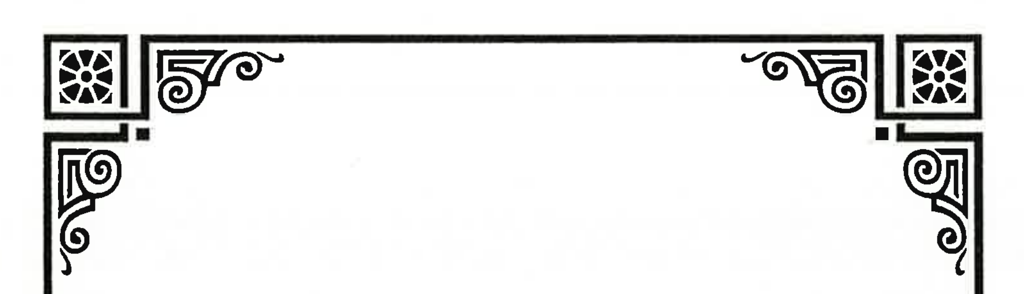
يجب أن نقدِّم للعالم كلَّه ديناً واحداً ، دين الإسلام الحق ، كما أُنْزل على محمد ﷺ باللغة العربية . يجب أن نقدّمه بجرأة ووضوح ، على أن يكونَ الداعية قدوة في الالتزام بمنهاج الله دراسة وتدبّراً وحفظاً وممارسة ، يحمل معه النهج

والخطة والمناهج التطبيقية والنماذج والوسائل والأساليب التي تعين على صدق الالتزام والتدبّر والتطبيق .

هذا موجز ما يقدمه «**نهج مدرسة لقاء المؤمنين**» ، نهجاً نابعاً من أسس الإيمان والتوحيد ، ومن منهاج الله ، ومن مدرسة محمد ﷺ ، مدرسة النبّوة الخاتمة ، المدرسة الممتدة مع الزمن كله ، ليكون هذا النهج نهجاً لكل مسلم ، وكل أسرة ، وكل حركة ، في عمل منهجيّ غير حزبيّ ولا هو عمل سرّي ! ليكون أساس لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن ، وأساس تحقيق القاعدة الهامة :

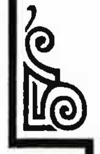
إن الله سبحانه وتعالى واحد ، وإن دينه واحد ، فيجب أن تكون الدعوة الإسلامية واحدة ، ويجب أن يكون المؤمنون أمةً واحدة وصفاً واحداً .





الفصل الرابع

أهمية التدريب المنهجي في الدعوة الإسلامية








الفصل الرابع
أهميـة التدريـب المنهجـي
فـي الدعـوة الإسلاميـة

من أهم ما يجب أن تتميّز به مدرسة الدعوة الإسلامية الواحدة قدرتها على التدريب المنهجي والإعداد على قضايا أساسية رئيسة ، بالإضافة إلى التدريب على كل ما يحتاجه الداعية المسلم من أمور . ويجب أن يكون التدريب خاضعاً لمناهج تربوية وخطة تطبيقية عملية .

ونوجز هنا الآن أهم القضايا التي يجب التدريب عليها من خلال المناهج والبرامج :

١ - يجب التركيز على غرس قضية الإيمان والتوحيد في النفوس ، وغرس خصائصها كما وردت في منهاج الله ، مستعينين بمنهاج الله ـ قرآناً وسنة ولغة عربية ـ ، وبسيرة الرسول ﷺ ، وحياة الصحابة الأبرار رضي الله عنهم ، والصالحين الصادقين على مرّ الزمن ، لنأخذ من ذلك نماذج إيمانية قوية تهزّ النفوس وتبنيها ، حتى يصبح الولاء الأول لله وحده ، والعهد الأول مع الله وحده ، والحب الأكبر لله ورسوله ، ولتصبح قضية الإيمان والتوحيد هي القضية الكبرى في حياة كل مسلم ، وهي الأخطر في مسيرته ، وتمحى العصبيات الجاهلية بكل أشكالها .

٢ - تذكير المسلم بعهده مع الله ، العهد الذي أخذه الله من كل إنسان وهو في عالم الذر ، والذي أخذه من كل الأنبياء والرسل الذين ختموا بمحمد ﷺ ، وأخذها من الذين آمنوا بهم واتبعوهم ، عهداً موثقاً تأكد مع كل نبي ورسول ، حتى يكون كل عهد يؤخذ في الدنيا نابعاً من العهد مع الله ومرتبطاً به .

٣ - تدريبه على كيفية دراسة منهاج الله دراسة منهجيّةً صحبة عمر وحياة لا تتوقف حتى يلقى الله ، وعلى تدبّره وممارسته في واقع حياته في حدود مسؤوليته ووسعه .

٤ - تدريبه على كيفيّة ردّ الأمور كلها صغيرها وكبيرها ، وردّ الواقع كله ، إلى منهاج الله ، ليكون فهمه للقضايا والأمور فهماً إيمانياً صادقاً .

٥ - يجب تدريبه على التفكير الإيماني النابع من أُسس الإيمان والتوحيد ، ومن منهاج الله .

٦ - يجب تدريبه على معرفة مسؤولياته الفردية التي سيُحاسَب عليها بين يدي الله يوم القيامة . وكيف تمتد المسؤولية إلى الوالدين والأسرة والمعاهد ومؤسسات الأمة ، وكلِّ مستوى .

٧ - يجب تدريبه على مواجهة المشكلات وعدم الهروب منها ، وإيجاد الحلول لها .

٨ - يجب تدريبه على محاسبة نفسه محاسبة دورية وفق نماذج معدّة لذلك ، ليعالج أخطاءه وتقصيره ، وليصدق التوبة والإنابة .

٩ - من خلال ذلك كله ، ومن خلال منهاج الله ، يجب تدريبه وإعداده ليعي المهمة التي خلقه الله من أجل الوفاء بها في الحياة الدنيا ، والتي سيُحاسَب عليها يوم القيامة ، ليشعر ويؤمن أن له رسالة في الحياة يعيش من أجل الوفاء بها .

١٠ - يجب تدريبه على وعي حقيقة أخوة الإيمان واحترامها والوفاء بحقوقها ومسؤولياتها .

١١ - يجب تدريبه على تبليغ رسالة الله كما أُنزِلَتْ على محمد ﷺ إلى الناس كافة وتعهّدهم عليها .

١٢ - يجب تدريبه على وجوب مساهمته في بناء لقاء المؤمنين وبناء الأمة المسلمة الواحدة ، صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص .

١٣ - وكذلك تدريبه على قضايا في الممارسة الإيمانيّة مثل :

* حرية إبداء الرأي وشروطها ووجوب توافر الدليل والحجة مع الرأي .

* آداب النصيحة ووجوبها .

* الشورى وآدابها وقواعدها .

* التعاون بين المؤمنين جميعاً .

* واجباته في البيت والأسرة والأرحام ، وقضايا أخرى كثيرة تتجدد مع الممارسة والتطبيق ، ومبيّنة في دراساتنا المفصّلة .

١٤ - تدريبه على وضع الخطة ورسم النهج في أيّ عمل ، واجتناب الارتجال والتسرَع والفوضى .

١٥ - تدريبه على اتباع النظام الإداري ليكون أساس التعاون والتنسيق بين مختلف المستويات .

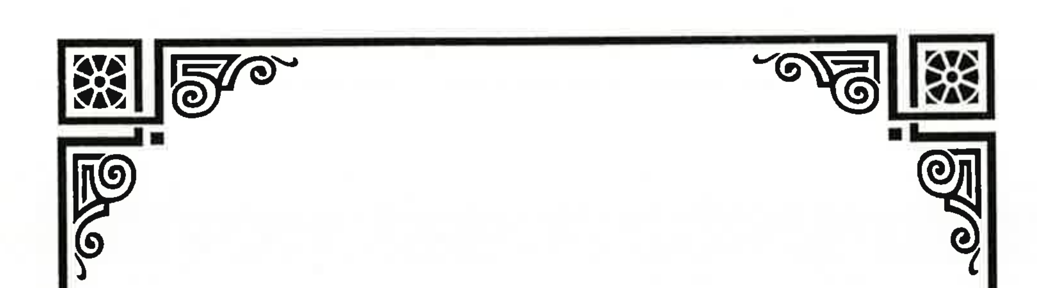
١٦ - تذكيره وتدريبه على الوفاء بمسؤوليته في تحقيق الأهداف الربانيّة الستة على صراط مستقيم ممتد إلى الهدف الأكبر والأسمى ـ الجنة والدار الآخرة ورضوان الله .

وفي مسيرة حياتي قد تكون هناك أخطاء ، فكلُّ بني آدم خطاء ، ولكن هناك مراجعة مستمّرة ومحاسبة للنفس دائمة ومنهجية ، أبذل الجهد على نور من منهاج الله، وأسأله النجاة ، بيده الأمر كله وله الملك كله ، وله الحمد كله !

ولكنّ القضية المهمة هي تبليغ رسالة الله كما أُنزلت على محمد ﷺ والدعوة إلى الإيمان والتوحيد ، ومحاولة غرسهما في القلوبَ بالتعهّد المستمر .

أقدم في الباب الثاني بعض المواقف الإيمانية والتجارب الدعوية مع نماذج مختلفة من الناس ، علماً أن هذه المواقف والتجارب لم تكن الوحيدة أو الميدان الوحيد . فالميدان واسع والمواقف كثيرة ! ولكن اخترت باجتهادي بعضاً منها .





الفصل الخامس

أيها المسلم

أنعم الله عليك بنعمه الكثيرة

فأين وضعت هذه النعم ؟!











الفصل الخامس

أيها المسلم

أنعم الله عليك بنعمه الكثيرة

فأين وضعت هذه النعم ؟!

يقول الله سبحانه وتعالي :

﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ١٨]

نعم ! قد أنعم الله سبحانه وتعالى على عباده نعماً جُلّى ، مهما حاول الإنسان أن يُحْصِيها فإنه لايستطيع أبداً .

ولكن الله سبحانه وتعالى لم ينعم على عباده بهذه النعم فحسب ، وإنما كلفه أن يضع هذه النعم كلّها في طاعة الله ونصرة دينه وإعلاء كلمته . لم يعط الله سبحانه وتعالى هذه النعم التي لاتحصى للإنسان حتى يتمتّع بها تمتُّع الأنعام :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

والله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وكلّفه بمهمة عظيمة ليوفي بها في هذه الحياة الدنيا ، مهمّة سيُحاسَب عليها يوم القيامة يوم الحساب ، بل هي محور الحساب كله . إن اللّه سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان عبثاً أبداً :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ

فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٧]

خلق الله الإنسان ليوفي بمهمة عظيمة في الحياة الدنيا، وبيّن الله لنا في كتابه المبين هذه المهمة، بيّنها بإيجاز في أربعة مصطلحات:

العبادة، الأمانة، الخلافة، العمارة!

ثم فصَّل كل واحدة من هذه المصطلحات تفصيلاً وافياً في كتابه الكريم. وكلّف الإنسان أن يضع ما وهبه الله من نعم في الوفاء بهذه المهمة.

وكما أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان عبثاً بل حدّد له مهمته وتكاليفه، فإنه كذلك لم يتركه سدى:

﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ [القيامة: ٣٦]

لم يترك الله عباده سدى، وإنما وفّر له جميع الإمكانات الضرورية ليوفي الإنسان بما كلفه الله به، ليوفي بالمهمة التي خلقه الله لها. وهبه السمع والبصر والفؤاد، ليسخّر ذلك في الوفاء بمهمته، ويكون السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك مسؤولاً عن عمل الإنسان ومدى وفائه بالعبادة والأمانة، والخلافة والعمارة:

﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]

ووفّر الله من خلال ذلك الفطرة السليمة التي فطره الله عليها لتعينه على الوفاء بالمهمة التي خُلقَ لها.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠]

وهذه من أجلِّ النعم التي أنعم الله بها على الإنسان أن غَرس الإيمان والتوحيد وهذا الدين في فطرة سليمة للإنسان فطره الله عليها، إلا أن تُشَوَّه هذه الفطرة فيفسد أداؤها، ويفسد كذلك عمل الإنسان.

إن الخطأ الكبير الذي قد يقع فيه الإنسان ، والإنسان المسلم بخاصة ، أن يضع نعَمَ الله عليه في غير طاعة الله ، وفي غير الوفاء بالمهمّة التي خلقه الله لها ، والتي تَقوم كلها على صدق الإيمان والتوحيد دون أيّ شرك .

خطأ كبير وإثم عظيم يدفع الإنسان دفعاً إلى الشرك ! فيقع في بلاء عظيم وخسران مبين .

ونذكر في هذا الصدد حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه الحارث الأشعري :

" إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها . وإنه كاد أن يبطيء بها . فقال عيسى : إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها ، فإما أن تأمرهم ، وإما أن آمرهم . فقال يحيى : أخشى إن سبقتني بها أن يُخْسَف بي أو أن أُعذَّب . فجمع الناس في بيت المقدس ، فامتلأ المسجد ، وتعدّوا على الشُّرَف ، فقال : إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهنّ وآمركم أن تعملوا بهنَّ : أولهنّ أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً . وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجلَ اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق . فقال : هذه داري وهذا عملي ، فاعمل وأدّ لي . فكان يعمل ويؤدّي إلى غير سيَده ، فأيّكم يرضى أن يكون عبده كذلك ؟! وإن الله أمركم بالصلاة فإذا صلّيتُم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته مالم يلتفتْ . وآمُرُكم بالصيام ، فإن مَثَلَ ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرّة فيها مسك ، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها ، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . وآمُرُكُ بالصدقة فإن مَثَلَ ذلك كمثل رجل أسره العدو ، فأوثقوا يده إلى عنقه وقدّموه ليضربوا عنقه . فقال : أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ، ففدى نفسه منهم . وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدوّ في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم . كذلك العبد لايحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله . قال النبي ﷺ : وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن : السمع والطاعة والجهاد

والهجرة والجماعة (أي الجماعة الواحدة والأمة الواحدة) فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع ، ومن ادّعى دعوى الجاهلية فإنه من حُثَا جهنم . فقال رجل يارسول الله ! وإن صلى وصام ؟! قال : وإن صلى وصام . فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله » .

[أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح] (1).

من هنا نرى أنه من الناس من قد يضع نعم الله عليه في طلب الدنيا وزينتها ، يطلب السمعة والمركز ، أو يطلب المال ، أو يضع نعم الله عليه في خدمة غير الله ونصرة غير الله ، يعطيه وقته وجهده وفكره ، فماذا يكون قد أبقى لله وللإسلام ، إلا ما يحسبه من شعائر انحرف بها عن جوهر العبادة ومعنى التوحيد !

واذكر أيها المسلم قول الرسول ﷺ : "... **وإن صلى وصام !** " ، فادعُ بدعوى الله ، وضعْ فيها نعم الله عليكم وأوفِ بعدك مع الله ، واذكر قوله سبحانه وتعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾

[إبراهيم: ٢٨]

فلا تبدّلْ أيها المسلم نعمة الله عليك كفراً ، وأنت تلهث وقتك كله أو معظمه وراء الدنيا أو زينة من زينتها .

أَوْفِ بعهدك مع الله ، وأوفِ بكل عهد عاهدت عليه نابعاً من العهد مع الله . وأهم ذلك وأخطره أن تبلّغ دعوة الله إلى الناس كافّة كما أُنْزلتْ على محمد ﷺ ، وتتعهدهم عليها ، وأنت قد تزوّدت بالزاد الحق إيماناً وعلماً .

---

(١) الترمذي : كتاب الأمثال : رقم ٢٨٦٣ .







الباب الثاني

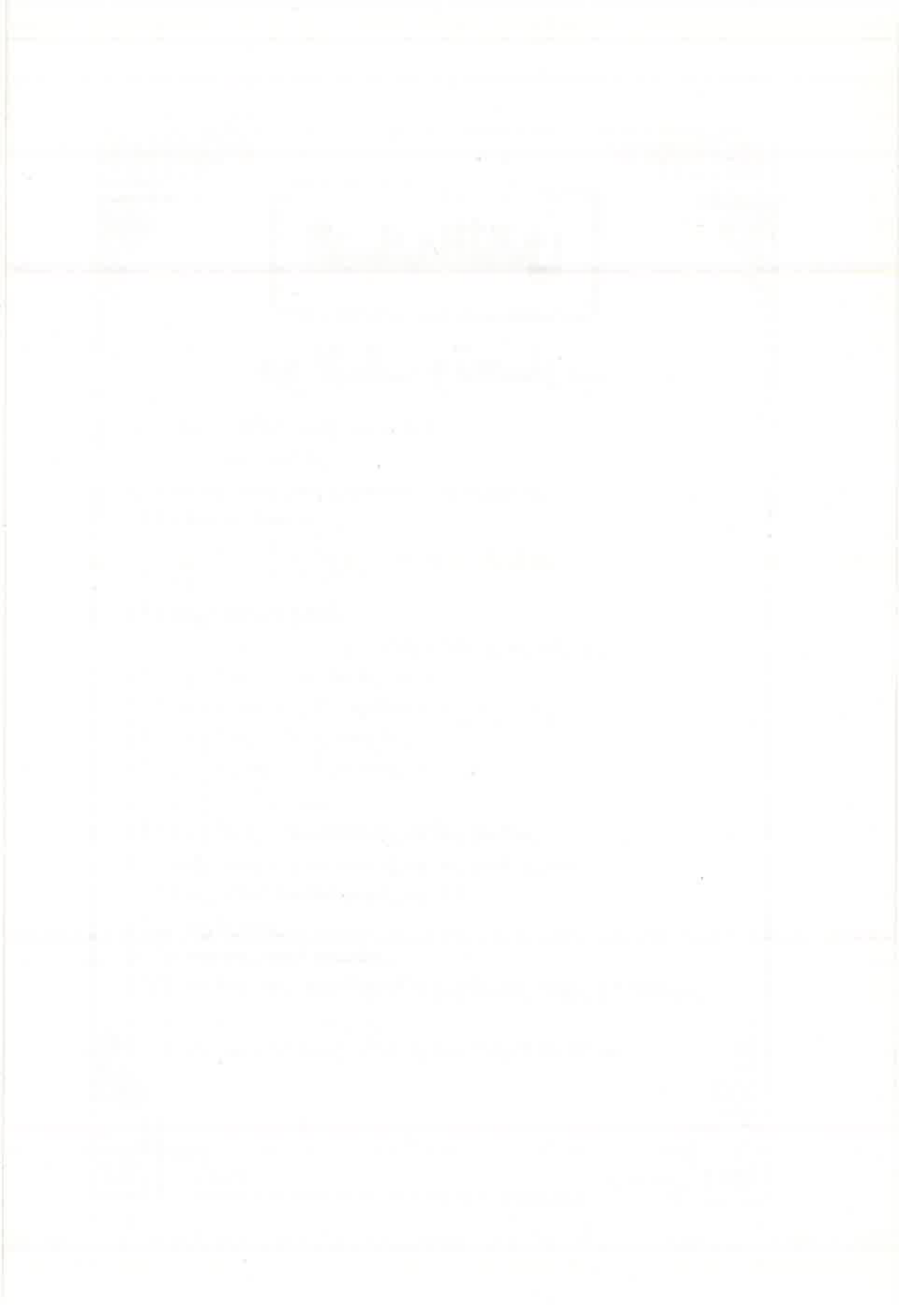
مواقف وتجارب

(١) المسلم المؤمن يدعو نفسه أولاً .
(٢) مع الأسرة والأهل .
(٣) المسلم يدعو أهله وأرحامه - مع قريب لي - .
(٤) وقفه مع شيوعي .
(٥) مع مسلم مفطر في رمضان في بلد أوروبي .
(٦) مع مسافر في الطائرة .
(٧) على الطائرة أيضاً .
(٨) انهيار البرجين لمركز التجارة العالمي في نيويورك .
(٩) مع معهد أهل الكتاب من ألمانيا .
(١٠) مع شاب نصراني موظف عندي في عملي .
(١١) مع أديب وشاعر نصراني .
(١٢) مع أدونيس وقبره الذي يحلم به .
(١٣) مع بابا الفاتيكان .
(١٤) مع الدعوة الإسلامية في مؤتمر إسلامي .
(١٥) مع الدعوة الإسلامية في مؤتمر إسلامي آخر .
(١٦) مع داعية مجاهد يعيش في الغرب .
(١٧) مع فرنسي .
(١٨) مجالس عامة مختلفة .
(١٩) مجالس غلب فيها العلمانيون والديمقراطيون والحداثيون .
(٢٠) مع زملاء في التدريس .
(٢١) لماذا يجب أن نؤمن بالله الواحد الذي لا إله إلا هو .









(١)
المسلم المؤمن يدعو نفسه أولاً

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾

[هود: ١١٢]

إن أول واجب على الداعية المسلم أن يدعو نفسه دعوة جادة حتى يطمئّن إلى أنَّ صفاء الإيمان والتوحيد قد ملك نفسه، وملأ أحناءه، وشرح الله به صدره. ثم يقيم الشعائر إقامة خشوعٍ وطاعة، ثم يعكف على كتاب الله تلاوةً ودراسةً منهجّية وحفظاً ومراجعة وتدبُّراً، وكذلك مع سنة رسول الله ﷺ وسيرته المباركة العطرة، ودراسة اللغة العربية حتى يتقنها، وحتى يصبح تدبُّره لمنهاج الله- **قرآناً وسنّة ولغة عربيةً**- أكمل وأدق. وليكون هذا منهجاً ممتدّاً صحبة عمر وحياة.

لا بد للداعية أن يصدق أولاً إيمانه وأن يطمئن هو إلى ذلك، ثم أن يصدق زاده : **المنهاج الرباني ووعي الواقع من خلال منهاج الله، ثم ينمو زاده مع الممارسة الإيمانية لمنهاج الله في واقع الحياة** .

وحتى يصدق الداعية المسلم في أمره فلا بد من أن يحاسب نفسه حساباً منهجّياً على أساس من منهاج الله، ويعيد المحاسبة بصورة دورية، ثم يصبح لسانه رطباً بذكر الله، وهو عاكف على منهاج الله دراسة وتدبُّراً وممارسة، حتى يشعر أنه استقام على أمر الله، وصحّت نيّته وعزيمته، وانطلق إلى ميدان الدعوة مزوّداً بكل ما يحتاجه في الميدان من زاد، فينأى بذلك عن الفتن وأهلها، ويشعر أنه أخ لكل مسلم كما أمر الله ورسوله، دون أن تنحصر الأخوة في أي عصبية جاهلية حرّمها الله، ويحترم العلاقات البشرية التي أعاد الله سبحانه وتعالى صياغتها وطهّرها من كل فساد وفتنة وانحراف، لتحمل أصدق معاني الإنسانية وأصفاها، وأطهر معاني الوطنيّة وأجملها، خاضعاً في ذلك كله إلى آيات بيّنات في كتاب الله وأحاديث شريفة لرسول الله ﷺ .

وبهذا الإيمان والعلم لا يركن إلى الظالمين كما أمره الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود: ١١٣]

فيمضي وهو يحاسب نفسه حساباً دورياً، وهو يتلو قوله سبحانه وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

[الحشر: ١٨، ١٩]

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦]

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ :

(الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)[١].

وكذلك: عن فضالة بن عبيد عن الرسول ﷺ :

(المجاهد من جاهد نفسه في الله)[٢]

وكذلك مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

(حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبُوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا وتزيّنوا للعَرض الأكبر، وإنما يخفّف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا)[٣]

---

(١) الترمذي: (رقم: ٢٤٥٩)
(٢) الترمذي: وابن حبان صحيح الجامع الصغير وزيادته: رقم (٦٦٧٩).
(٣) الترمذي : (رقم : ٢٤٥٩)

ثم يمضي على ذلك عمره كله، ولا يتوقف عن دراسة منهاج الله - **قرآناً وسنةً ولغةً عربيةً**-، ودراسة الواقع من خلال منهاج الله، ومحاسبة نفسه محاسبة دورية على ميزان ثابت وخطة واضحة.

ويظل منهاج الله هو الأساس، يردّ الأمور كلها إليه، حتى يكتشف في أيّ لحظة الخطأ أو الانحراف ، فيرجع عنه ويتوب إلى الله سبحانه وتعالى .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة: ١٠٥]

وكذلك :

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥]

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦]

ويُستحسن مراجعة كتابنا :

" المسؤولية الفردية في الإسلام : أسسها وتكاليفها وتميّزها "



(٢)
مـع الأسـرة والأهــل

﴿فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾

[الشعراء: ٢١٣، ٢١٤]

إذا صدق المسلم بالتزود بالزاد الحق: بصفاء الإيمان والتوحيد، وصدق العلم بمنهاج الله، ووعي الواقع من خلال منهاج الله، وإذا استقام كما أمره الله، فعليه أن يتابع ذلك في أسرته وأهله وعشيرته الأقربين.

وقد وضح أمامه سبيل الدعوة، فيدعو إلى الله ورسوله، إلى دين الله، إلى الإسلام، كما أُنزل على محمدﷺ خاتم الأنبياء والرسل، ويتعّهد من يدعوه إلى هذا الدين العظيم، دعوة منهجيّة، وتعّهداً منهجيّاً، يجتمع ذلك فيما أسميه:

نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن ومناهجها ونماذجها ونظريتها العامة ودراساتها المفصّلة للواقع أحداثاً وفكراً وللأدب ولنظامها الإداري.

ولقد كان أثر ذلك جيداً مباركاً بعون الله وفضله، والفضل كله لله، إذ كان وجود الخطة والمنهج ميسراً للدعوة والتعهد تيسيراً كبيراً جداً.

فالمنهاج الفردي ومنهج لقاء المؤمنين، وبيان الإشراف، وتقويم الداعية، وتقويم منهج اللقاء، والخطة اليومية والأسبوعية والسنوية، وميزان المؤمن، ومجلس العائلة وسائر قواعد نهج المدرسة، وفّر جهوداً كثيرة، وجعل الدعوة والتعهد أبلغ وأعمق، والهداية كلها بيد الله سبحانه وتعالى.

ولقد وضح لي وأنا أُطّبق هذا النهج على نفسي وأُسرتي أن هذا العمل عمل لا يجوز أن يتوقف أبداً. فكلٌ قواعده من مثل المنهاج الفردي ومجلس العائلة يجب أن تظلّ ممتّدة مع الحياة لا تتوقف حتى يلقى المسلم ربّه. وأحمد الله حمداً

كثيراً على ذلك، فلقد عرف أفراد أُسرتي الدرب والسبيل، وأصبحت مسؤوليتهم في الدرجة الأولى ليمضوا على درب واضح جليّ، يحاسبون أنفسهم، ودوري بعد أن عرفوا هو التذكير بين حين وآخر. وهذا التذكير نفسه يخضع لنهج وخطة، وتعاون يخضع لنهج وخطة. ولم يقف الأمر معي عند حدود أسرتي، ولكنه امتدّ إلى الأهل والأرحام، ليمتدّ بعد ذلك إلى الناس كافّة، على نهج وخطة لا ارتجال فيها، كلما وجدت إلى ذلك سبيلا ، أو أَشُقّ السبيل بنفسي .

لقد كان هناك أناس متفلتون وأناس ملتزمون، كما هو الحال في واقع المسلمين اليوم . ولقد وجدت الطريق إلى المتفلّتين سهلاً يحتاج إلى صبر وأُسلوب ، مع اتباع الخطة والنهج . ولقد استجاب عدد منهم استجابة طيبة ، إلا أن الشتات والتفرّق في أقطار مختلفة عطّل كثيراً من الجهود .

ومسؤولية المسلم في أسرته وأهله مسؤولية كبيرة. وفي واقعنا اليوم نرى البيت مضطرباً ، والأسرة مضطربة. فقد تجد الرجل يحافظ على الشعائر وزوجته قد لا تصلي، أو تجد الزوجة تصلي والزوج لا يصلي. نرى في واقعنا اليوم عجائب من الاضطراب والتناقضات. وإن أردت أن أعزو ذلك إلى سبب فإنه عدم القيام بواجب الدعوة والبلاغ والبيان، وواجب التعهد، على أن يكون البلاغ لدين الله كما أُنزِل على محمد ﷺ .

ولو أدرك كل مسلم خطورة مسئوليته في أسرته وأهله وأرحامه، ومدى الإثم الذي يقع فيه المسلم إن توانى أو عطّل التبليغ والدعوة على الأسس التي عرضناها، لعرف أحدَ الأسباب الهامة في ضعف المسلمين اليوم وفي هوانهم. إنها من هناك، من البيت، من الأُسرة ينطلق البلاغ والدعوة والبناء والتربية، والتعهّد، ليمتد هذا كله إلى خارج الأسرة نهجاً صادقاً يمضي عليه المسلم الداعية.

ونؤكِّد أن منهاج الله - **قرآناً وسنةً ولغة عربيّةً** - يظل هو الأساس والمرجع، تُرَدُّ الأمور كلُّها إليه ، صغيرها وكبيرها، حتى يعرف المسلمُ خطأه

وانحرافه، ليعود فوراً إلى الصراط المستقيم، وليَعيَ الواقع وأحداثه من خلال ذلك.

وفي البيت وجوّ الأسرة، حين يوفي الوالدان بمسؤولياتهما، ينشأ الطفل على سلامة الفطرة ، وسلامة اللغة العربية الصحيحة، وعلى سلامة تلاوة الكتاب وتدبّره، ودراسة السنّة وتدبّرها، كل ذلك وفق منهج وخطة تمضي مع الأبناء في حياتهم كلها ، فتظلُّ بذلك فطرتهم سليمة .

وبذلك نفوّت على الأعداء فرصة إفساد الأجيال كما يفعلون اليوم، ونردّ كيدهم وفتنهم . ونذكِّر بالحديث الشريف :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : **" كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجسانه ، كما تنتج الإبل من بهيمة جمعاء هل تحس من جدعاء ؟ " قالوا يا رسول الله : أفرأيت من يموت وهو صغير ؟ قال : " الله أعلم بما كانوا عاملين "**[١] .

فمسؤولية الوالدين خطيرة في الإسلام ، وحسابهما كبير ، بعد أن فصّل منهاج الله مسؤولية الأب ومسؤولية الأم ، ليوفيا بها في جو من المودة والسكن والتراحم .

(١) البخاري : في الجنائز وفي القدر ٨/ ١٥٣ باب الله أعلم بما كانوا يعملون . مسلم في القدر حديث ٢٦٥٨ . الترمذي في القدر ٢٦٥٨ . أبو داود : ٤٧١٤ .



(٣)
المسلم يدعو أهله وأرحامه
" مع قريب لي "

زارني في الرياض قادماً من خارج المملكة العربية السعودية قريب لي . التقينا خلال إقامته عدة مرات ، فوجدته لا يصلّي ، كما عرفتُه منذ عهد بعيد لا يُصلّي !

بدأتُ أدعوه برفق مستفيداً من صلة القرابة والرحم. كان يُصغي إصغاءً حسناً . أعرف أنه يحمل صفات كريمة ، فهو ذكيٌّ، محبٌّ، بيننا مودة حقيقية .

لم ينكر من اللحظة الأولى أنه مؤمن. ومثله في ذلك مثل الملايين من المسلمين، الذين توهّموا أو قيل لهم وخُدعوا، إنّ المسلم تكفيه الشهادتان وحدهما ليدخل الجنة. غُرست مثل هذه المفاهيم في عقول كثير من المسلمين، ورأوا فيها منفذاً كي يتركوا الشعائر ودراسة الكتاب والسنة واللغة العربيّة، وتلقّفتهم أمواج الأحزاب المختلفة، وطوفان الأفكار المتضاربة المنحرفة، فغرسوا في عقولهم ضلالات واسعة، لم تجد مقابلها من يعالجها أو يُزيلها، حيث أصبح همُّ الدعاة المسلمين جمع الأنصار والحشود، ودخول الانتخابات وبذل الجهود والأموال فيها، والصراع مع حشود أُخرى وأحزاب أخرى. فضعفت عملية البناء الإيماني، بناء الإنسان على النحو الذي يأمر به الله، وعلى النحو الذين قام به محمد ﷺ !

هؤلاء الذين انحرفوا عن الإسلام فهماً وعلماً لم يجدوا اليد الحانية التي ترعاهم وتتعهدهم على نهج واحد مقرر مدروس واعٍ . فكانت النتيجة الطبيعة أنهم يزيدون انحرافاً وتترسّخ بذور الفتنة والضلال في نفوسهم، وربما يتكوّن في قلوبهم كراهية للدعاة والإسلام ، ويقفون منهم موقف المهاجم المعادي الناقد! فتصبح الأمة تكتلات متناحرة، يبحث كل تكتل عن مصلحة تكتله. وربما يجد تكُّتل إسلامي مصلحته أن يتعاون مع تكتّل شيوعي بعيد عن الإسلام، ضدّ تكتل إسلامي آخر. هذا هو الواقع الذي يعيش فيه العديد من الشباب المتنسبين إلى

الإسلام. وحين يريدون أن يمارسوا الإسلام على تكامله يحارون أيّ إسلام يتّبعونه ، إسلام هذا التجمع، أم إسلام ذاك؟! أيتبعون هذا الزعيم أم ذاك ؟!

كثيرون يظلّون في حَيْرة من أمرهم لكثرة الأحزاب وتعدّد الآراء وتضارب الفتاوى. والعجيب أن الدعاةً الإسلاميين والحركات الإسلامية لم ينتبهوا إلى هذا الضرر أو ذاك، الضرر الناتج عن تعددهم وتنابذهم واختلاف آرائهم ومواقفهم وشدّة تعصّب كل فريق لنفسه.

لمست هذه الأشياء والملاحظات من خلال الحوار الذي دار بيني وبين قريبي. ولكني لمست أن بذرة الإيمان والتوحيد التي غرسها الله في فطرة كل إنسان ما زالت متوافرة بالرغم مما أصاب الفطرة من انحراف خلال مسيرة الحياة.

واستمّر الحوار وقتاً، ثم غادر بعد أن وعد أن يستمّر في التأمل والتفكير، وأن يحرص على دراسة القرآن والسنة!

وبعد أن غادر، أحببت أن أواصل معه التذكير والدعوة. فبعثت له بهذه الأبيات بعنوان: فذاك كما علمتَ هو السبيل . ونشرتها في ديوان مهرجان القصيد!

فذاك كما علمت هو السبيل

خِلالٌ حُلْوَةٌ فيمَا تَبدَّى ... وَفَاءٌ والوَفَا أبَداً قَليلُ

صَفيٌّ في مَوَدَّته غَنيٌّ ... تَقُولُ إذا رَأيتَ هُوَ النّبيْلُ

جَوَادٌ والمروءَة من جَوَادٍ ... أَبَرُّ وَفعْلُها الفعْلُ الجَميلُ

لَهُ رَأْيٌ فَتيٌّ من فُؤادٍ ... ورأيٌ منْ بصيرَته جَليلُ

إذا مَا رُمْتَ في أَمرٍ رجالاً ... ظنَنْت وقلْتَ ذا الرَّجُلُ الأصيلُ

فَتُبْ لله في عَزْمٍ وَصِدْقٍ ... فذاك كَمَا علِمْتَ هُوَ السَّبيلُ

وَمِــثْلُك لا يبِــيْتُ عَلَى ضَــلَال ... وَمِـــثْلُكَ لَيْس يُعْــــوزُهُ الدَّلِيلُ

وَنُورُ الحَقِّ حَولَكَ حَيْثُ تَمْضِي ... وَقَلْبُكَ لَيْس يُعْجِزُهُ الوُصُولُ

وَفي جنبيْكَ آيَاتٌ فَأَبْصِرْ ... وَإلاَّ غَــــرَّكَ الأَمَلُ الطَّـــوِيلُ

وَمَــا تُجْـديْكَ في غَـدك الأَمَاني ... وَلا مَـــا قِيْل فِيكَ وَمَـا تَقُولُ

ولا صَـفْـوُ الودَادِ غَـداً بِمُنجٍ ... وَلا أَهْلٌ تُجِيْرُ وَلا خَلِيلُ

وَلا مَـــا كُنْتَ تَزْعُم من خِلال ... وَلاَ مَـــا زَانَه قَـــالٌ وَقِيْلُ

خِلالُك كُلُّهـا ليسَتْ بشَيءٍ ... إذا انْقَطعَتْ عَن التَقْوَى الأُصولُ

فَكَيْفَ تتيــهُ عَنْ حَقٍّ وتَمْضِي ... إلى شَــرٍّ يُغَرُّ به الجَهُولُ

وبَيْن يَدَيْك قُرآنٌ وَنُــورٌ ... وبَيْن يَـدَيْكَ مَـا قَـالَ الرَّسُـولُ

* * * * *

وهناك مواقف كثيرة مع الأهل والأرحام ، نذكِّر وندعو وننصح قدر الجهد والطاقة ، ونظل مهما بذلنا في هذا السبيل مقَصِّرين ، نسأل الله العفو والعافية . ومما يقوِّي الجهد وينميِّه تعاون المؤمنين تعاوناً صادقاً على نهج واحد وخطة واحدة ، في دعوة إسلاميّة واحدة ، يسمع منها من في الشرق ما يسمعه من في الغرب .



(٤)
وقفة مع شيوعي

كنت أعمل في مشروع تقوم عليه وتنفذّه شركة أجنبية . وكان المهندس المسؤول في المشروع من الشركة شيوعياً مثقّفاً. وبدأ يدعوني إلى الشيوعية بوضوح وجلاء وإصرار، ويتفنَّن باختيار الأساليب لإقناعي بشيوعيته. وأنا أدعوه إلى الإسلام، وأتخيّر أطيب الأساليب وأقواها لإقناعه.

ومضت أشهر في هذا الحوار، أدعوه، ويدعوني، ثم قال لي بعد مدة معترفاً بقوة حجتي: " أنت تغلبني بحجّتك لأن لغتك الإنجليزية قوية، ولغتي الإنجليزية ضعيفة، ولكن لغتي الفرنسية قوية. لو تناقشني بالفرنسية لكنت ترى قوة حجتي " . قلت له: الفرق بيني وبينك ليس كما قلت. الفرق أنني درست الإسلام وآمنت به ودرستُ الشيوعية من أمهات كتبها وكفرت بها. وأنك لم تدرس إلا الشيوعية، فلو درست الإسلام، عندئذ نتساوى في المعرفة بهذه القضية، ويقوم الحوار على أسس سليمة.

قال : كيف أدرس الإسلام وأنا لا أعرف العربية؟! قلت: أحضر لك ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الفرنسية التي تتقنها، كخطوة مرحليّة، إذ لا بدّ لمن آمن أن يدرس القرآن كما أُنزِل وباللغة العربية التي نزل بها.

وهكذا كان! وبدأ بدراسة ترجمة معاني كتاب الله. وبين حين وآخر يأتي إليّ ليناقشني ببعض الموضوعات التي تهمه مثل ما يتعلق بالمرأة والعامل وحقوق الإنسان. فأشرح له ذلك كله من خلال ترجمة معاني القرآن، ومن خلال ترجمة معاني أحاديث الرسول ﷺ .

ومع استمرار الحوار أشهراً، وأنا لا أصدُّه، وأتقبّل أسئلته كلّها، بدأت أشعر أنه بدأ لديه شيء من الإعجاب بما يقرأ من ترجمة معاني الكتاب. ولكن اقترب موعد تركي العمل في ذلك المكان، فتوالت لقاءاتنا، وشرحتُ له الكثير من مبادئ

الإيمان والتوحيد معتمداً على إثارة القضايا الحساسة نفسيّاً، مثل الموت، عجز الإنسان عن إدراك حدود الكون، الغيب، وغير ذلك.

وقبل أن أغادر قال لي: لا أقول لك إني آمنت، ولكن أقول إن هذا الكتاب هو أعظم كتاب قرأته في حياتي، وكذلك قضية الإيمان ما زلت أدرسها من خلال ترجمة معاني القرآن الكريم وأفكّر فيها.

ودّعته وشكرته وشجّعتُه ودعوت الله أن يهديه. وأخيراً عاد إلى بلاده وهو يحمل قضية جديدة، لم يكن فكّر فيها. والأمر بيد الله يهدي من يشاء. ونحن مهمتنا أن ندعوَ ونبلّغ رسالة الله إلى الناس كافة ونتعهّدهم عليها.

الذي أودّ أن أثيره هنا هو وجوب التبليغ لرسالة الله كما أُنزلت على محمد ﷺ . فأنا عرضت عليه ترجمة معاني كلام الله وأحاديث رسول الله ﷺ ، وشرحت له ما أشكل عليه. وقد سُرَّ كثيراً بما قرأ، ووعد أن يعيد قراءة ترجمة معاني الكتاب مرة أخرى أو مرات، على أن تكون هذه خطوة مرحلية، تليها دراسة القرآن الكريم بلغته التي أُنزل بها.

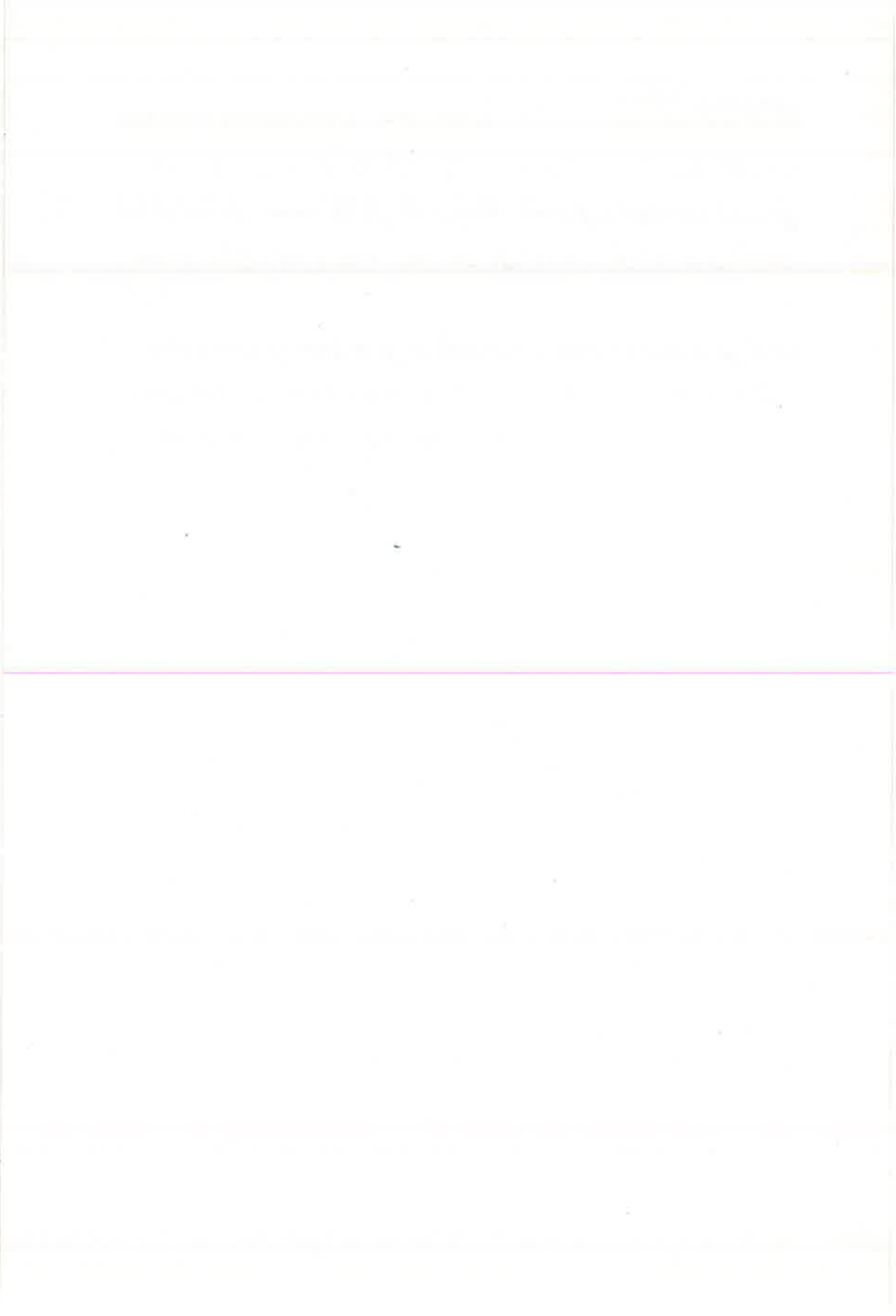
وتجدر الإشارة إلى أنني كنت أقارن له بين ما يعرضه الإسلام في الكتاب والسنة وبين الفكر الشيوعي بحجة بيّنة، أقل آثارها أنها جعلته يفكر كثيراً. ووجدت أن آيات الله البينات هي أقوى حجة للدعوة والبلاغ. ألم يكن الرسول ﷺ يبلّغ الناس الإسلام بالقرآن؟!

هل في هذه التجربة دروس نستفيد منها؟! وكم من أمثال هؤلاء لم يسمعوا شيئاً عن دعوة الإسلام، ولا درسوا كلمة من كتاب الله، ولا شعروا من خلال مجتمعهم بجلال الإسلام وعظمته، وعظمة سلوك أبنائه؟! كم منهم يعيشون في مجتمع مسلم، ويلتقون مع شباب مسلمين، فكم قدّموا لهم عن الإسلام؟!

كأنما المسلمون منغلقون في دعوتهم، في حزبهم، ولا يلتقون مع غيرهم إلا في ميادين الانتخابات والصراع عليها، وتلاقي المصالح المشتركة أو تصادمها، ولا يكسبون إلاّ أنصاراً للحزب لا لله ورسوله !

لقد جهل كثير من الدّعاة المسلمين أن أول واجباتهم تبليغ رسالة الله ودينه كما أُنزِلتْ على محمد ﷺ إلى الناس كافّة : النصراني واليهودي والشيوعي وغيرهم ، تبليغ وضوح وبيان . إنها دعوة إلى الإيمان والتوحيد وإلى الكتاب والسنة .

ولقد وجدت من خلال تجربتي أن أقوى أسلوب للدعوة والبيان عرض كتاب الله على أولئك وشرحه لهم ودعوتهم إليه ، بنيّة خالصة لله سبحانه وتعالى ، لإنقاذهم من عذاب جهنم ، ولإخراجهم من الظلمات إلى النور .



(٥)
مع مسلم
مفطرٍ في رمضان في بلد أوروبي

كنتُ أجلس في غرفة الانتظار في عيادة الدكتور مجدي يعقوب في لندن للمراجعة بعد أن كان قد أجرى لي عمليّة جراحية صعبة في القلب، ومنّ الله علينا بنجاحها، إلا أنني أصبت بجلطة مفاجئة بعد أسبوعين من إجراء العملية. ونجّانا الله منها برحمته وفضله وتركت آثارها في عضلة القلب وانسداد شريان.

فجاء رجل وجلس بجانبي، رجل يبدو عليه أنه عربي فحدثته وبدأته بالسلام والتعارف. وبعد قليل أخرج "سيجارة" وبدأ يدخّنها.

سألته عن اسمه وبلده وعمله بأسلوب جميل حتى استأنس بي، وألفني وألفته. ثم سألته: أنت مسلم، أليس كذلك؟! قال: نعم! قلت: أتعلم أننا في شهر رمضان المبارك؟! قال: نعم! قلت: لِمَ لا تصوم؟!

قال يا أخي: لو جعل الله الصيام يوماً أو يومين، أو أسبوعاً أو أسبوعين، لهان الأمر! ولكنْ ثلاثون يوماً شيء كثير! لو جعل الله الصيام أياماً قليلة لهان الأمر! قلت له: معنى كلامك أنك تعترض على ناحية من شرع الله، أم على الإسلام كلّه؟!

قال: أعوذ بالله أنا مسلم مؤمن، ولكن أَعترف أني مقصّر! قلت له: جزاك الله خيراً، ولكنك تجاوزت حد التقصير! هل تصلي؟! هل تدرس القرآن والسنة؟! وقلت له: صارحني واصدقني القول، عسى أن يوفقني الله لأنصحك بما يفيدك. فقال: لا أصلي، كما أني لا أصوم! قلت: وماذا أَبْقَيت من الإيمان والإسلام، وقد تركت الصلاة والصيام؟! فضحك!

وبدأت أدعوه إلى الإيمان والتوحيد، فانشرح صدره، وزادني هذا رغبة في أن أزيده. وكل شرحي للإيمان والتوحيد كان بالآيات والأحاديث بما يستطيع تدبره.

ثم قلت له: سنعود إلى اعتراضك على عدد أيام الصيام التي قررها الله سبحانه وتعالى . تصوّر لو أنك اختلفت مع صديق في قضية، ثم رُفعتْ القضية إلى القاضي، ثم حكم القاضي بحكم لم يعجبْك. فإذا أردت أن تعترِض على القاضي وتبيّن له خطأ حكمه، فما هي الشروط التي يجب أن تتوافر فيك حتى يحقّ لك أن تعترض على القاضي؟! وكأنما الله أنطقه بما وددتُ أن يجيب به! فقال: يجب أن يكون علمي مساوياً لعلم القاضي!

قلت: هذا مع القاضي، فكيف يكون الحال مع الله سبحانه وتعالى؟! فابتسم، وأطفأ السيجارة، وقال: أَستغفر الله العظيم!

ثمّ بدأت أوصيه بأسلوب حسن هادئ بأن يعكف على دراسة كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ ، ودراسة اللغة العربية وإتقانها. وسألته إن كان لديه اعتراض أو إن كان غير مقتنع، فأجاب: مقتنع وسعيد بأن يسّر الله لي هذا اللقاء، فادعُ الله أن يثبّتني على دينه: فدعوت له وشكرته، وافترقنا، وعدت إلى بلدي، وأمره بين يدي الله، يهدي من يشاء.

الجلسات العابرة مثل هذه كثيرة في حياة الدعاة. وما أجملها لو تستغلّ مثل هذه اللقاءات والجلسات لتبليغ رسالة الله كما أُنزِلت على محمد ﷺ. والرسول ﷺ يقول :

(بلّغوا عنّي ولو آية...) [أحمد والبخاري والترمذي][1]

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته: (٢٨٣٧) ، أحمد : الفتح : ١/ ١٧٧ ، الترمذي : رقم ٢٦٦٩ .

(٦)
مع مسافر في الطائرة

كنتُ مسافراً إلى إيطاليا بالطائرة ، وجلس بجانبي أجنبي غير عربي. فحيّاني بالإنجليزية ورددت التحيّة ، وبدأ التعارف ، وانفتح الحديث وتنوّع من سياسة إلى مذاهب ، وأفكار ومبادئ ، إلى الواقع ، ...! وكان الحديث باللغة الإنجليزية .

اغتنمت فرصةً مناسبةً أثناء الحديث ، ووجّهت له السؤال التالي : هل تؤمن بالله الواحد الأحد ؟!

أجاب إجابات مضطربة ، كأنه أُحْرج بالسؤال . فخفّفت عنه ، وقلت له : إنك إنسان متعلّم ومن حقّك وواجبك أن تفكّر، وأن تتّخذ القرار، وأن تَتَحمّل مسؤوليّة قرارك ! أليس هذا بالحقَ والعدل والواجب ؟!

أجاب : نعم ! ولكن لم يسبقْ لي أن فكّرت بهذا الموضوع ، ولا خطر لي ببال! فأنا لديّ أعمال كثيرة تشغلني من الصباح إلى المساء ، من لحظة الاستيقاظ إلى لحظة النوم!

فسألته: هل تعتقد أنك وحدك في هذا العالم، هل أنت وحدك الذي لا يفكّر بالله، وتشغلهم الدنيا بهمومها وقضاياها؟! أجاب: كلا ! لا شك أن هناك الكثيرين؟!

سألته: هل فكّرت بالموت؟! أجاب فوراً: كلاّ! لم أفكّر به! فعدت وسألته: ألا تعتقد أنك ميّت، وأنا ميّت، وكل الناس سيموتون، كما نرى في واقع الحياة؟! أين أبوك وجدّك وأجدادك كلهم؟! قال : نعم! كلهم ماتوا، وكلّنا سنموت!

قلت : ماذا تعتقد أنه يوجد بعد الموت؟! قال: لا أدري! قلت: هناك رأيان رئيسان: رأي يقول إنّ بعد الموت بعثاً وحساباً وجنّة أوناراً! ورأيٌ يقول: لا شيء بعد الموت! يموت الإنسان وكل الناس وينتهون! الرأي الأول: يَبني أصحابه رأيهم

على أساس من قول الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله إلى الناس بدين واحد، لينذروا ويُبشِّروا، وأَوحى إليهم برسالاته للدين الواحد! كما بلّغه جميع الرسل : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين. ومجيء الأنبياء والرسل ثابت تاريخياً، ومهما اختلفت الروايات عنهم ، فإنها كلُّها تُجْمعُ على أنّ لهم دعوة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر والبعث والحساب والجنّة والنار. المهم أن من يقول بوجود البعث والحساب والجنة والنار لديهم حجّة علمية ودليل علمي ثابت على مرّ التاريخ، وذلك ما بلّغه الرسل عن ربهم .

أما أصحاب الرأي الثاني، فليس لديهم أي حجّة، أو دليل، لا علمي ولا غير علمي ! إلا أنه الظن والظن فحسب. وذلك ما ورد إلينا بما أُوحي إلى محمد ﷺ في القرآن الكريم :

﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ ﴾

[النجم: ٢٨]

فهناك رأي له حجّته ودليله، وهو المرسلون وما أوحى به الله إليهم. وهنالك رأي مخالف لا حجّة لديه إلا الظن !

وساد صمتٌ قصير! وأردفتُ: قلنا قبل قليل إننا كلنا سنموت! فلو أنك فوجئت بعد الموت بأن ما جاء به الرسلُ جميعاً كان حقّاً، فماذا ستفعل عندئذ؟! حيث لا ينفع الندم!

وامتدّ صَمتٌ طويل. وكأنه يتأمّل ويفكّر، وتركته ليتأمّل وليفكّر! ولما اقترب موعد الوصول، وأشرفت الرحلة إلى نهايتها، قلت له: أرجو أن أكون قد تركتُ لك قضيّة خطيرةً لتفكّر بها. إنها أخطر قضيّة في حياة الإنسان، في حياة كل إنسان، في حياة البشرية كلها، وفي حياتك أنت! وإذا رغبت أن أدلّك على ما يعينك على حسن التأمّل والتفكير، فابحث عن كتاب ترجمة معاني القرآن الكريم

باللغة التي تتقنها ، فعسى ذلك أن يعينك على الوصول إلى الحق الذي تنجو به بعد المـوت ، بعد عمر طويل لك إن شاء الله .

وسألته : هل تعتقد أن الإنسان موجود على هذه الأرض في هذه الحياة الدنيا عبثاً ، وأنه متروك سدىً ؟! فقال أغلب الظنَ لا ! لابدَّ أن يكون هناك هدف وغاية .

فقلت : هذا ما يقوله القرآن الكريم :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ [القيامة: ٣٦]

هذه أسئلة يمكن أن تفكِّر بها وأنت ماضٍ في هذه الحياة الدنيا قبل أن تغادرها .

وافترقنا وأنا أشعر بالسعادة أن تركتُه له قضيّة يفكّر بها، والهداية بيد الله وحده، يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء، ولكن واجبنا نحن أن ندعو الناس كافّة إلى دين الله كما أُنزل على محمد ﷺ ، في كل فرصة مناسبة! وكلٌّ عليه أن يؤدّي واجب التبليغ والدعوة قدر جهده ، وقدر الحال، دون تراخ ولا توان، في الأرض كلها، إلى الناس كافّة، وهو على يقين ثابت قوي أنّ هذه القَضيّة هيَ أخطر قضيّة في حياة كلّ إنسان، وفي حياة البشرية كلها، وفي حياة الداعية نفسه، لأنها تتعلق بأمر الحياة الدنيا والموت والساعة والبعث والحساب والجنّة والنار، ولا يوجد قضيّة أخطر من هذه أبداً.

وتبليغ رسالة الله إلى الناس كافّة كما أُنزلت على محمد ﷺ تبليغاً منهجيّاً على خطة مدروسة ونهج واع هو أمر من عندَ الله، واجب على كل إنسان قادر، حتى تكون كلمة الله هي العليا في الأرض كلها. وهذه المهمة الجامعة التي خُلقَ الإنسان للوفاء بها، وهي تجمع حقيقة القضايا الأربع التي عرضها القرآن الكريم موجزة بأربعة مصطلحات ومفصّلة في منهاج الله. والمصطلحات الأربعة هي :

العبادة والأمانة، والخلافة، وعمارة الأرض بحضارة الإيمان، تلتقى كلها في جوهرها في تبليغ رسالة الله كما أُنزلت على محمد ﷺ إلى الناس كافة وتعهدهم عليها حتى تكون كلمة الله هي العليا في الأرض.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

[المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]

كم هو رائع أن نقدّم للناس ونحن ندعو إلى الله ورسوله ديناً واحداً حقّاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بدلاً من أن نقدّم صوراً مختلفة وآراء متضاربة .

كم هو رائع أن يتلقَّى الناس حيثما كانوا ديناً واحداً يعرضه منهاج الله ـ قرآناً وسنة ولغة عربية ـ .

وكم هو مؤذ أن يُقَدِّم الدعاة للناس أحزاباً متصارعة وآراءً متضاربة ، تلتقي في نقطة وتختلفً في نقاط !

إن الله يأمرنا أن نبلّغ دينه ، قرآناً وسنة كما جاءا باللغة العربية ، وهو أمر رسول الله ﷺ يرويه ابن عمر رضي الله عنه :

" **بلِّغوا عني ولو آية** "[أحمد والبخاري والترمذي][1]

---

(١) صحيح الجامع الصغير رقم (٢٨٣٧) سبق تخريجه .

(٧)
على الطائرة أيضاً

في رحلة العودة من المؤتمر الأول لرابطة الأدب الإسلامي الذي عُقد في لكهنو - الهند بتاريخ (٢٦-٢٨) ربيع الآخر سنة ١٤٠٦هـ الموافق (٧-٩) يناير سنة ١٩٨٦م، في رحلة العودة يومَ الأحد ٢/ ٥/ ١٤٠٦هـ الموافق ١٢/ ١/ ١٩٨٦م، مع الإخوة الأدباء ومع مندوب رابطة العالم الإسلامي، جلس معنا أخ كريم من مضيفي الطائرة، يحب الشعر ويحاول نظمه. قرأ علينا شعراً غزلاً منثوراً، مما يسمونه خطأ الشعر المنثور، وما هو بالشعر، وطلب أن يصوغ أحدنا له معانيه المنثورة بالشعر الموزون المقفّى - الشعر الأصيل .

وفي اللحظات الأولى كدنا نتورط في مثل هذا الأمر، ثمّ اعتذرنا له، ونظمت له الأبيات التالية، ثم شرحتها له، ودعوته إلى وجوب الالتزام بالإسلام وخشية الله، ومعرفة المسلم لمسؤولياته الربانية على تكاملها. وشرحت قدر ما يسمح به الجو من ذلك، وألححتُ، كما ألحُّ دائماً، على وجوب دراسة الكتاب والسنة واللغة العربية دراسة منهجية، صحبة عمر وحياة:

دَعِ الهَوَى وغَرَامَ الغِيدِ وافْتكر ... يَوماً مَعَ الله في سِرٍّ وفي جَهَرِ

هَذَا هُوَ الخَيْر لا خيرٌ سِوَاهُ لنا ... وَمَنْ يَحِدْ عَنْ طَرِيق الحقِّ يَنْدحرِ

تَرَى عَلَى « الجَوّ » آياتٌ مُجَدَّدَةَ ... لله فَانْظُرْ إلى الآياتِ وَاعْتبرِ

مَنْ ذا يَصُونُكَ غير الله مِنْ خَطَرِ ... وَمَنْ يُعيذُكَ في حلٍّ وفي سَفَرِ

وَمَنْ رَفيقُكَ غيرُ الله إن طَلَعَتْ ... في الجَوِّ طائرةٌ هَدَّارَةُ النَّذرِ

وَمَنْ رَفيقُكَ في بَحْرٍ وفي جَبَلٍ ... وَفي مَرَاقِي مِنْ جَوٍّ وَفي نَهَرِ

عُلِّقْتَ في الجَوِّ لاَ أهْلٌ وَلاَ رحم ... يُغْني وَلا زَهْوةُ السُلطَان من بَشَرِ

وَلاَ صَديق يُواسي فَهْو مَثْلك في ... حَال وفي أمَلٍ حُلْو وَفي حَذر

وكُلُّ مَنْ كنت تَرْجُو نَفْعَه رَجَعَتْ ... قُواه عاجزة مشلُولَةَ الأَثر

أتَسْتَغيثُ بألحاظ وَغانية ... إنْ جَدَّ أمرٌ فَتُبْ لله وادّكر

وَعُدْ إلى الله رَبِّ العالمين عَلَى ... طُهْرٍ يُغيثُ وَصدق القَلب والفطر

* * * * *

(٨)
انهيار البرجين
لمركز التجارة العالمي في نيويورك

كانت الحادثة مذهلة حقاً، وأحداثها تثير تساؤلات كثيرة. ومن أهم هذه التساؤلات سرعة إطلاق الاتهامات لمدبّري هذا الهجوم، وكان من بين المتهمين سعوديٌّ متوفًّى منذ زمن، وآخر في عمله لم يغادر إلى هنا أو هناك. وكذلك سرعة إطلاق بوش تصريحه المدوّي: " إذن هي حرب صليبية! " ثم تراجعه عنه.

وأغرب من ذلك أنهم وجدوا جواز سفر أحد المشاركين في هذا الهجوم، والذي قضى نحبه في الحادث، جديداً على الأرض. تحطمت الطائرة واحترقت وانهار المركز ومات الرجل، أما جواز السفر فبقي حيّاً، عليه شيء بسيط من التراب!

وأُلِّفَتْ عدة كتب حول الحادث ، وعُقِدَتْ ندوات ومؤتمرات كان من بينها تلك التي جرت في واشنطن من رجل أمريكي يتهم الحكومة الأمريكية وغيرها بافتعال الحروب والأزمات لتغطية الأزمات الاقتصادية كما سيبين المقال الذي سيلي، والذي كتبتهُ على أثر الحادث، ونشر كما أذكر، وأُرسل إلى البيت الأبيض، وجاء الرد بأنهم تسلموه وهو قيد الدرس. ويبدو أن هذه الإجابة هي إجابة تلقائية لكلِّ ما يُرسَل إليهم.

كان الهدف من إرسالها هو دعوة الرئيس بوش ومن حوله إلى الإسلام، مع بيان بعض الملابسات والجرائم التي تُرتكب من القوى العالمية الكبرى: الدعوة إلى الإسلام جاءت عامة تدعو الظالمين جميعَهم إلى التوبة والعودة إلى الله والإسلام! وتأتي الدعوة إلى الإسلام من خلال ما حمل الحادث من آيات وعبر ونذر، تفرض على العاقل أن يفكر ويتدبر!

والآن إلى مقال: انهيار البرجين لمركز التجارة العالمي في نيويورك:

آية ونذير وعبرة

طائرتان تندفعان نحو مبنيي مركز التجارة العالمي في نيويورك ، فيتهاوى المبنيان في وقت قصير. كلُّ مبنى مئة وعشرة طوابق ، وفيهما بحدود خمسين ألف موظف . وطائرة ثالثة تنفجر على البنتاجون في واشنطن، فتندلع فيه النيران ، وتذهب بجزء هام منه . وطائرة رابعة تنفجر في بنسلفانيا ، وسيارة مفخخة تنفجرعند وزارة الخارجية . ذلك مع صباح يوم الثلاثاء ٢٣/ ٦/ ١٤٢٢هـ الموافق ١١/ ٩/ ٢٠٠١م الساعة التاسعة صباحاً بتوقيت واشنطن، حين يتدافع الموظفون إلى أعمالهم في مركز التجارة العالمي، وينطلق النشاط في كل مكان ، والناس يحسبون أنهم آمنون ويمضون مطمئنين ، لا يقلقهم إلا السعي اللاهث وراء الدنيا وزينتها وتنافسها، وهم أبعد ما يكونون عن تصور هذا الحادث المروِّع أو توقعه ، في هذا الوقت انفجرت أمريكا والتهبت في أخطر مواقعها التجارية والسياسية والعسكرية : مركز التجارة العالمي والبنتاجون ووزارة الخارجية .

ستبدأ الأجهزة تبحث عن الفاعلين ، وستضع كل إمكاناتها وفكرها وأعصابها للكشف عن الذين نفذوا هذه العملية الرهيبة . وسيقوم بذلك أكثر من بلد وقطر ، ليس أمريكا وحدها ، فإنجلترا وفرنسا وألمانيا والاتحاد الأوروبي ودول أخرى ، كلها أعلنت عن استعدادها للمشاركة في البحث والتنقيب ، وبناء حلف يعلن الحرب على " الإرهاب " في العالم كله .

سيمضي الناس يُشْغَلون في البحث والظن والتخمين ، وستمضي الإشاعات تمتد وتنتشر بين مؤيد ومنكر، وستهيج العواطف هنا وهناك تخوض في ميادين كثيرة من الظنون والاستنتاجات .

ولكن كثيراً من الناس قد يغيب عن بالهم التفكُّر بقضاء الله وقدره ، قضاؤه النافذ، وقدره الغالب ، وحكمته البالغة . فما من شيء في الكون ، صغير أو كبير ، إلا وهو خاضع لقضاء الله وقدره وحكمته ، سبحانه وتعالى:

﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ﴾ [غافر: ٢٠]

﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠]

العاقل يقف ليتأمل ويتدبر، ليرى في هذا الحادث الرهيب آية من آيات الله ينذر بها الله الناس جميعاً، وينذر الظالمين في الأرض جميعاً، وليرى أن قضاء الله نافذ لا يفلت منه أحد أبداً، مهما استعصم بالبروج والناطحات والأجهزة والعلم:

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٩]

هي غفلة الناس وهم يمضون في حياتهم الدنيا، يمضون بظلمهم وإفسادهم واتباع أهوائهم مبتعدين عن شرع الله ودينه:

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٥ - ١٠٧]

ويمضي قدر الله على سنن لله ثابتة، نعلم بعضها مما علَّمنا الله أو هدانا إليه، ونجهل بعضها مما هو مخفيٌّ عنا. ومن سنن الله في هذه الحياة الدنيا نماذج شتى من صراع الشعوب والأمم: فحرب بين المؤمنين والظالمين، وحرب بين الظالمين بعضهم ببعض، وحرب بين المؤمنين:

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ ..... ﴾ [التوبة: ٢٩]

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا .... ﴾ [الحجرات: ٩]

﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٩]

قوى الكون كله ، إنسه وجنه وملائكته ، سماؤه وأرضه، كلها بيد الله الذي لا إله إلاّ هو ، كلها جنود الله :

﴿ .... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [المدثر: ٣١]

العاقل ينظر في آيات الله ،فيخشع ويتوب ! يجب على أمريكا أن تكون أول من يقف ليتدبر ، ولترى كم أخذها الكبر والغرور والصلف ، حتى بلغ بها الذروة ، وظنوا أنهم في مأمن من أي عادية من عوادي الأيام .

لقد قال نيكسون في كتابه : نصر بلا حرب : "إنا أمسكنا بناصية المستقبل وزمامه بأيدينا .... " ! نسي الله ، ونسي أن الله وحده يملك المستقبل والماضي والحاضر :

﴿ .....نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر: ١٩]

لقد اعتبروا أن العلم وحده هو الذي يحميهم وينصرهم، فجعلوا منه وثناً يُعْبَد من دون الله، وسموه : " العلمانية . "Scientism وجعلوا الدنيا كذلك والعالم المادي غاية آمالهم وميدان عَلمهم ، وجعلوا منه وثناً آخر يعبدونه من دون الله ، وسموه " العَلمانية . "Secularism فرحوا بالدنيا وبما عندهم من العلم ، وظنوا أن لا أحد يقدر عليهم :

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر: ٨٣ - ٨٥]

لو أنهم يقفون هنيهة يتأملون موقفهم في مؤتمر "ديربان " الأخير لمحاربة العنصرية ، أو موقفهم من قضية فلسطين ، وكيف آزروا الظلم وقاوموا الحق والعدل، وما هزهم مصرع الأطفال، وتشريد العائلات من بيوتهم ،وهدم البيوت

على أصحابها، والاختطاف والاغتيال وسائر الجرائم الوحشية التي ترتكب كل يوم، أو يتذكرون دموع الثكالى وأنّات الجرحى وصيحات الاستغاثة، لو فعلوا ذلك لذهب بعض كبرهم وتراجعوا عن كثير من غيِّهم وظلمهم.

لو أنهم يقفون هنيهة يتذكرون ما ارتكبوا من مآسي ومجازر وانقلابات في نواحٍ متعددة من الأرض، وما سببوا من كوارث، سواء في العالم الإسلامي، وأمريكا اللاتينية، وبعض بلدان آسيا، واليابان، وغيرها وغيرها مما يصعب حصره الآن، وما فعلوه بالمسلمين الأفارقة حين ساقوهم بالسلاسل عبيداً يستذلونهم، ويستحلون إذلال كل كرامة وضعها الله في الإنسان، أو ما فعلوه بالهنود الحمر أصحاب البلاد الشرعيين، أو ما فعلوه في شعوبهم حين خدروهم بشعار الحرية المتفلتة الكاذبة، وحرية الجنس والفاحشة والخمور وسائر الموبقات، لو يقفون هنيهة ليتذكروا مآسي الجرحى والمشوهين، وصيحات الهلع والاستغاثة، وأشلاء الأطفال والشيوخ والنساء والرجال، منثورة في الأرض كلها، في هيروشيما ونجازاكي، وجواتيمالا ونيكاراجوا، والسلفادور، والبرازيل، لو يقفون قليلا ليحاسبوا أنفسهم، لعلهم يُفيقون من سكرة الكبر والغرور، وفتنة العلم وزينة الدنيا وزخرفها.

في باطن الأرض رفات الملايين من البشر المظلومين، غابوا تحت الثرى، ولكن لم تزل كلُّ حبة تراب أو بقية من رفات مرتبطة بأرواحهم في عالم الغيب، تشكو إلى الله ما لاقته من ظلم وقهر وذل على أيدي الظالمين.

لتقف أمريكا ولتقف الدول الأوروبية ولتقف روسيا وكل الدول التي اعتدت في تاريخها على شعوب أخرى، فظلمتها ونهبت خيراتها وتركتها فقيرة نهب الجوع والمرض، ولينظروا ما كسبته أيديهم من مظالم في الأرض. هل يمكن لإنكلترا أن تنسى ما فعلته في الهند وغيرها من بقاع الأرض؟ هل يمكن لفرنسا أن تنسى ما فعلته في شمال أفريقيا؟ وما فعلته إيطاليا؟ وهل تنسى روسيا ما فعلته

سواء في العهد القيصري أو العهد الشيوعي ؟ كلُّ الدول ممن ذكرنا وممن لم نذكر. يجب أن يراجعوا أنفسهم ويحاسبوها قبل فوات الفرصة :

﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) ﴾

[الزمر: ٥٤ - ٥٦]

من أجل أبنائكم وذرياتكم ومستقبلهم ومستقبل الأجيال القادمة ، تجب هذه الوقفة اليوم مع هذه الحادثة المروعة ، وليعلموا أن الله لن يفلت أحد من عقابه، وإنما يأخذ الناس ، كل الناس ، بما كسبت أيديهم ويعفو عن كثير :

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) ﴾ [الروم : ٤١]

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) ﴾

[السجدة : ٢١]

والقضية الأخرى أنَّ الظالمين في الأرض والمجرمين قد لا يجدون من ينصحهم أو يذكِّرهم أو يدعوهم إلى صفاء الإسلام وصفاء الإيمان والتوحيد، كما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ،أو ينذرهم عذاب الله في الدنيا والآخرة ، حين يصمت المسلمون ، أو يخشى الصالحون ، أو ينحرف المصلحون، أو يهون المستضعفون . وفي جميع الحالات ، ستظل سنن الله ماضية ، ابتلاء منه سبحانه وتعالى ، حتى تقوم الحجة يوم القيامة على كل إنسان وكل شعب وكل أمة .

لحظات يقف فيها المستكبرون في الأرض والظالمون مع أنفسهم ، ليراجعوا ما صنعته أيديهم من شقاء للإنسان في ظل الحضارة العلمانية والعولمة والديمقراطية والحداثة ومذاهبها . لحظات يسترجعون فيها التاريخ ليروا كم حملت أنفسهم من

شهوة الظلم والعدوان والاستعلاء ، وليتأمَّلوا في آيات الله البيِّنات :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنعام: ١١]

ولن يفيد الضعفاءَ المستضعفين شيءٌ من الندامة يوم القيامة . سيؤخذون كما أخذ أسيادهم :

﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [غافر: ٤٧]

إن هذه الحادثة العاصفة على أمريكا ، الحادثة التي تجاوزت خيال المظلومين في الأرض ، نقف أمامها خاشعين لله في رهبة وإنابة أمام عظمة الله وجلاله . لقد جاءت نذيراً للناس كلِّهم ، للظالمين والمظلومين . وقد تكون هذه نذيراً للبشرية كلها ، حين يأخذ الله الناس والقرى بعذاب أشد :

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

[هود: ١٠٢]

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحج: ٤٨]

وهذه سنة الله ماضية في جميع العصور ، وستظلُّ ماضية مع الزمن كله :

﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠]

ولا عاصم من أمر الله ، ولا ملجأ منه إلا إليه . والذين يعتصمون بغير الله فلا عاصم لهم ، وكل ما يعتصمون به من دون الله هو أوهن من بيت العنكبوت:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤١]

وإني لأعجب أشد العجب لماذا تصر أمريكا على استثارة الشعوب ضدها بظلمها وكبرها وغرورها، وعدوانها الظالم. لماذا تزرع هنا حقداً عليها وهناك حقداً عليها، حين تعتبر أن مصلحتها وحدها فوق كل مصلحة، وحين تتخذ كل يوم ميزاناً مختلفاً، وحين تنصر الباطل وتقاوم الحق. لقد تعرضت أمريكا إلى هجوم بعد هجوم خلال العشرين سنة الماضية. فانظر إلى هذه القائمة من الحوادث التي تعرضت لها:

١- انفجار بإحدى القواعد الأمريكية في بيروت، أسفر عن مقتل ٣٤٠ ضابطاً وعسكرياً سنة ١٩٨٣م.

٢- تفجير طائرة فوق لوكربي، لقي ٢٧٠ راكباً مصرعهم معظمهم أمريكيون سنة ١٩٨٨م.

٣- انفجار قنبلة في موقف للسيارات عند مركز التجارة العالمي أسفر عن مصرع ستة أشخاص وإصابة ألف آخرين.

٤- انفجار بمدينة أوكلاهوما قام به يموثي ماكفاي، أسفر عن مقتل ١٦٨ شخصاً، سنة ١٩٩٥م.

٥- انفجرت شاحنة أمريكية، أسفرت عن مقتل ١٩ أمريكياً.

٦- تفجير السفارتين الأمريكيتين في نيروبي ودار السلام، أسفر عن مقتل ٢٢٤ شخصاً وإصابة آلاف، سنة ١٩٩٨م.

٧- حادثة المدمرة كول في اليمن، ومقتل ١٧ شخصاً.

ولا يقتصر الأمر على أمريكا، فسنن الله ماضية على الجميع. ولكنَّ أمريكا تفردت بالزعامة الدولية، فأصبحت هي المسؤولة الأولى عن المظالم بما اتخذته من مكاييل متعددة غير عادلة، وبما حملته من كبر وغرور وعدوان ظالم.

لا ندري من قام بالتخطيط والتنفيذ لهذا العمل المفجع، الذي راح ضحيته

كثير من المدنيين . ولكنها السنة التي سنَّها الظالمون في الأرض ، حين أزهقوا أرواح الملايين من المدنيين في الأرض ، من نساء وأطفال وشيوخ ممن لا علاقة لهم بالصراع في مناطق كثيرة من العالم .

قد تفلح أمريكا بالقبض على من يتَّهمون بهذا الحادث . أما المنفذون فقد ذهبوا مع سائر الضحايا . أما المخططون فلو قبض عليهم فهل سينتهي ما يسمونه الإرهاب ؟ لو قُتلوا أو سجنوا أو مزِّقوا إرباً ، فهل سينتهي الإرهاب ؟

لو اجتمعت دول أوروبا كلها وروسيا واليابان والصين وغيرها من الدول لتتعقب من يتَّهمونهم بالإرهاب ، فلن يتوقف ما يسمونه الإرهاب ، لأسباب عدة :

أولاً : يجب أن يوقفوا الإرهاب أولاً في أنفسهم ، فإن أيديهم ما زالت تقطر من دماء ضحاياهم .

ثانياً : يجب أن يوقفوا إثارة الأحقاد وزرعها في نفوس شعوبهم ضد الشعوب الأخرى بغير حق .

ثالثاً : يجب أن يوقفوا أعمال الإرهاب التي يمارسونها في الأرض هم أنفسهم ، في نواحٍ كثيرة من الأرض .

رابعاً : يجب ان يكون لديهم ميزان عدل أمين يزنون به الأمور كلها ، حتى لا يظلموا قوماً على حساب قوم آخرين .

لقد غرسوا الإرهاب في الأرض ورعوه ونمَّوه حتى أعاده الله عليهم . وليس أمامهم من سبيل إلى إيقاف الإرهاب وشهوة الظلم في أنفسهم إلا سبيل واحد ، سبيل الإسلام الحق ، دين الله الواحد ، دين نوح و إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وموسى وعيسى وجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، ودين خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ . إنه الدين الواحد الحق الذي لا يقبل الله من أحد سواه :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩]

وإني لأعجب أشد العجب من كبر الظالمين بعامة ، يأتيهم النذير بعد النذير ليقرع آذانهم وقلوبهم ، فلا تجد من سامع ولا واع : الطوفان بعد الطوفان والفيضانات التي تبتلع الآلاف من الضحايا ، والبراكين بعد البراكين ، والزلازل التي تبتلع الأرض وبها العمائر والمخلوقات ، والأعاصير التي تقتلع الأشجار وتسحق كلَّ ما تلقاه في طريقها ، والحرائق التي تمتد فتأكل الأشجار في مساحات واسعة جداً . نذر من عند الله تمتد في أحداث الكون وحياة الناس ، وكتاب الله يحفظه الله ليكون النذير الممتد إلى يوم القيامة ! ثمَّ لا يفيق الظالمون المجرمون من سكرتهم وكبرهم .

إذا كان الدافع لهذا العمل هو الحقد والغيظ ، فإن الأسلوب المعلن عنه أسلوب ممتلئ بالحقد والكراهية العمياء ، كما تكشف وسائل الإعلام ، الغضب والحقد والغيظ . حقد يدفع حقداً ، وتظل المصائب تتوالى دون توقف . السبيل الوحيد أن توقفوا الظلم كله. ولن يوقفه إلا الإسلام كما أُنزل على محمد ﷺ دون تحريف ولا تبديل ! أوقفوا الظلم في أنفسكم وفي أعمالكم .

انظر إلى هذه المجتمعات العلمانية الغربية التي تغنت طويلاً بالشعارات كيف كان أول ردِّ فعل لها ! هذه المجتمعات التي تخفَّت وراء زخرف الشعارات ، من حقوق الإنسان ، والعدالة ، والحرية ، والإخاء والمساواة ، والديمقراطية، انظر كيف تنهار كل هذه الشعارات في لحظات وتدوسها شعوبهم تحت أقدامهم ، لينطلقوا في عدوان أثيم بعد عدوان على المسلمين والعرب في ديارهم ، حتى أولئك الذين يحملون جنسياتهم ، والذين خدموا مجتمعاتهم طويلاً ! انظر إلى التهديدات والمطاردات والاعتداءات على المساجد في أمريكا وإنكلترا وألمانيا وغيرها. ولم تُجْد كثيرا خطبة الرئيس بوش وهو يعظ قومه بضرورة احترام المسلمين ، ليُخفِّف عنهم الأذى الذي سبّبه هو وعصابته.

انظر إلى مستوى العدالة والقضاء في أمريكا لدى قمة المسؤولية :يحددون المتهم ويصدرون الأحكام قبل أي محاكمة وقبل استكمال التحقيق . ويأخذ القضاء في أمريكا إجازة طويلة ! يتهمون أناساً طواهم الردى ، وأناساً لم يدخلوا أمريكا ، وأناسا في أعمالهم في بلادهم ربما لم يكن قد وصلهم النبأ بعد . اتهامات تلقى يميناً وشمالاً استهتاراً بكل حقوق الإنسان والقوانين والشرائع .

ما هو الإرهاب الذي يريدون محاربته ؟ حتى الآن لم يُحَدَّدْ معنى ثابت للإرهاب ، مما يفتح المجال لارتكاب أبشع الجرائم وأبشع أنواع الإرهاب تحت هذا المصطلح العائم . وربما تتحول القضية إلى غزو عدواني ظالم للعالم الإسلامي ، وتنفيذ مخطط كان مطوياً ينتظر التنفيذ .

يتحدث بعض الكتاب الغربيين عن تردِّي الواقع الاقتصادي في أمريكا وفي معظم دول أوروبا واليابان . وتحدث بعضهم متهما بعض المسؤولين الأمريكان بالتخطيط لإثارة حرب واسعة ضد الإسلام ، كوسيلة لمعالجة الواقع المتردي الذي يعانون منه . لقد كتب " ليندون لاروش" في الإنترنت وفي محاضرة له في نيويورك حول هذا الموضوع بشيء من التفصيل عن العلاقة بين تدهور الوضع الاقتصادي وبين نزعة الحرب لدى بعض المسؤولين في أمريكا وأوروبا. وقد نشرت كلمته : "Executive Intelligence Review EIR" .

من الذي خطط لهذا العمل ؟ من الذي نفَّذه ؟ حتى الآن لم يكشف إلا عن اتهامات وظنون لا تحمل معها البيِّنة والدليل . ويكاد يشعر الإنسان أن الذي يعمل الآن هو الظنون والأهواء والرغبات الدفينة في النفوس ، والاعتزاز بقوة السلاح المدمر يرهبون به العالم، وأن العدل والقضاء والقيم في إجازة طويلة ، وأن هذه الإجازة كانت قد بدأت منذ عهد بعيد.

إذا كنا نريد أن نحكم بالظن وحده ، كما يبدو أنهم يفعلون ، فإننا نتَّهم العصابات القوية المدرَّبة في أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأوروبا واليابان ،

ممن أصبحوا متغلغلين بقوة في مجتمعاتهم ، عارفين بدقائق الأمور فيها وفي أجهزتها . لقد نشرت إحدى الصحف قبل أيام من حادث التفجير صورة أحد قادة عصابات تهريب المخدرات ، ونشرت معها قوله : إن حوكمت وسجنت فسأحرق أمريكا ! وأعتقد أن أشد الناس حقداً على أمريكا وكبرها هم أمثال هؤلاء . هؤلاء لا ينالهم التحقيق ، فهم في حمى قوى متنفِّذة كثيرة في أمريكا وأوروبا . وهذا كارلوس يدعو من سجنه في فرنسا إلى هجمات ضد إسرائيل وأمريكا ، وذلك في جريدة الشرق الأوسط الخميس ٣٠/ ٨/ ٢٠٠١م ـ العدد ٨٣١١ . وإن أكثر من أمر يشير بإصبع الاتهام إلى هؤلاء وإلى دولة اليهود والحركة الصهيونية وأجهزتها التي ترتكب الجرائم في الأرض كلها وفي قلب أمريكا نفسها وفي فلسطين. إن دولة اليهود هي من أشد الدول إجراماً وعدواناً ، وهي الدولة التي يرعاها الإرهابيون في العالم .

إن انهيار البرجين من ذروتهما حتى القاع ، وانهيار أسس العدالة والقضاء ، والتهديد بقوة سلاح التدمير الشامل الذي يحرِّمونه هم أنفسهم ، نذير بانهيار حضارة الجنس والفساد والفاحشة والخمور ، الحضارة التي تنمو وتترعرع في حضن العلوم والصناعة ومبادئ العلمانية والحداثة والديمقراطية !

إننا نأسى ونحزن حين تصل البشرية إلى هذا الدرك من الانهيار والصراع الوحشي ، واستباحة كل القيم في فلسطين بجرائم اليهود التي تجاوزت كل حد ، تحت رعاية أمريكا ودعمها وتشجيعها ، ورعاية سائر الدول الكبرى . لقد امتدت الجريمة في الأرض حتى أصبحت جرائم فردية وجماعية ودولية ، تنمو في رعاية دولية ، يغذيها تنافس الدنيا بين الظالمين ، وتنافس المصالح المادية والشهوات الإجرامية والأهواء المجنونة المتفلتة من كل رباط .

الانتقام الأعمى والتسرع وردود الفعل ، يذهب بالعدالة والحق ويضاعف الجرائم والكوارث في الأرض . وليس للبشرية من منجى إلا بالإسلام والتوبة الصادقة إلى الله .

فإلى الإسلام أيها الغافلون !

إلى صفاء الإيمان والتوحيد أيها الجاهلون !

إلى الحق والعدل أيها المستكبرون !

إلى التوبة إلى الله أيها الظالمون !

من الذي زرع الأحقاد في القلوب ، ومن هو المسؤول عن ذلك ؟! إن الظلم الممتد في التاريخ البشري ، الظلم الذي تقوده عصابات الإجرام ، هي المسؤولة عن ذلك . إنهم المستكبرون الظالمون المجرمون المعتدون ، كما وصفهم الله سبحانه وتعالى في كتابه المبين . إنه الإعلام الإجرامي الذي غرس الحقد على الإسلام والمسلمين في قلوب جاهلة قروناً طويلة ، وكأنه كان يعطى للوليد مع الرضاعة .

لم يعرف التاريخ البشري أرحم من الإسلام، ولا أعدل منه ، الإسلام الذي غسل القلوب بالإيمان والتوحيد ، والذي حدَّد قواعد القتال والجهاد في سبيل الله تحديداً دقيقاً ، حتى يظل الجهاد في سبيل الله شرعا ربانيا ينشر الحق والعدل والأمن في حياة الناس جميعاً، ولا يأخذ إلا الظالمين على ميزان رباني دقيق عادل أمين .

إن الظلم في غياب المنهاج الرباني والشرع الرباني هو أساس الفساد والفتنة والإجرام في الأرض . والظلم هو أساس الشرك بالله ، وهو الذي يحرك الأحقاد ويثير الحروب .

وما زالت وسائل الإعلام تردِّد التهديدات ضدً العرب والمسلمين ، وتثير الأحقاد والكراهية ضدّهم ، وكأن القضاء ما زال في إجازة .

مهما كان هول هذا الحادث ، فإنه أهون بكثير من أهوال يوم القيامة ، ومن أهوال نار جهنم ، لا يصلاها إلا الظالمون ! إلى هناك يجب أن تتَّجه القلوب والأنظار، قلوب الجميع وأنظارهم ، لتنمو الخشية من الله ، ويحسب لكل خطوة حسابها .

وإذا كان هذا الحادث المروع نذيراً لهؤلاء وهؤلاء وآية وعبرة لهم،فإنه نذير للمسلمين وآية لهم وعبرة كذلك . بل المسلمون يجب أن يكونوا أول من يعتبر ويقف ويتأمل! يجب على المسلمين أن يقفوا وقفة طويلة، ليروا كم خالفوا منهاج الله، وكم قصَّروا في جنب الله . يرى المسلمون أنفسهم اليوم في ضعف وذلّة وهوان ، مستهدَفين من كثير من الدول، ومعرَّضين لكثير من أنواع الأخطار والإذلال والعدوان والاجتياح الظالم ، وحسبك ما حدث وما يحدث في فلسطين والبوسنة والهرسك وكشمير والشيشان وغيرها. يجب أن يقفوا لينظروا ما كسبته أيديهم من فرقة وتمزق وصراع، مخالفين بذلك أمر الله إليهم . لقد ظلم المسلمون أنفسهم ظلماً كبيراً ، حين لم يتمسكوا بالكتاب والسنة ،وتفرقوا شيعاً وأحزاباً ومذاهب شتى تتناحر ، فتخلفوا علماً وصناعة وقوة وإعداداً ، وأصبح كل حزب بما لديهم فرحين ، فرحة لم تغن عنهم من الله شيئاً ، ولم تورثهم إلا المذلة والهوان.

في هذه اللحظات الحرجة ، نعيد ما سبق أن نصحنا به طويلاً ، نعيد ونؤكد أن علينا أن نحاسب أنفسنا ، ونغيِّر ما فيها من انحراف عن الصراط المستقيم ، ومن اتِّباع الهوى ، والتقصير الكبير بأداء الأمانة التي نحملها . **يجب أن يتذكر المسلمون أنهم حملة رسالة ربانية ، أُمروا بأن ينهضوا ليبلِّغوها إلى الناس كافة ويتعهّدوهم عليها** ، وأن هذه هي **جوهر الأمانة** التي خُلقوا للوفاء بها ، **وجوهر العبادة** التي أُمروا بها، **والخلافة** التي جُعلت لهم، **والعمارة** التي كُلِّفوا بها .

إن هذه الأمانة والعبادة والخلافة والعمارة تفرض على المسلمين أن يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً ، وأن يعودوا إلى الكتاب والسنة عودة صادقة كريمة :إيماناً وعلماً والتزاماً وممارسة في الواقع البشري ، في كل شؤون الحياة ، ودعوة وبلاغاً وتعهدا ، وجهاداً صادقاً واعياً في سبيل الله ، ليكونوا ، كما أمرهم الله ، صفاً واحداً كالبنيان المرصوص ، قبل أن يؤخذوا بعذاب من الله أليم .

إننا ننصح ونذكر بأن الإسلام حين يرفض الظلم بجميع أشكاله ومن أي جهة كانت، فإنه قد وضع ميزاناً عادلاً أميناً ليفرق بين الظلم والعدل ، حتى لا يختلط الأمر على أحد إلا إذا كان صاحب هوى . وحين يرفض الإسلام الظلم كله ، فإنه يرفض الأسلوب الذي تتبعه أمريكا ومن معها في معالجة هذه الحادثة ، بإطلاق التهم والأحكام جزافاً دون تثبت ودون تحقيق عادل ، وبالتهديد المستمر باستخدام أسلحة الدمار الشامل الذي يُحَرِّمونه ! وإن هذا الأسلوب انعكست آثاره السيئة على المسلمين أولا بالإيذاء والاعتداء ، وسينعكس بالسوء على البشرية كلها .

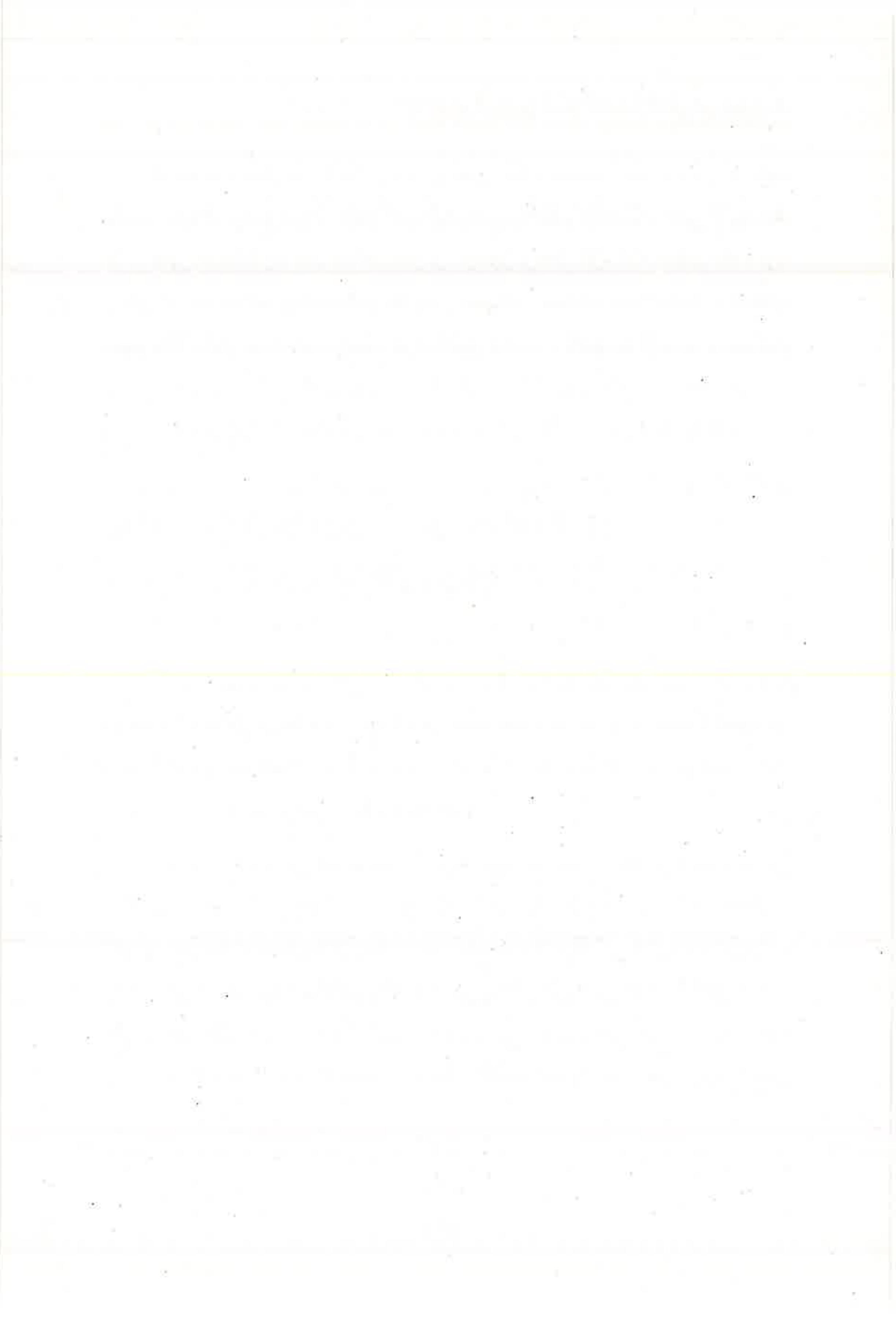
ومهما بلغت أمريكا من قوة باطشة ، فإنا نَوَدُّ أن نذكِّرها بأن قوة الله أكبر وبطشه أشد وأخطر ، وأنه يمهل ولا يهمل ، وأن أخذه أليم شديد :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

[هود: ١٠٢]

وأخيراً فإننا نتساءل : هل سأل الرئيس بوش وحكومته أنفسهم لِمَ كان هذا الهجوم؟ وما هي بواعثه وأسبابه ؟ وأين جذوره ؟ ومن الذي يرعاها ؟ لعلهم لو سألوا أنفسهم هذا السؤال وفكَّروا وتدبَّروا وعرفوا الإجابة الأمينة ، لو فعلوا ذلك لوفَّروا على أنفسهم وعلى العالم شيئا كثيراً !

وكذلك ، لماذا يرعى العالم تلك الدولة اليهودية الظالمة المعتدية المغتصبة في فلسطين ، ويقرُّون كلَّ جرائمها ، ويمدونها بالقوة والسلاح والمال ؟ ! كيف يكون التوفيق بين شعار محاربة الإرهاب وبين دعم هذه الدولة التي تمثِّل قمَّة الإرهاب والظلم في العالم، ودعم الظلم والعدوان في مناطق كثيرة من العالم ؟! هل إعلان الحرب على الإرهاب ومحاولة إنشاء حلف دولي لذلك يخفي أمراً آخر يُعلَن عنه في فلتات اللسان ؟! هل الأحقاد التاريخية الظالمة العدوانية تتفجَّر اليوم لتنطلق في إرهاب دوليٍّ أشدَّ جديد ؟!



(٩)
مع معهد أهل الكتاب من ألمانيا

تسلّمت بالبريد رسالة غريبة من " معهد أهل الكتاب في ألمانيا " يدعونني فيها إلى النصرانية، ومرفق معها: كلمات اختارها أصحابها من التوراة والإنجيل والزبور وغيرهما، ويطلبون أن أرتبط بالمعهد ليساعدني على فهم الكتب المقدّسة: التوراة والزبور وكتب الأنبياء والإنجيل، كما هو موضح في خطابهم المرفق هنا:

١- خطاب معهد أهل الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

معهد أهل الكتاب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سيدي العزيز

يسر معهد أهل الكتاب أن يقدم لك فرصة لفهم ومعرفة المزيد عن الكتب المقدسة المنزلة من الله مثل التوراة، الزبور، وكتب الأنبياء، والإنجيل.

توجد مقاطع من هذه الكتب الأربعة مطبوعة على ظهر الصحيفة.

ما نقدمه هو فرصة لمساعدتك على فهم هذه الكتب بطريقة الدروس بالمراسلة إنها طريقة مشوقة، تمنحك إدراكاً وبركة روحية. يمكنك بعدها أن تحكم بنفسك على ما تعنيه بالحقيقة هذه الكتب.

تحضيرك لهذه الدراسة وإرسالك للنموذج المرفق لا يلزمانك بشيء. سوف تستلم هذه الدراسة في سبعة أجزاء. كل جزء يحتوي على أربعة مقدمةً مجاناً. يبدأ العمل بهذه الدراسة في شهر أكتوبر الموافق جمادى الأولى.

آملين أن نستلم ردك سريعاً.

بإخلاص

معهد أهل الكتاب

نعم أرغب الاشتراك في برنامج الدراسة بالمراسلة المجاني

الاسم:

ص.ب المدينة: الرمز البريدي:

البلد :

أرسل هذا النموذج على العنوان التالي:

Helge Lips

Postfach 102021

68020 Mannheim

Germany

مــن التــوراة

التكوين ١٧

ولمّا بلغَ أبرامُ التّاسعة والتّسْعينَ تراءى لَهَ الربُّ وقال: " أنا اللهُ القديرُ! أسلُكْ أمامي وكُنْ كاملاً، ٢ فأجعَل عَهدي بيني وبينَكَ وأكثّر نسلَكَ جداً " . فوقع أبرامُ على وجهه ساجداً وقالَ له اللهُ: هذا هوَ عَهدي معَكَ: تكونُ أباً لأُمَم كثيرة، ٥ ولا تُسمَّي أبرامَ بَعدَ اليوم، بل تُسمَّى إبراهيمَ، لأنّي جعلْتُك أباً لأُمم كثيرة. ٦ سأُنميكَ كثيراً جداً، وأجعَلُكَ أُمماً، وملُوكٌ منْ نسلكَ يَخرجونَ، ٧ وأُقيمُ عهداً أبدياً بيني وبَينكَ وبَينَ نَسلكَ منْ بَعدكَ، جيلاً بَعدَ جيل، فأكونُ لكَ إلهاً ولنسلكَ من بعدك.

التثنية ٦ . ٤ , . الربُّ إلهُنا ربٌّ واحدٌ، ٥ فأحبُّوا الربَّ إلهَكُم بكلِّ قلوبكُم وكُلِّ نفوسكُم وكُلِّ قُدرتكُم. ٦ ولتَكُنْ هذه الكلماتُ التي أنا آمركُم بهاَ اليومَ في قلوبكُم.

من الزبور:

٢٣: مزمورٌ لداوُدَ: الربُّ راعيَّ فلا يُعوزُني شيءٌ. ٢ في مَراعٍ خُضرٍ يُريحُني، ومياهاً هادئة يُورِدُني. ٣ يُنعِشُ نفْسي، يَهديني سُبُلَ الحَقِّ من أجْلِ اسمه. ٤ لو سرتُ في وادي ظِلِّ الموت لا أخافُ شراً، لأنكَ أنتَ معي. عَصاكَ وعُكازُكَ هُما يُعزِّيانني. ٥ تهيِّئُ قُدَّامي مائدةً تُجاهَ خُصومي، وتدهُنُ بالطيب رأسي، وكأسي رَوِيَّةٌ. ٦ الخيرُ والرَّحمةُ يتبعانني كُلَّ أيام حياتي، وأسكنُ في بَيتِ الربِّ إلى مدى الأيامِ. ١٠٣ رحمة الله لداوُدَ: باركي يانفْسي الربَّ، ويا كُلَّ أحشائي اسمهُ القدُّوس. ٢ باركي يا نفْسي الربَّ ولا تنسي جميع حسناته، ٣ يغفر جميع ذنوبي ويشْفي جميعَ أمراضي. ٤ يفتدي منَ الهُوَّة حياتي، وبالرَّحمة والرَّأفةَ يُكلِّلُني. ٥ يُشبعُ بالطيّبات جوعي، فيتَجدَّدُ كالنَّسرِ شبابي. ٦ الربُّ يُجري العَدلَ. ويَقضي لجميعِ المظلومينَ. من كتبة الأنبياء:

إشعياء ١٣:٧ أمَّا إشَعياء فقال: " إسمَعوا يا بَيتَ داودَ! أما كفاكُم أنْ تُضجروا النَّاس حتى تُضْجروا إلهي أيضاً؟ ١٤ ولكنَّ السَّيد الربَّ نَفسَهُ يُعطيكمُ هذه الآيةَ: ها هي العذراءُ تَحبَلُ وتلدُ ابناً وتدعو اسمهُ عمانوئيل.

إشعياء ٥٣: ٤ حملَ عاهاتنا وتحمَّلَ أوجاعَنا، حَسبناهُ مُصاباً مضروباً من الله ومنكوباً ٥ وهو مجروحٌ لأجل معَاصينا، مَسحوقٌ لأجلِ خطايانا. سلامُنا أعَدَّهُ لنَا، وبجراحه شُفينا. ٦ كُلُّنا كالغَنَم ضَلَلْنا، مالَ كُلُّ واحدٍ إلى طريقه، فألقى عليه الربُّ إثمنَا جميعاً. ٧ ظُلمَ وهو خاضعٌ وما فَتحَ فمَهُ. كان كنَعجة تُساقُ إلى الذَّبح، وكخروف صامت أمامَ الذين يَجزُّونه لم يفتحْ فمَهُ ٨ بالظُّلم أُخذَ وحُكمَ عليه، ولا أحدَ في جيله اعترفَ به. إنقطَعَ منْ أرض الأحياء وضُربَ لأجل معصية شعبه. ٩ وُضعَ معَ الأشرارِ قَبرُهُ ومعَ الأغنياء لَحدُهُ، مع أنّه لم يُمارس العُنفَ ولا كانَ في فمه غشٌ".

من الإنجيل :

متى٥ : فلمَّا رأى يَسوعُ الجُموعَ صعَدَ إلى الجبَلِ وجلَس. فَدنا إلَيه تلاميذُهُ، ٢ فأخذ يُعلِّمهُمُ قال: ٣: " هنيئاً للمساكينِ ففي الرُّوحِ، لأنَّ لهُم مَلكوتَ السَّماوات. ٤ هنيئاً للمحَزونينَ، لأنَّهُم يعُزَّون. ٥ هنَيئاً للوُدَعاء، لأنَّهم يَرثون الأرَضَ. ٦ هنيئاً للجياعِ والعطاشِ إلى الحقِّ، لأنَّهُم يُشبعونَ. ٧ هنيئاً للرُحماء، لأنَّهم يُرحمونَ. ٨ هنيئاً لأنقياء القُلوب، لأنَّهُم يشاهدونَ اللهَ. ٩ هنيئاً لصانعي السَّلام، لأنَّهُم أبناء الله يُدْعَونَ. ١٠ هنيئاً للمُضطَهَدينَ منْ أجل الحقِّ، لأنَّ لهُم مَلكوتَ السمَّاوات. ١١ هنيئاً لَكُم إذا عَيَّروكُم وأضطَهَدوكُم وقالوا عليكُمْ كَذباً كُلَّ كَلمة سوء من أجلي. ١٢ افَرحوا وابَتهجّوا، لأنَّ أجرَكُم في السَّماوات عظيمٌ. هكَذا اَضطَهَدوا الأنبياءَ قبلَكُم.

٢ـ ردّي على معهد أهل الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا معهد أهل الكتاب:

تحية طيبة ودعاء صادقاً ودعوة خالصة لله:

إشارة إلى خطابكم دون تاريخ الذي تدعوننا فيه لتقدّموا لنا فرصة لفهم المزيد عن الكتب المقدّسة...!

نشكركم على هذه المبادرة التي منحتنا الفرصة لندعوكم دعوة أمينة خالصة لوجه الله، تحمل لكم خير الدنيا والآخرة، ندعوكم إلى دين الله الإسلام، الذي هو دين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجميع الأنبياء عليهم السلام الذين خُتموا بالنبيّ محمد ﷺ . فالله واحد لا شريك له، ودينه إذاً دين واحد لا يُعقل أن يكون أكثر، أو أن يأتي كل نبيّ ورسول بدين مختلف عن دين من سبقه من الأنبياء والرسل. ولا يُعقل أن يبعث الله لعباده أدياناً متصارعة! وكيف يكون الحساب يوم القيامة؟! إذن هو دين واحد، هو الإسلام!

وندعوكم من أجل ذلك إلى دراسة كتاب الله - القرآن الكريم- الذي جاء مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، والذي جاء نوراً وهدى ورحمة للعالمين.

ونجد من الواجب أن نذكركم أن كتاب الله قد تحدّث عن أهل الكتاب وعن الكتب المنزلة من عنده، وهل هنالك علم أكبر مما يعلّمنا الله في كتابه الكريم.

لذلك يسعدنا أن نذكركم ببعض الآيات الكريمة، بقبسات من كتاب الله، عسى الله أن يشرح صدوركم إلى الإيمان بالإسلام. فنحن لا نملك إلا أن ندعو ونلحّ بالدعوة ونبلّغ رسالة الله إلى الناس، والله وحده يهدي من يشاء ويضل من يشاء:

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥]

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢]

١ - نوح عليه السلام كان مسلماً:

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧٢]

٢ - ولوط عليه السلام:

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦]

٣ - وإبراهيم عليه السلام كان مسلماً:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ

به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤]

٤ - ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ﴿٦٥﴾ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿٦٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٥، ٦٦]

٥ - ﴿ ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٧]

٦ - ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدًا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨]

٧ - ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٦]

٨ - إبراهيم وإسماعيل والأمة المسلمة الواحدة :

﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴿١٢٧﴾ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴿١٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨]

٩ - وإبراهيم وإسماعيل وإسحق :

﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا

نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)﴾
[البقرة: ١٣٣]

١٠- ويوسف عليه السلام :

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)﴾ [يوسف: ١٠١]

١١ - وموسى عليه السلام :

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤)﴾
[يونس: ٨٤]

١٢ - حتى فرعون عندما أدركه الغرق قال إنه من المسلمين :

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠)﴾
[يونس: ٩٠]

١٣ - وسليمان عليه السلام :

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢)﴾
[النمل: ٤٢]

١٤ - وعيسى عليه السلام :

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢)﴾ [آل عمران: ٥٢]

١٥ - عيسى عليه السلام ومن آمن معه :

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن

دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم ...﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠]

١٦ – وجميع النبيين والربانيين :

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة : ٤٤]

١٧ – ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران : ٨٣]

١٨ – ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧]

(١٠)
مع شاب نصراني
موظف عندي في عملي

كان عندي في عملي موظف نصراني يعمل مع سائر الموظفين المسلمين، في بلد غير المملكة العربية السعودية . وهذا الموظف يداوم ثلاثة أيام في العمل، وينقطع بقية أيام الأسبوع حيث يسافر إلى بلده القريب من مكان العمل، ويعود في الأسبوع الثاني، وهكذا.

اغتنمت الفرصة حين جاءني إلى مكتبي لأمر خاص به ، وبعد أن أنهيت قضيته وموضوعه، طلبت إليه أن يجلس ويستمع إليّ، وبدأت الحديث معه ودار الحوار على النحو التالي:

قلت: أنت تعرف أنني مسلم وأنت نصرانيّ! قال: نعم! قلت: هل تؤمن بالله؟! قال: نعم! وهل تؤمن بأن الله واحد رب الناس كلهم؟! قال: نعم! قلت: هل تعتقد أنه من المعقول أن يبعث الله الواحد أدياناً مختلفة لعباده، ثم يحاسبهم يوم القيامة؟! أليس الحق والعدل أن يرسل الله ديناً واحداً للبشر كلهم؟! قال: هذا معقول أكثر.

قلت: أتؤمن أن كل إنسان سيموت ويبعث ويحاسب، ثم إما إلى جنّة وإما إلى نار؟! قال: نعم! أومن بذلك؟!

قلت: إذن من واجب الإنسان أن يتحرّى الحق والدين الحق ويبحث عنه حتى يموت عليه، فينجو عند الله! فلا فرصة بعد الموت، حيث يرى الإنسان الحق جلياً! قال: نعم! هذا هو الواجب!

قلتُ: هل أنت تحرّيت الحقَّ وبحثتَ عنه واتبعته عن قناعة ودراسة؟! قال: كلا! أنا ولدت نصرانياً ونشأتُ على ذلك، ولم يخطر ببالي أن أبحث أو أناقش أو أدرس أو أبحث! أنا لم أدرس النصرانية ولا غيرها!

قلت : هل تدرك الآن أن الأمر خطير وأنه أهم قضية في حياتك، وأنه بعد الموت، بعد عمر طويل إن شاء الله، لن تجد أحداً يسعفك أو ينجيك إلا إيمانك الحق الذي يرضاه الله، والذي بعث به جميع رسله، ليبشر المؤمنين وينذر الكافرين؟! وتابعتُ قولي له: أنا مسلم! أومن بالإسلام ديناً واحداً من عند الله، دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، ودين موسى وعيسى عليهم السلام جميعاً، ودين خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ . أومن بذلك بفطرتي التي فطرني الله عليها، ثم بدراستي لكتاب الله ودراستي لسائر الرسالات، وكتابات الشيوعيين من ماركس وغيره، وسائر المذاهب الفكرية والأدبية في أوروبا وغيرها. بحثت ذلك لأنه يجب عليّ أن أبحث عن الحق فأومن به عسى أن أنجو عند الله يوم البعث والحساب. ولذلك أنصحك أن تفكّر وتتأمل وتدرس، ثم تتخذ أنت نفسك قراراً ستكون مسؤولاً عنه يوم القيامة.

قال: كلامك منطقي ومعقول. ولكن يجب أن أرجع إلى (الخوري) وأعرض عليه قولك وأردّ بعد ذلك عليك!

سُرِرت بهذا كثيراً لأنني أصبحت أدعو الموظف الذي عندي (والخوري) الذي هو بعيد عني.

وعاد هذا الموظف يحمل ردّ (الخوري)، فعرضه عليّ، فرددتُ عليه وأعدت الردّ مراراً ليحفظه وينقله (للخوري). وهكذا كان، وتكرر هذا الموقف مرات، إلى أن جاءني هذا الموظف بعد آخر مرّة، وقال لي: أتريد الحقيقة يا أستاذ! قلتُ له: نعم! قال: (الخوري ما عنده سالفة)، إجاباته وردوده لم تقنعني!

فدعوته عند ذلك إلى الإسلام بوضوح وصراحة، وحاولتُ كلّ جهدي أن أقدّم له الحجة المقنعة! وبعد ذلك بمدة غادرتُ البلد وسافرتُ، وأمره بين يدي الله، والله رحيم بعباده، وهو أعلم بما تُكِنّ صدورهم وبما يبدون.

ولا يغيب عن بالي أن أشير هنا إلى أنني كنتُ أدعو بهدوء جميع الموظفين إلى الالتزام بالإسلام، وأشرح لهم الإسلام ومسؤولياتهم. وقد سُرّوا بذلك، خاصة أني كنت أدعو إلى الإسلام، إلى الله ورسوله، إلى الكتاب والسنة واللغة العربية، ولا أدعوهم إلى حزب!

وذات يوم زارنا من المركز في العاصمة بعض المسؤولين، واجتمعوا في مكتبي لبحث بعض القضايا الخاصة بالعمل. ولما انتهى الاجتماع وأرادوا الانصراف، قمنا جميعاً وغادرنا المكتب، وخرجنا جميعاً إلى الصالة الفسيحة، وإذا بجميع الموظفين يقفون صفاً واحداً يؤمهم أحدهم للصلاة!

فوجئوا كلهم بهذا المنظر، كأنهم لم يسبق أن رأوه في أي محطة إرسال إذاعية! فقال لي أحدهم: ما شاء الله! هل هذه محطة إرسال أم مسجد؟! فقلت له: اسأل الشباب، فهم الفنيون الذين يقومون بالتشغيل والصيانة! وهل لا يجوز للموظف أن يصلّي في مكان عمله، حيث لا يوجد مسجد قريب؟! وتابعت قولي: أرى أنه من الخير لو انضممنا إليهم! فانصرفوا!

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤]

إنّ دعوة النصارى والناس كلهم بعامة إلى الإسلام واجب وقضية هامة. يجب على المسلم، إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر والجنة والنار والملائكة والنبيين، أن ينطلق لينقذ الناس من عذاب جهنم إن ماتوا على الشرك أو الكفر.

إنها مسؤولية المسلم والأمة المسلمة التي حملها الله مسؤولية الدعوة الإسلامية، الدعوة إلى الله ورسوله، وإلى الكتاب والسنّة، بعد النبيّ الخاتم. إنها أمانة في عنق هذه الأمة وسيحاسبون عليها بين يدي الله:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

[آل عمران: ١١٠]

إنها مسؤولية كل مسلم قادر، ومسؤولية الأمة المسلمة أن تنتشر في الأرض كلها لتبلِّغَ رسالة الله كما أنزلت على محمد ﷺ وتتعهَّدهم عليها، عسى أن يهديهم الله فينجوا من النار .

(١١)
مع أديب وشاعر نصراني

كان يعمل في الإذاعة البريطانية في لندن، والإذاعة العربيّة لها مجلة عربيّة يعمل فيها كذلك. وقعت المجلة ذات يوم بين يدي، فقرأت فيها أبياتاً من الشعر لي منشورة فيها، وكان ناشرها هو هذا الرجل النصراني. وشعري يدور حول قضايا المسلمين وقضية فلسطين، والإيمان والتوحيد، وقضايا أخرى كثيرة. ثم قرأتُ أبياتاً أُخرى لي منشورة في عدد آخر. ثم توالى النشر، وكانت الأبيات تحمل روحاً إسلامية واضحة.

كتبتُ له رسالةً أشكره. فردّ عليّ برسالة. ودارت المراسلات بيننا. وبدأت فوراً أدعوه إلى الإسلام، وكان تجاوبه جيداً. فأرسل لي ديواناً شعرياً له. قرأته فوجدته يبتدئ كل قصيدة بالبسملة وبآية تناسب الموضوع. ووجدت له قصيدة جميلة عن عيسى عليه السلام، وأخرى عن مريم عليها السلام. وهاتان القصيدتان تتحدثان بلغة القرآن الكريم عن عيسى ومريم عليهما السلام. فيصف عيسى عليه السلام أنه كلمة من الله وأمه مريم وأنه رسول بعثه الله، وعن مريم يصفها كما يصفها القرآن الكريم، لا يأخذ بأقوال النصارى عنهما.

واستمرّت المراسلات بيننا، وبعثتُ له بقصيدة لي في مدح رسول الله ﷺ، فعاد وبعث لي بقصيدة له في مدح رسول الله ﷺ على نفس الوزن والقافية كما هما في قصيدتي. وقصيدته سابقة قبل قصيدتي بأكثر من عشر سنوات.

وسررتُ بذلك، واستمرّت المراسلات بيننا حتى أصبحت أشعر أنه مسلم. ولكن في ديوانه الأخير الذي أصدره قبل وفاته بمدة قصيرة، ذكر فيه أنه حدّث أباه عن معتقده في الإسلام. فأجابه والده أنّ سبيل كل الأديان واحدة، ولا يوجد مشكلة. ولكن غضب لذلك عدد من النصارى، فعلّق هو: لم أكن مسلماً حقيقياً وأعلن إسلامي، ولكن مسلم بالقدر الذي أغاظ النصارى حولي، ولأنني من

أصل نصراني فما رضي المسلمون. فما رضي هؤلاء ولا هؤلاء، ويقول مثله كمثل بالع الموسى على حدّين. فلا المسلمون مطمئنون إلى صدق عاطفتي وحسن نيتي فيما أقول، ولا النصارى راضون عن هذا الانحراف عن جادّة الدين كما يفهمون وكما لُقِّنوه. ثم قال: رحم الله دحنوناً الذي قال فيه الشاعر:

ما زاد دَحْنونُ في الإسلام خَرْدلةً ... ولا النَّصارى لهم شأنٌ بدحنونِ

فهذه ظاهرة في تاريخ الإسلام تحتاج إلى دراسة ووعي. القضية بالنسبة للمسلم يجب أن تكون دعوته لإنقاذ الناس من عذاب الله ومن نار جهنم.

وأود أن أذكر أبياتاً له من قصيدته في مدح الرسول ﷺ :

أيقظي الكون يا رمال البيد ... واحْضُنِيه في مهده من جديد

وأفيضي في نعمة الله في الخلق ... وأدّي رسالة التوحيد

ثمّ هُزّي ذؤابة المجد تيهاً ... واختيالاً على الورى والوجودِ

منك شعّ الضياءُ في حلكةِ الدّهْرِ ... وفي دهمة الليالي السودِ

فإذا الكون كله نفحة من جلال الله ... يقظانَ ناشطاً من هجودِ

وإذا الأرض والسماء قصيدٌ ... والحجاز الكريم بيتُ القصيدِ

ولكن يبقى لديه هناتٌ هنا وهناتٌ هناك، حاولتُ علاجها من خلال مراسلاتي معه. وغادر الدنيا وحسابه عند الله، وحسابنا جميعاً عند الله. لا أستطيع أن أحدد وضعه إلا على قدر ما تضمّ المراسلات ودواوينه.

ولكن كان قد طلب مني أن أكتب كلمة عن أحد دواوينه الشعرية، فأجبته لذلك، وكتبت كلمة أدبيّة منصفة إن شاء الله، وعرضتها على عدد من المجلات فأبوا نشرها، إلا مجلة واحدة نشرتها.

كم من الأدباء والشعراء يلتقون، وفيهم مسلمون يُصَلّون ويصومون،

ويحجون، وهم مواهب أدبيّة، وبينهم من هو غير ملتزم، أو غير مسلم، ولكن لا أحد يشعر بواجبه أن يبلغ رسالة الله. يلتقون على (أدب) ويفترقون على (أدب). وربما يجيزون أدباً غير أدب الإسلام، ويقبلون شعراً يزيّن الهوى!

لا نشعر أن تبليغ رسالة الله قضيّة خطيرة يشعر بها المسلم، إلا القليل القليل! وربما يظنّ بعضهم أن هذه ليست مهمته مادام هو أديباً، فمسؤوليته في الأدب، والمهندس مسؤوليته في الهندسة، والطبيب في الطب، وربما يظن بعضهم أن مهمة الدعوة إلى الله ورسوله هي مسؤولية فئة خاصة في الأمة! وربما كان أهم سبب لهذا الظن الشعور أنهم لم يُعدُّوا أنفسهم لهذه المهمة، ولم يتزوّدوا بالزاد الضروري لهذه المهمة، المهمة التي فرضها الله على كل مسلم قادر. والقادرون حقيقة هم مواهب الأمة، مواهبها التي تجردت لبعض التخصصات العلمية أو الأدبية، دون أن يكون أساس ذلك كله هو صدق الإيمان والتوحيد، وتدبر منهاج الله ، ودراسته دراسة جادة ، وممارسته في الواقع البشري، فريضة على كل مسلم :

(طلب العلم فريضة على كل مسلم)[1]

فانظركم من المواهب المسلمة معطّلة، لا تعرف دينها ولا مسؤولياتها ولا ما فرضه الله عليهم، ولا ما سيحاسَبون عليه؟!

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

[فصلت: ٣٣]

يأمر الله ورسوله المسلمَ أن ينهض لطلب العلم من منهاج الله - **قرآناً وسنّةً ولغة عربيّةً**- فرضاً على كل مسلم، وأن يأخذ من يشاء ما يشاء من العلوم الأخرى، إلا أن دراسة منهاج الله فرض على كل مسلم.

منزلة الدعوة الإسلامية ونهجها اضطربت في مفهوم الفرد المسلم والمسلمين بعامة. ومقابل ذلك نشطت الدعوات إلى النصرانية والديمقراطية والعلمانية وأمثالها ، وانطلقت كلها في قلب العالم الإسلامي جريئه نشيطة.

---

(١) عن أنس رضي الله عنه- وعن الحسين بن علي وعن ابن عباس وعن ابن عمر وابن مسعود وعن علي رضي الله عنهم أجمعين- صحيح الجامع الصغير وزيادته (رقم :٣٩١٣)



(١٢)
مع أدونيس
وقبره الذي يحلم به

ظاهرة عجيبة في أدونيس: أعلن كفره ورفْضَه الإسلام، ونشر فتنته وفساده، وَوَجَد الكثيرين في العالم الإسلامي ممّن يمّجد شعره وفكره.

حاولتُ إيصال الدعوة إليه، فكان أول وسيلة وجدتها هي النصح (النقد) لكتابه: " مقدّمة في الشعر العربي " ! ونشرت هذا النصح له في كتابي: " الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته " ، وفي كتابي: " الحداثة في منظور إيماني " ! حيث بيّنتُ فيه لمحات مما يجب أن يعرفه عن الإيمان، وعن الإسلام.

ورجوتُ في نشر ذلك أن يصله، فلعلّ ذلك يحدث فيه هزّة توقظه من غفوته في ضلال بعيد. والهداية كلها بيد الله سبحانه وتعالى، ولا حول ولا قوة إلا به.

ومضت السنون واستمرّ في غفوته وضلاله. ونال من الهجوم مثل ما نال من المديح، إلى أن قرأت كلمة له في جريدة الشرق الأوسط، العدد ٧٦١١ ليوم الخميس تاريخ ٢٥/ ٦/ ١٤٢٠هـ - ٣٠/ ٩/ ١٩٩٩م، جاء فيها أنّه بلغ الثامنة والستين من عمره، وأنه أوصى أن يكون قبره في " قَصَابين " الضيعة التي ولد فيها في سوريا، على أن يكون في حديقة منزله هناك، بعيداً ثلاث مئة متر عن قَبْرَيْ والديه، وأوصى أن تُدْفَنَ زوجَته " خالدة " فقط في الحديقة، كما بيّن أنه اختار الموقع في زاوية في الحديقة فيها أشجار الصنوبر والسنديان والجوز، وأنه سيكون على قبره لوحة أُفقية تعلو شيئاً فشيئاً إلى ثلاثين أو أربعين سنتميتراً بعرض خمسين سنتيمتراً، بلون رماديٍّ أو أبيض، يُكتَبُ عليها اسمه وسنة ميلاده ووفاته وبيت من الشعر.

وذكر في كلمته أيضاً أنه يبحث عن مهندس لهندسة القبور، إلى غير ذلك من الآمال والتوصيات!

عندما قرأت هذا البيان الأدُونيسي، أوحى لي بهذه القصيدة، بعنوان :

" أدونيس وقبره الذي يحلم به "

أدُنيسُ " مَهْلَكَ " ! حيثُ شئتَ فَعَلِّمِ ... قَبْراً يلمُّكَ مِنْ شَتاتِك ، وارسُمِ
إنْ كُنْتَ مِتَّ كما حييتَ فيا له ... موتاً يذيقُكَ مِنْ عذابٍ أعْظَمِ
وإذا قَضَيْتَ ! ألمْ تكُنْ مَيْتاً دُفنـ ... ـتَ مع الحياة بغَيْهَبٍ لك مُعْتِمِ
فالكفْرُ مَوْتٌ في الحَياة وظُلْمةٌ ... والهَدْيُ إشراقُ الحَياة لمُسْلِمِ
فاخترْ لنفسكَ موضعاً تُلْقى به ... وتُرَدُّ مِن بَلْوى الظلامِ لأظْلَمِ
واجْمعْ كما تَهْوى الزّخارفَ كلَّها ... لتكونَ عِبْرَةَ ناظرٍ مُتَوَسِّمِ
ومِنَ الحَدائقِ والظِّلال ومِنْ رُؤى ... حُلُمٍ وفِتْنَةِ شاعرٍ مُتَوَهِّمِ
واجْمع أمانيَّ الحَياة فكُلُّها ... وَهْمٌ يَغيب ولهفةُ القَلْبِ العمي
إنْ كنت مِتَّ كما حَييتَ فذُقْ إذاً ... هولاً يُمزِّقُ في الحَشا والأعْظُمِ

* * * * *

كم كُنْتَ تهزأ ، يا شَقيٌّ ، بآيَةٍ ... ومَضَيْتَ تُنكرُ كُلَّ حَقٍّ مُعْلَمِ
كم كنتَ تَهْزأُ ، يا شَقيٌّ ، بخالقٍ ... أعطاكَ من نعَمٍ ! فيا لَلْمُنْعِمِ
وكَفَرْتَ بالله الذي سَوّاكَ مِنْ ... عَلَقٍ ! فَيا لَلْجاحد المتَبرِّمِ
وكفرْتَ بالرحمن ! كَمْ مِنْ آيةٍ ... تُجْلى وَكَمْ مِنْ ناظرٍ لم يُسْلِمِ

* * * * *

أدُنيسُ ! مَهْلَكَ ! فابْنِ قبرَكَ!هل ترى ... أينَ المصيرُ مَعَ القضاءِ المُبْرَمِ ؟!
هل كُنْتَ تَدْري أين تُنْزَعُ منك رُو ... حُك أو متى ؟! جهلٌ وفتنةُ مَزْعَمِ !

اللهُ قَدَّرَ للعبادِ مَصيرَهُمْ ... كُلٌّ إلى أجَلٍ يَسيرُ مُحَتَّمِ
شَيِّدْ كَما تَهْوى القبورَ فربَّما ... تُلْقَى لِمُفْتَرِسِ الوحوشِ وقشْعَمِ
أو في فلاةٍ أقْفَرَتْ ساحاتُها ... بَيْنَ الرّمالِ وَبَيْنَ تيهٍ مُظْلِمِ
أو في البحارِ تغيبُ في أَمْواجِها ... أو في حَنَايَا مَوْقعٍ مُتَهَدِّمِ
أنّى سقطتَ فَرُبَّما لَفَظَتْكَ تلْـ ... ـكَ الدّارُ من رجْسٍ عَلَيْكَ و مأثمِ
فَتَدُورُ لا تَلْقى مكاناً بَعْدَهَا ... يُؤْويكَ أو ساحاً عَلَيْها ترتمي
فالحقُّ أبْلجُ، لو علَمْتَ، وآيةٌ ... فمصيرُكَ المحتومُ قَعْرُ جهنّمِ
إنْ لمْ تَتُبْ لله تَوْبَةَ صادقٍ ... وَتَعُدْ إلى الإيمانِ عَوْدَةَ مُسْلِمِ
فهناكَ يُجلى الحق ! عضَّ يدَ الندا ... مَةِ أو أسرَّ من الندامةِ واكْتُمِ
واشْربْ منَ الماءِ الحَميمِ وكُلْ من ... الزَّقُّومِ، كمْ أنكرْتَهُ ؟! وتَنَعَّمِ !
وانظر يمينَك أو شمالَكَ هلْ تَرَى ... من منْجدٍ تأوي إليه ومُكْرِمِ
أو من شفيعٍ مُقْبلٍ أو منْ حميمٍ ... أو وليٍّ بالشفاعَةِ مُسْهِمِ
كُلُّ الذين عبدتَهُمْ مِنْ قَبلُ قَد ... سقَطوا هنالك في عذابٍ أشْأَمِ

* * * * *

فَارْجعْ لربِّك قَبْلَ مَوْتك واسْتَقِمْ ... والجأْ إلى الله الأبَرِّ الأرْحَمِ
للتّائبين إليه بابٌ واسعٌ ... مَنْ تَابَ تَوْبَةَ صَادقٍ لم يُظْلَمِ
فَعَسَاكَ أنْ تَلْقى النَّجاةَ و إنّما ... تُوفَى النَّجاةُ مَعَ السَّبيلِ الأَقْومِ
اللهُ بيَّنَ للعِبَادِ سَبيلَهُ ... حَقّاً وفَصَّلَ في الكتابِ المُحْكمِ

* * * * *

فارْجعْ لربّكَ ! قَدْ وُلِدْتَ بِفطْرة ... حقٍّ على دينِ الحنيفة مُعْلِمِ
وحَبَاكَ مِنْ سَمْعٍ ومن بَصَرٍ هُدى ... لتَرَى الحَقيقَةَ بالفُؤاد المُلْهَمِ
وأَتَتْ لنا رُسُلٌ بدينٍ واحدٍ ... تترى بكلِّ مُبَلِّغٍ ومُعَلِّمِ
خُتِموا بأحْمَدَ كُلُّهم وكتابِهِ ... فانْهضْ له ! أسلمْ لربِّكَ والْزَمِ

* * * * *

ثم حاولت نشرها، فأبت إحدى المجلات الإسلامية أن تنشرها، وكانت حجتها، كما قالت لي، أنها لا تريد أن تدخل في مشكلات مع جماعته، فعجبت وازداد عجبي كيف أن أدونيس لم يأبه بكل المسلمين في الأرض، ولم يخش الله ولا عقابه، وأعلن فساده جهاراً نهاراً، وترى في الوقت نفسه جُبْن بعض المسلمين وتردّدَهُمْ وعدم قيامهم بواجبهم من تحذير أدونيس من سوء العاقبة، ودعوته إلى الإسلام والتوبة قبل أن يخطفه الموت. ثم تمّ نشرها في إحدى المجلات التي أرجو أن تكون قد وصلتْ إليه، وهو وجماعته يبحثون عن كل كلمة تُقال فيهم.

وفي آخر القصيدة دعوته إلى الإيمان، وإلى الرجوع إلى ربه، وإلى أن يستقيم على أمره :

فارجع لربّك قبل موتك واستقمْ ... والجأ إلى الله الأبّر الأرحمِ
للتائبين إليه بابٌ واسعٌ ... من تاب توبةَ صادقٍ لم يُظْلَمِ

وكذلك :

فأرجع لربك! قد ولدتَ بفطرة ... حقٍّ على دين الحنيفة مُعْلِمِ
وحَباك منْ سَمْعٍ ومن بَصَرٍ هُدىً ... لتَرى الحقيقة بالفؤاد الملهَمِ
وأنتْ لنا رُسُلٌ بدينٍ واحدٍ ... تَتْرى بكل مُبَلِّغٍ ومعلّم
ختموا بأحمدَ كلهُّم وكتابه ... فانهض له! أسلم لربّك والزمِ

وذكر الموت يُفترض أن يهزّ القلوب ويدفعها لتفكّر، إلا من كتب الله عليه الضلالة وكانت حقّاً عليه.

القبر والدفْن، وانقطاع الإنسان عن الدنيا آية جليّةٌ، نسأل الله أن يثبت قلوبنا ويملأها نوراً وإيماناً واستسلاماً لله! ولذلك قال رسول الله ﷺ :

(أكثروا من ذكر هاذم اللذات - الموت ...)(١)

فالموت حقيقة ثابتة. فَبها يُمكن أن تُقرَعَ القلوبُ القاسية، فعسى أن تلين لذكر الله، وذكر الموت يمكن أنَ يبيّن للناس أنهم كلهم راجعون إلى ربّهم. ولا يقسو قلب ابن آدم، ويمتنع عن الإيمان وخشية الموت والقبر والبعث والحساب إلا من كتب الله عليه الشقاء لحكمة هو يعلمها.

والتذكير بالموت الذي هوجليٌّ للناس كان من أكثر الوسائل إفادةً في دعوة الناس إلى الله ورسوله، وإلى دين الله الإسلام.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٧ - ٣٠]

أتساءل كم من المسلمين دَعَوا أدونيس إلى الإسلام، وبلَّغوه رسالة الله كما أُنزلتْ على محمد ﷺ ؟!

كم من المسلمين دعوْه ودَعوْا غيره ، حتى لا يكون الموقف من هؤلاء مجرد الهجوم ! لا أظن إلا أنهم قليلون ! لم يعد المسلم يشعر أن من واجبه أن يبلّغ رسالة الله إلى الناس كافة ويتعهدهم عليها .

الدفاع عن الإسلام واجب ، والدفاع عن رسول الله ﷺ واجب ، ولكن الوفاء بهذا الواجب يجب أن لا يُعطّل تبليغ الدعوة إلى الناس كافّةً وتعهّدهم عليها .

(١) عن أبي هريرة أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم والبيهقي وابن حبّان في صحيح الجامع الصغير وزيادته: (١٢١٠)



(١٣)
مـع بـابا الفاتيكـان

إن الكلمة التي ألقاها بابا الفاتيكان -بنديكت السادس عشر- في جامعة ريجنسبورج في بافاريا في ألمانيا حول ما يعتقده من خلاف بين الإسلام والنصرانية، وبين الإيمان والعقل، لم تكشف جهل البابا وكبره وظلمه فيما ادعى وعدم التزامه لأبسط قواعد الدراسة والبحث، ولكنها كَشَفَتْ في الوقت نفسه أخطاء المسلمين وتقصيرهم وضعفهم.

كان موقف معظم علماء المسلمين أو جميعهم أن طلبوا من البابا أن يعتذر عن الإساءة التي قام بها. ولكن ما قيمة الاعتذار ولم تُبْذَلْ جهود منهجيّة صادقة لدعوته إلى الإسلام، وإنقاذه من مصير الهلاك بين يدي الله إن مات على الشرك، كافراً بمحمد ﷺ ، كافراً بالدين الحق الواحد الذي جاء به جميع الرسل والأنبياء ديناً واحداً!

كتبت رسالة رداً عليه أدعوه إلى التوبة مما ارتكب من معصية كبيرة، وأدعوه إلى دراسة الإسلام، قبل فوات الفرصة والإيمان به.

هذه الحادثة مثل غيرها من الحوادث تكشف لنا التقصير الكبير أوالمعصية الكبيرة التي يقع فيها المسلمون، ألا وهي عدم تبليغ رسالة الله إلى الناس كافّة، إلى الشعوب، إلى الحكام والرؤساء، إلى أصحاب المذاهب الأخرى! وكل يوم نكتشف أثراً سيئاً في الواقع نتيجة هذا التقصير الذي سيحاسَب عليه المسلمون والدعاة بين يدي الله.

لا بدّ أن نعيد ونُكرِّر ونؤكِّد أهميَّة تبليغ رسالة الله إلى الناس كافّة كما أُنْزلتْ على محمد ﷺ ، وتعهُّدهم عليها، تبليغها إلى الناس جميعاً إلى المستويات كلّها، إلى الشعوب كلها، إلى الحكام كلِّهم، حتى نعذر أنفسنا بين يدي الله سبحانه وتعالى. لا بُدَّ أن نبلّغ رسالة الله هذا التبليغ تبليغاً منهجّياً كما فعل رسول الله ﷺ ، منهجياً يحمل الخطة والمنهج والمراحل والأساليب!

لقد انطلق رسول الله ﷺ يبلّغ دعوته إلى الناس كافّة كما أمره الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧]

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى لم تتوقف الدعوة أبداً، وإنما قام بها تلامذة الرسول ﷺ :

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

[آل عمران: ١٤٤]

وامتدّت المسؤولية إلى الأمة المسلمة كلها، الأمة التي اختارها الله لتكون خير أمَّة أُخرِجَتْ للناس مادامت تمتلك الخصائص التالية:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك هو تبليغ رسالة الله إلى الناس كافّة.

الإيمان الصادق بالله واليوم الآخر.

أن يكونوا أمةً واحدةً وصفّاً واحداً يقومون جميعهم بما أمر الله.

وبذلك جاءت الآيات الكريمة تذكر وتأمر وتؤكد:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

[آل عمران: ١١٠]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣]

وكذلك:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]

نعم! عذاب عظيم إن اختلفوا وتفرّقوا ولـم يعودوا أمة واحدة كما أمرهم الله.

وكذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف: ٤]

لذلك كـان تبليغ رسـالة الله إلى الناس كـافّة تمثل في ميزان الكتـاب والسنة جوهر **الخلافة في الأرض والعبادة والأمانة والعمارة**. وهي المهمة التي خلق الله الإنسان ليوفي بها في الحياة الدينا، وليحاسَب عليها في الآخرة، وهي المهّمة التي يصلح عليها حال البشرية في الحياة الدنيا.

إذن كلمة البابا ومحاضـرته تكشف لنا من جملة ما تكشفه ضعـفنا نحن المسلمين، وتخاذلنا عن الوفاء بالمهمة التي خلقنا لها.

ومن هذا التصّور رغبتُ أن أقوم بواجبي في هذا السبيل، فكتبت رسالة للبابا أذكره وأبيّن له، وأدعوه إلى التوبة من معصيته التي ارتكبها، وأدعوه إلى الإسلام، وقد تمّ إرسال هذه الرسالة بالعربية والإنجليزية. وفيما يلي نجد نصّ الرسالة:

رسالتي إلى بابا الفاتيكان:

مهلاً يا بابا! إني أدعوك إلى الإسلام!

تحدّث " بـابا الفتيكان-بندكيت السادس عشر " - في محاضرته في جامعة " ريجينسبورج " في " بافاريا " بـألمانيا حول ما يعتقده من خلاف بين الإسلام والنصرانية، في العلاقة بين الإيمان والعقل.

لم تكن إساءته الأولى للإسلام فيما ادعاه من نقاط مثل سوء فهم الآية الكريمة: (**لا إكراه في الدين...**) ومن مثل " الحرب المقدسة في القرآن "، ولا بقوله الذي خالف فيه الإيمان والعقل معاً في وقت واحد، حين قال: " أرني شيئاً جديداً أتى به محمد ﷺ ، فلن تجد إلا ما هو شرير ولا إنساني، مثل أمره بنشر الدين الذي كان يبشر به بحد السيف "، وهنا لم يكن خطؤه مخالفة الدين والعقل فحسب، ولكن وقع في خطأ كبير ألا وهو " الافتراء " أو الكشف عن جهله الواسع بالإسلام!

إن إساءته الأولى كانت لنفسه والنصرانية التي أتى بها عيسى عليه السلام وللدِّين كله والعقل كله. فهل يُعقل أنَّ الله الواحد الأحد، ربَ السموات والأرض ورب العالمين، وجميع الخلق عباد له، هل يُعقل أن الله الواحد يبعث لعباده بأديان مختلفة متصارعة، ثم يُحاسبهم يوم القيامة؟! إذا كان الدين عند الله هو الحق، بعث الرسل والأنبياء ليُذكّروا عباده بالحق الذي يجب أن يتبعوه في الحياة الدنيا ليدخل المؤمنون الجنة برحمة من الله، ويدخل الكافرون النار عدلاً من الله سبحانه وتعالى، إذا كان ما عند الله هو الحق فهل يُعقل أن يبعث رسله بأديان متصارعة؟! كلا! ثم كلا! فهذا لا يُعقل، فالدين عند الله واحد بعث جميع رسله بدين واحد هو دين الإسلام، ديناً واحداً! فاستمع إلى ما يقوله سبحانه وتعالى:

﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)** ﴾ [آل عمران: ١٩]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)** ﴾

[آل عمران: ٨٥]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى**

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ٨٣]

هذه هي الحقيقة الأولى التي يفرضها العقل والدين في وقت واحد، ألا وهي: أنَّ الدين كله من عند الله وهو دين واحد! فكيف غابت هذه الحقيقة عن إيمان البابا وعقله؟!

ولذلك جاءت الآيات في القرآن الكريم واضحة جلية تبين بشكل حاسم أنَّ جميع الرسل والأنبياء جاءوا بدين واحد من عند الله هو الإسلام، فالإسلام دين نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وداود وغيرهم عليهم السلام ممن ذكرهم القرآن الكريم أم لم يذكرهم:

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء: ١٦٣ - ١٦٦]

ولقد جاءت الآيات البينات تبيّن أنَّ كلَّ نبيّ ورسول كان مسلماً، وكذلك أن الذين آمنوا به واتَّبعوه كانوا مسلمين. وهذه هي الحقيقة الثانية المرتبطة بالحقيقة الأولى السابق ذكرها: أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء والرسل، والذين اتبعوهم.

ولذلك أصبح من أسس الإيمان في الإسلام، في دين الله، أن يؤمن المسلم بجميع الأنبياء والرسل. لا يُفرِّق بين أحد منهم:

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٢]

وكذلك:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)﴾ [البقرة: ١٣٦]

ونوح عليه السلام يقول:

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢)﴾ [يونس: ٧٢]

وإبراهيم عليه السلام يقول:

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧)﴾ [آل عمران: ٦٧]

وموسى عليه السلام كذلك:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤)﴾ [يونس: ٨٤]

وعيسى عليه السلام ومن آمن معه:

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢)﴾ [آل عمران: ٥٢]

وكذلك سائر الأنبياء والمرسلين.

أما قول البابا عن التناقض بين ما تشير إليه الآية الكريمة:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ [البقرة: ٢٥٦]

وبين أمر رسول الله ﷺ بنشر الدين بحدّ السيف، كان أحرى بالبابا أن يذكر الآية كاملة حتى ينجلي المعنى. فلا تعارض بين قوله سبحانه وتعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾، وبين أمره سبحانه وتعالى بالجهاد في سبيل الله. قضيتان متداخلتان تكملان المعنى والصورة لتكون جزءاً من نهج واحد متماسك.

فـ ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ تعني أنّ الله لا يقبل من أحد إيماناً لم يكن نابعاً من قلبه متيقناً منه، فعلى الإنسان أن يستمع للدعوة إلى الإيمان الحق، إلى الإسلام، ثمّ عليه أن يفكّر، ثمّ عليه أن يقرّر هو بنفسه آمن أم لم يؤمن، ثم يتحمّل هو مسؤولية قراره. ولكن المشكلة هنا أنه يجب أن تبلغه الدعوة واضحة جليّة ليفكّر، وأن يُفْسَح المجال للإنسان ليستمع ثمَّ ليفكِّر، ثمَّ ليقرّر، ثم ليتحمّل مسؤولية قراره. ولكل قرار نتيجة: فلو قرر الكفر فمصيره إلى النار، وإن قرر الإيمان فمصيره إلى الجنَّة.

وحين حمَّل الله الإنسان مسؤولية الإيمان أو عدمه، وفّر له جميع الإمكانات التي تعينه على اتخاذ قرار الإيمان لينجو عند الله. واستمع إلى آيات الله البينات:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف: ٢٩ - ٣١]

ولذلك كان من أهمِّ القضايا التي يؤكدها القرآن الكريم أمر الله للإنسان أن يفكر التفكير الإيماني السليم، ويلحُّ القرآن الكريم بهذه القضية إلحاحاً شديداً، ويوفّر الله لعباده سبيل التفكير الإيماني الذي يهدي إلى الإيمان والعمل الصالح، وذلك بنعم من الله كثيرة:

١- **أن جعل الإيمان فطرة الإنسان** التي يولد عليها وأبواه يهودّانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، فتفسد فطرته، ويتحمل أولئك المسؤولية عند الله:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣٠ - ٣٢]

وكذلك الحديث الشريف:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال:

(ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسّون فيها من جدعاء) [أخرجه أحمد ومسلم](١)

ولذلك جعل الله برحمته دينه دين الفطرة التي يُفْطَرَ الناس جميعاً عليها لا تبديل لخلق الله.

٢- أن جعل آياته بينات في السموات والأرض وفي الإنسان نفسه آيات بينات شاهدات على أنَّ الله حق واحد لا إله إلا هو:

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١]

٣- أرسل الأنبياء والرسل في كلِّ أمة حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى

---

(١) (أخرجه أحمد ومسلم).

اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾
[النحل: ٣٦]

وختم الأنبياء والمرسلين بمحمد ﷺ الرسول الذي بشّر به موسى وعيسى والأنبياء عليهم السلام.

٤- أن أنعم على الإنسان بالسمع والبصر والفؤاد، وجعل الله أولئك عنه مسؤولاً:
﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً (٣٦)﴾ [الإسراء: ٣٦]

لذلك أصبحت القضية الآن إيماناً وعقلاً أن تُبلَّغ الدعوة إلى الناس كافّة، وأن لا يقف أمامها حاجز يصدُّ عن سبيل الله، ويمنع وصول الحق إلى الناس فيبدأ المؤمنون بالتبليغ والبيان والتعهد والموعظة الحسنة:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨)﴾
[النحل: ١٢٥ - ١٢٨]

ولم يكن الأمر بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة أمراً مرهوناً بزمن، ولكنه أمر ممتد امتداد الدعوة الإسلامية ما دامت الطرق مفتوحة والأبواب مشرعة، ولا يوجد اعتداء على الإسلام ولا ظلم ولا صدٌ عن سبيله، وهذا قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦)﴾
[العنكبوت: ٤٦]

نعم ! " **إلا الذين ظلموا منهم** " فهم الظالمون المعتدون!

ولما نزل قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) ﴾ [الأنفال: ٣٩]

وقوله سبحانه تعالى:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]

فما كان الجهاد في الإسلام إلا رداً لعدوان عليه أو بلاغاً لرسالة الله إلى الناس بعد أن صُدَّ عن سبيله، وكان رسول الله ﷺ يقول:

(خلّوا بيني وبين الناس حتى أبلّغ رسالة ربي)!.

وكان أعداء الإسلام هم المعتدين بصورة مستمرة، ولذلك جاء قوله سبحانه وتعالى:

﴿ لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) ﴾ [التوبة: ١٠]

ولما جمع الرومان حشودهم حول الجزيرة العربية قبل غزوة مؤتة أمر الرسول ﷺ الصحابة أن يتحركوا إليهم لمواجهتهم.

وأعجب من كلام البابا هذا بأنَّ محمداً ﷺ أمر بنشر دينه بالسيف، وتناسى الآيات الكريمة التي تدعو إلى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. والإسلام يريد أن تبلّغ رسالته. فحين تكون الحكمة والموعظة الحسنة هي السبيل الممكن فيُتّبَعُ هذا السبيل ، وإن كان هنالك عدوان وصدّ عن سبيل الله فقد شرع الله سبحانه وتعالى الجهاد في الإسلام حقاً.

إنَّ الإسلام جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، ولينقذهم من عذاب جهنّم إلى نعيم الجنّة. وهذا هو أخطر ما في حياة الإنسان على الأرض في الحياة الدنيا، أيعقل بعد ذلك أن يُتْرك الإنسان على هواه وإن اختار الشرك أو الكفر دون بذل الجهود لإنقاذه. أرأيت لو أنك عاينت رجلاً يكاد يغرق في البحر، أتتركه دون أن تنقذه وأنت قادر على ذلك، فكيف إذا كان الإنسان سيُلْقَى في نار جهنم أتتركه دون محاولة إنقاذه.

ولو أنك كنت تسير على طريق تعرفه، وأمامك يسير رجل لا يعرف الطريق، وأمامه هوّة عميقة فيها نار تلظى. فلو تركته يتابع سيره سيهوي في لهيب النار، أكنت تتركه أم تقبل عليه ليرجع. فإذا اقتنع وعاد إلى الصواب والحق فذلك هو المقصود، وأما إذا أبى وأصرّ على أن يمضي إلى هلاكه أكنت تتركه أم تمنعه ولو بالقوّة؟! وإذا كان هذا الرجل ابنك، أو أخاك، أو رجلاً آخر، أكنت تاركه؟!

وهكذا الإسلام جاء ليمنع الناس من أن يهووا في نار جهنّم ، لينقذهم من النار إلى الجنَّة، فالأمر أخطر من أن يؤخذ بهذه البساطة، بساطة العلمانية التي تترك أمر الدين للفرد نفسه، لا تحرص على آخرته.

وهذا الذي ضرب البابا مثلاً به، الطالب في الجامعة الذي أعلن كفره صراحة وأنكر وجود الرب، فتركه هو وشأنه، يقول البابا إن التماسك الداخلي للإيمان داخل هذا الكون لم يتأثر بكفر هذا الرجل. هذا ظنٍ ووهم! وإلا ما قيمة الدين والرسالات السماوية إذا كان شأنها أن تترك الملحد على إلحاده ليهوي في جهنم إذا مات على الإلحاد؟! ما قيمة الدين إذن، والنتيجة واحدة إذا كان هنالك دين أم لم يكن دين؟! كيف لا يتأثر التماسك الداخلي للإيمان في داخل الكون بوجود ملحدين تتركهم وإلحادهم؟!

إن الدين جاء لينقذ الناس من خطر هو أعظم من أي خطرفي الحياة الدنيا، لينقذهم بالحكمة والموعظة الحسنة مادامت تفيد، وبالقوة والشدة إذا لزم الأمر.

وترك الملحد لإلحاده سينشر الفساد في الأرض ويمتد الإلحاد وتطغى الفتن في الأرض كما هي تطغى اليوم في ظلِّ سيطرة النصرانية والعلمانية ، ويُفْتَنُ الناس عن دينهم وإيمانهم.

ولكننا نعجب من البابا كيف يتهم الإسلام بأنه نشر بالسيف، ويتناسى العالم النصراني والعلماني منذ قرون طويلة وهو يحمل كل أنواع السلاح والتدمير غارات متواصلة على العالم الإسلامي، وما زالت ممتدة ترتكب أسوأ أنواع الجرائم في الأرض. هذه الجرائم باسم الديمقراطية يقودها العالم الغربي باسم النصرانية كذلك كما أعلنها بوش بأنها حرب صليبية، وكما أعلنها غيره، وكما تنطق التصرّفات المتتالية المختلفة من العالم الغربي.

وموقف بابا الفاتيكان موقف العداء من الإسلام والمسلمين ليس جديداً. وإنما هي مواقف متكررة في حقد وعداء مكشوف. ولا نراه بذلك يطبق ما يزعمونه بأنه دين عيسى عليه السلام.

ولا حاجة لأن أذكّر بابا الفاتيكان كيف تكونّت الكنيسة الكاثولوليكية في قلب الأمبراطورية الرومانية، بعد صدام وصراع مع الوثنية لمدة تزيد عن (٣٠٠) سنة، أثرت الوثنية اليونانية الرومانية فيها، فمنها أخذت طقوسها التي لم يأت بها عيسى عليه السلام، ومنها أتت فكرة التثليث التي رفضها طائفة الأريوسيين وتمسكوا بالتوحيد الخالص لله، فقُضِيَ عليهم قضاء مبرماً.

وإذا كان البابا حريصاً على الإيمان والعقل، ففي كلامه فَارَق الإيمان وفارَق العقل، وأغرب بالافتراء والظلم.

نقصد من هذه الملاحظات أن نعرّف بابا الفاتيكان على بعض القضايا في الإسلام، القضايا التي هي واضحة في كتاب الله! ولكننا نظل نعجب أن يصدر عن رجل في هذا المركز الحساس ما يكشف عن جهل كبير بالإسلام، واضطراب في الإيمان ودور العقل.

فـالإيمـان يفرض عليـه وعلى غيـره أن لا يتحـدّث عن أيّ مـوضـوع إلا بـعـد دراسته دراسة أمينة، ونذكره بقوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]

والعقل يفرض كذلك أن لا يتحدث الإنسان عن موضوع إلا بعد دراسته دراسة جادة ليكون أميناً في ما يعرضه. فالإيمان والعقل يفرضان الأمانة والصدق وعدم الافتراء.

هذه ملاحظات سريعة نسوقها عسى أن تصل إلى أذن بابا الفاتيكان وقلبه ليستفيد منها في حياته وآخرته.

وفي قوله: " أرني شيئاً جديداً أتى به محمد ﷺ، فلن تجد إلا ما هو شرير ولا إنساني.. "! فإنَّ محمّداً ﷺ يردُّ على ذلك في حديثه الشريف الذي يرويه عنه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وأُبي بن كعب رضي الله عنهم:

(مثلي في النبيين كمثل رجل بني داراً، فأحسنها وأكملها وأجملها، وترك منها موضع لبنة لم يضعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون ويقولون: لو تمَّ موضع هذه اللبنة، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة) . [أخرجه أحمد والشيخان والترمذي][(١)]

وهذا تأكيد على أنَّ الدين واحد عند الله، وأنه دين واحد لجميع الرسل والأنبياء، وأنَّ محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

ولكننا من ناحية أخرى نعتب على أنفسنا، نحن المسلمين ، على الذين انتشروا في الأرض على أساس أنهم دعاة ، ثُمَّ نكتشف كل يوم أنَّ رسالة الإسلام لم تبلّغ لا إلى هذا ولا إلى ذاك. وأول واجبنا قبل أن نهاجم البابا هو أن نوضح له الإسلام ثمَّ ندعوه بشكل واضح صريح إلى الإسلام، إلى دين عيسى عليه السلام ودين

(١) أحمد : المسند : ٥/ ١٣٧ ، الفتح : ٢١/ ٢٨٣ .

جميع الأنبياء والمرسلين، إننا ندعوه ونلحُّ بالدعوة عسى أن يهدي الله قلبه فيؤمن فينجو من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة.

لقد سبق أن ذهب وفد من المسلمين إلى الفاتيكان لأجل الحوار! أيُّ حوار كانوا يقصدون ؟! فهم يعرفون موقف البابا من الإسلام، والبابا يعرف موقف المسلمين من الفاتيكان، وكلاهما يعرف أنه لا نقطة لقاء بين الفريقين إلا أن يتنازل أحدهما عن عقيدته. فهذا إذن ليس حواراً. إنما كان يجب أن يدعو الوفد البابا دعوة صريحة إلى الإسلام. وأن تكون دعوة جلية جريئة لا مجاملات فيها على حساب الحق. وهذا هو أمر الله لنا، فلنستمع إلى ما يأمرنا به الله:

﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) ﴾ [آل عمران: ٦٠، ٦١]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤) ﴾

[البقرة: ٦٢ - ٦٤]

شتّان بين هذه الدعوة الواضحة إلى الحقِّ وبين ما كان يجري عليه الحوار! حتى لقد صرح رئيس وفد الحوار إلى الفاتيكان أنَّ البابا قال لهم نحن لا نؤمن بأنَّ محمّداً ﷺ رسول من عند الله! ثمَّ يتساءل: لمَ الحوار إذن؟! نعم! لمَ الحوار وهم لم يطلبوه ولكن أنتم طلبتموه وسعيتم إليه! ذهبتم ولم تبلغوهم دينَ الله بوضوح. كانوا جريئين بضلالهم، ونحن ضعفاء بالحق الذي نؤمن به. هم لا يجاملون ولا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمّة، ونحن نتنازل كل يوم عن شيء من ديننا.

ومن أعجب ما قاله البابا: " أرني شيئاً أتى به محمد ﷺ فلن تجد إلا ما هو شرير ولا إنساني " ! فإن كان هناك شيء يكشف الجهل فلا شيء يكشفه أكثر من هذا القول. وليس هذا بجهل فحسب، ولكنه افتراء على رسول الله ﷺ، وأهم ما جاء به محمد ﷺ مكارم الإخلاق والحبُّ في الله وطيب الكلمة واللفظة، بحيث تكون صادقة لا كذب فيها ولا افتراء. معاني الإنسانية الحقة لا نجدها في أيِّ رسالة كما نجدها في دين الإسلام، دين جميع الأنبياء والرسل الذين خُتموا بمحمد ﷺ.

ولو أردتُ أن أُعدِّدَ كلَّ ما جاء به محمد ﷺ من عند ربه من الخير ومعاني الإنسانية لاحتجتُ إلى مؤلفات. ولكن يكفي أن أقول إنه جاء بما أنت بحاجة إليه!

وحسبك حديث رسول الله ﷺ يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه:

(إنمَّا بُعثْتُ لأُتمِّم صالح الأخلاق) [خرجه ابن سعد، البخاري، الحاكم، البيهقي][١]

يا سيادة البابا! إني أدعوك إلى الإسلام دعوة واضحة صريحة، فأَسْلِمْ عسى أن تَسلم بين يدي الله. إنَّ الحقَّ جليّ والله أرحم بعباده من أن يترك الحقَ مبهماً غير بيّن أو جليّ.

فإذا قضيت وغادرت الدنيا، ورأيت أنك كنت كما أنت الآن على غير الحق، وبدا لك أنَّ الحق هو ما جاءت به الرسل والأنبياء والنبيّ الخاتم محمد ﷺ ، فماذا أنت فاعل؟! وماذا يفعل الذين اتبعوك!

أكرِّر بإلحاح أيها البابا الدعوة إليك أن أَسْلِمْ، فعسى أن تنقذ نفسك وتنقذ الملايين ممن يتبعونك!

أنا لا انتظر اعتذارك! ولكن انتظر توبتك إلى الله لأنك ارتكبت معصية كبيرة.

فالإساءة إلى أيّ نبيّ أو رسول إثم ومعصية عند الله وبخاصة إذا كانت إلى خاتم النبيين محمد ﷺ ، واستمع إلى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧ ﴾ [الأحزاب: ٥٧]

---

(١) أخرجه ابن سعد، البخاري، الحاكم، البيهقي. صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٢٣٤٩.



(١٤)
مع الدعوة الإسلامية في مؤتمر إسلامي

دُعيت إلى عدد غير قليل من المؤتمرات الإسلامية في البلاد العربية وفي بعض أقطار أوروبا وغيرها. وكانت المؤتمرات غنيّة بتنظيمها وعطائها. وخاصة أنه جهد بشري ترعاه قلوب مخلصة وعزائم صادقة إن شاء الله.

وكان يدور في بعض المؤتمرات تناصح وتقويم مما يزيد المؤتمر قوة وتماسكاً. ولكن بعض المؤتمرات كانت تقع فيها أخطاء تغيب النصيحة عنها، ويتعطّل التقويم.

في مؤتمر إسلامي في أوروبا فوجئت فيه باختفاء اللغة العربية وبتكريس المؤتمر للدعوة إلى العلمانية، وإقرار أنها مشابهة للإسلام في مقصودها، وغياب التقويم أو التناصح.

نصحتُ المسؤولين عن المؤتمر قدر جهدي، وعندما عدت إلى الرياض وجهت الرسالة التالية التي أرجو أن تكون كافيةً لتتصوّر الواقع قدر الإمكان وبصورة جليّة. وقد أخفيتُ ما يبيّن مكان المؤتمر وأسماء المعنيين إذ المقصود النصيحة وليس التجريح.

لقد نصحت المسؤولين وعدداً من الشباب المسلمين على قدر ما سمحت لي إقامتي هناك. لقد دعوت إلى الله ورسوله، وإلى التزام منهاج الله - قرآناً وسنةً ولغة عربيةً-، وجمع المسلمين على ذلك لا على العلمانية!

وأقصد من عرض هذه الرسالة في هذا البحث، أن أبيّن أوّلاً تنوّع أساليب الدعوة، ووجوب رد الأمور كلها، صغيرها وكبيرها، إلى منهاج الله، وكذلك كشف حقيقة الخطر الذي يهدّد المسلمين بإزاحة اللغة العربيّة وتشويه الإسلام والدعوة الجريئة للانحراف عنه.

ويزداد الأمر سوءاً حين نعلم أن أولئك الأساتذة المسؤولين عن المؤتمر دعاةٌ مسلمون ارتفعوا إلى مستواهم الذي هم فيه بالإسلام، ثم أداروا ظهورهم له، وأخذوا بمبادئ الغرب يقيمون المؤتمرات للدعوة إليها. **إنها مأساة بكل معنى كلمة مأساة .**

ولم يكن هذا المؤتمر هو الوحيد الذي يدعو إلى هذا الانحراف.فلقد وجدت مؤتمرات أخرى تدعو إلى ذلك تحت شعار الإسلام. والآن إلى الرسالة التي وجهتها لرئيس المؤتمر بعد النصح المباشر أثناء اللقاء :

أخي الكريم ...!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد :

أشكركم على دعوتكم لي لحضور المؤتمر. ولقد سبق أن حضرت المؤتمر السابق في السنة الماضية مما جعل الصورة أمامي أكثر وضوحاً، والقضايا المطروحة أبعد عمقاً. لقد اعتاد المسلمون منذ عهد غير قصير أن ينفضُّوا بعد كل مؤتمر دون أن يجري تقويم مبنيّ على الشورى ومعرفة رأي المشاركين والوفود المعنية بالدعوة الإسلامية، وعلى ممارسة الشعارات التي تطرح في الساحة من شورى وتعاون وحرّية رأي واحترام الرأي الآخر ووحدة العمل الإسلامي، وكثير غير ذلك.

ويعلم الله أني حرصت منذ أول تعارفنا على بناء أخوة في الله صافية خارج الإطارات الحزبية، يصدق فيها الولاء الأول لله، والعهد الأول مع الله، والحب الأكبر لله ولرسوله، وتصان فيها التكاليف الربّانية بامتدادها وشمولها. وإني أَعتبر رسالتي هذه واجباً أؤديه لأقدم من خلاله جزءاً بسيطاً من التقويم الذي كان يجب أن يتمّ قبل تفرّقنا، وجزءاً من النصيحة التي علينا أن نوفي بها، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ :

(الدين النصيحة)[١].

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، صحيح مسلم : ١/ ٢٣/ ٩٥ الترمذي ٢٨/ ١٧/ ١٩٢٦ ، النسائي : ٣٩/ ٣١/ ٤١٩٧ .

١- **التقويم** : فاول ما أنصح به هو ضرورة إرساء التقويم على أسس ربّانية لكل عمل يقوم به المسلمون، ليستفاد من الطاقات المشاركة من ناحية، ولمعرفة الصواب لِتُتَبَنَّى ممارسته، ولمعرفة الخطأ فيُجْتنب. وبذلك تنمو جهود المسلمين وتستقيم .

٢- **لغة المؤتمر**، واللغة العربية: لقد كانت الأجنبية هي اللغة الأولى في المؤتمر. ربما كان ذلك محاولة غير سليمة لإثبات حسن المواطنة في ذاك البلد. كان بالإمكان إبراز أهمية اللغة العربية في أكثر من موقف مع مراعاة الواقع الذي يفرض استخدام اللغة الأجنبية. فاللغة العربية لم تعد لغة قوم إنما لغة دين الإسلام ورسالته، ولغة القرآن والوحي والنبوة، ولغة العبادة، وهي اللغة الأولى لكل مسلم في الأرض حيثما كان. فالقرآن الكريم لا يُفْهَمُ إلا بها، وتلاوته التعبدية لا تصح إلا بها. ولقد جاءت مناسبات عديدة في المؤتمر كان يمكن إبراز اللغة العربية واحترامها، ولكنها فاتت دون الاستفادة منها بذلك، مما رسخ في أذهان الشباب المسلمين خاصة تهوين أمر لغة القرآن الكريم.

٣- **التوصيات**: وكمثال على تلك المناسبات أشير إلى إعلان التوصيات أو القرارات، فالله أعلم بما كانت تشمل هذه التوصيات. فما زلت أنا لا أدري ما الذي أُعلن. فقد أُعلنت تلك الأمور باللغة الأجنبية فقط، وكأن الحضور من المسلمين الذي يجهلون اللغة الأجنبية لا شأن لهم بذلك. ولكن مظاهر " الإخراج " أوحت بأن عليهم دوراً أن يؤدوه. فقد دعينا إلى المنصة، وأنا على الأقل لم أكن أدري لماذا. فاستجبت احتراماً للمؤتمر وللداعي والحضور. وقفت على المنصة كالآخرين. ثم جلست وأنا متعب حائر، وأخ آخر من الوفود أبى المشاركة. ثم تُليتْ بتلك اللغة صفحة أو صفحتان قيل إنهما التوصيات. كنت كما كاَن غيري " صورةً" نمثّل دوراً على المسرح، دوراً مفاجئاً لا أومن به ولا أرضاه لنفسي ولا لأي مسلم. دورنا إذن أن نقف على المسرح دون أن نفقه شيئاً. وحتى هذه اللحظة، بعد أن عدتُ إلى الرياض، ما

زلت لا أدري ما قيل. ومرّ شريط طويل أمامي من واقع المسلمين والدعوة خاصة يكشف كيف يعتبر المسلمون بعضهم بعضاً " قطيعاً " يُدعى ليؤيد ويصفق، لا يُطلب منه أن يعرف ولا أن يعي ولا أن يفهم ولا أن يدرك، ولا أن يشارك. كم تتكرر هذه المواقف في حياتنا، فنخالف بها قواعد إيمانية كثيرة: يضعف الاحترام المتبادل، تضعف حقوق الأخوة في الله، لا ننزل الناس منازلهم، تكثر المجاملات الظاهرية. أصدقك القول يا أخي: إني لا أرضى لنفسي ولا لأيّ مسلم أن يقف إمعة لا رأي له، ورسول الله ﷺ يقول: (**لا يكن أحدكم إمعة ...**) ! آن لنا أن ننبذ سياسة النظر إلى المسلمين نظرتنا إلى " قطعان " !

٤- **مسلسل التنازلات :** من القضيتين السابقتين أرى أنكم بدأتم في مسلسل طويل من التنازلات. كان أوله التنازل عن مكانة اللغة العربية في الدين الإسلامي ودعوته ومؤتمراته، ولكنها ليست آخر التنازلات في المسلسل. إن مسلسل التنازل يبدأ بخطوة ثم يتوالى المسلسل توالياً مدمراً مهلكاً، قد لا يفيق منه المسلمون وهم في نشوة الفرحة على عرض من الدنيا ، إلا على بلاء من الله عظيم. لقد بدأ مسلسل التنازل في أمتنا بخطوة ثم توالى حتى ضاعت البلاد وضاع العباد. وكان التنازل المؤلم الآخر هو تقريب العلمانية من الإسلام، ثم رفع شأنها رفعاً لا يرضاه الله ولا رسوله، حتى كأن المؤتمر كان مؤتمر العَلمانية لا مؤتمراً إسلامياً، ولكن يُنفق عليه بأموال المسلمين، ويقوم بجهود المسلمين!

٥- **المحاضرات والمحاضرون :** جرت العادة كما أعلم أن يُعطى المحاضرون نفس الوقت ليكونوا سواسية، وليعدّ كل محاضر نفسه على قاعدة معلومة ثابتة للجميع. ولكن الذي حدث أن بعض الذين تحدّثوا تجاوزوا الساعة. وبعضهم استغرق قرابة الساعة وآخرين أخذوا وقتاً أقل. ثم يُقّيد الوقت لآخرين بنصف ساعة ولآخرين بأقل من ذلك!. أحد المحاضرين أُجّلت

محاضرته أولاً، ثم طلب إليه اختصارها إلى نصف ساعة، ثم طلب إليه أن يوجزها بخمس دقائق، والمحاضر مسلم عالي الثقافة والمسؤولية. لماذا دعي إذن؟ أليُهان مثل هذه الإهانة؟ ولم يُبلَّغ بوقت الدقائق الخمس المخصصة له إلا في آخر لحظة قبل توجهه إلى المنصة . ما بال المسلمين اليوم يحقر بعضهم بعضاً ويعلون من شأن غير المسلمين، والرسول ﷺ يقول :

(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله)[1] .

أما ما حدث معي شخصياً فغريب كذلك. أبلغتكم قبل مجيئي إليكم بعنوان المحاضرة والوقت اللازم لها. كتبتم إليّ أن اختصر الوقت إلى نصف الساعة. اختصرتها كما طلبتم، وفي المؤتمر عندما دُعيتُ لإلقاء محاضرتي وتوجهت إلى المنصة، فإذا بإخ يَلْحَقُ بي ويوصي بأمرين: أنَ أتقيد بنصف ساعة، وأن أقرأ فقرة ثم أعطي المترجم وقتاً ليترجمها، وهكذا أدركت الورطة والموقف المحرج! أأنسحب وأعلن ذلك للجمهور؟! لقد أصبح الوقت المخصص للمحاضرة خمس عشرة دقيقة إلى عشر دقائق. فآثرت الستر والانتظار عسى أن أكون مخطئاً في ظني. وما كاد يمر قرابة نصف ساعة- أخذ المترجم لتلك اللغة حصته الكبيرة منها، حتى قُدّمت لي ورقة بأن الوقت انتهى! وفوجئت كذلك وحرت ماذا أفعل! وجدت أن استر على نفسي وعلى إخواني وأن أتحمل هذه الإساءة. أخي العزيز! لم تكن محاضرتي موضوعاً إنشائياً. ولقد كان بحثاً عن حقوق الإنسان الوضعية وعن العلمانية وعن المسلمين في ذلك البلد بين هذه وتلك. لقد بذلت الجهد الصادق لأكون أميناً معكم ومع مؤتمركم ومع الجمهور من المسلمين، ولأصدق الرأي والنصيحة. وكنت أظنّ أنكم أنتم أحرص مني على مثل هذا الموضوع وعلى التعرّف على رأي تضمونه إلى ما لديكم من آراء، تعبيراً عن احترام الرأي الآخر الذي تعلنونه، وعن حرية الرأي، وعن الشورى والتعاون، وذكّرني هذا الموقف بموقف سابق حين طلبتم إرسال ست مجموعات من الكتب من دار النحوي إليكم

(١) البخاري : (٣/ ١٦٨) في المظالم، مسلم: رقم (٢٥٨٠) في تحريم الظلم، الترمذي: (١٤٢٦).

هدية، فلمّا شُحنتْ وأشعرناكم بإرسالها على نفقتنا واتخذنا كافة الإجراءات الرسمية، تركتموها في المطار حتى هذه الساعة. ولما سألناكم عنها قلتم لقد تجمّع عليها تكاليف عالية في المطار، لماذا تتجمع هذه التكاليف؟! لقد كان بالإمكان إخراجها في حينها. ونحن لم نعلم بذلك، وظننا أنكم أخرجتموها. فما علمنا إلا حين سألناكم. وذكّرني هذا الموقف بموقفكم مما اتفقنا عليه من ترجمة كتاب " فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع "، فبعد أن اتفقنا وبعد أن تمت الترجمة تراجعتم! هل هذا كله لأجل مراعاة العلمانية ومجاملتها؟

٦- **ترجمة المحاضرة :** بعد أن تركت المنصة، جاءني شاب وجلس بجانبي وقال: لقد سمعت محاضرتك فأنا عربي أعرف العربية، وسمعت الترجمة إلى الفرنسية وأنا أعرف الفرنسية، ما ترجم إلى الفرنسية لم يكن مطابقاً لما قلت بالعربية. أنت انتقدت العلمانية وبينت أنها مخالفة للإسلام. وفي الترجمة كان المعنى عكس ذلك. راجعت الأخ المترجم فنفى ذلك. وقال هذه هي الترجمة فقلت له أنا لا أستطيع أن أدقق أو أتثبّت، ولكن حسابنا جميعاً عند الله. ثم جاءني اثنان آخران وأفادا نفس الشيء فحرت في ذلك وقلت لهم لمَ لا تقولون للمسؤولين؟! إنهم لا يستطيعون لأنهم لم يُدَرَّبوا على ذلك! وسواء أصحّ هذا الظن أم ذاك، ففي جميع الحالات يبرز ضعف واضح في واقعنا الإسلامي نغمض العين عنه ولا نضع علاجاً لأمراضنا في مدرسة الدعوة. وذكّرتني هذه الحادثة بحادثة أخرى: ففي مؤتمر سابق ألقت آنسة محاضرتها بلغتها الأجنبية وترجمت فوراً. سمعت بالترجمة الفورية أنها قالت ما معناه: " إنّ العَلمانية لا تلتقي مع الإسلام... " وعندها التفتُّ إليك وقلت لكم إذا لم تصدقوني بأن العلمانية لا تلتقي مع الإسلام أفلا تصدقون الآنسة الأجنبية؟! ثم طلبت الترجمة لمحاضرتها فوُعدت بأن ترسل لي، ثم طلبتها ثانية وأنا في الرياض. فما أرسلت إلا بعد مضيَ عشرة أشهر تقريباً. ثم قرأت الترجمة فما وجدت المعنى الذي سمعته أذناي. فهل هذا كله من أجل

إبراز صورة جميلة لوجه قبيح من العلمانية، وجه قبيح لا يحبه الله ولا رسوله. لقد ناقشنا الموضوع بيننا ووضح رأيي وموجزه أن الإسلام دين من عند الله ينظم الحياة كلها على قواعد ربانية، وأن العلمانية تصور بشري مبنيّ على عزل الدار الآخرة والغيب عن أمور الدنيا، وعلى عزل الدين كله وتصوراته عن السياسة والاقتصاد والقوانين... إلى غير ذلك. فلا لقاء بينهما. ولكن الإسلام وضع قواعد تعين المسلم على التصرّف في أي مجتمع يدعو فيه إلى الله ورسوله، وبيّنتُ رأيي في محاضرتي في المؤتمر السابق. وهو يخالف رأيكم ورأي بعض إخوانكم ورأي بعض الضيوف. ولكن ألا ترى معي أنه لا شك فقد وقع خطأ في الترجمة.

٧- **بين الإسلام والعلمانية:** لا بأس أن يكون لك ولغيرك رأي في العلمانية، وأنكم تودّون تزكية العلمانية في نفوس المسلمين لغاية لا أعلمها! أما أنا وغيري فلا نملك إلا النصيحة، والتي أرجو بها وجه الله. ولكن تحت شعار احترام " الرأي الآخر " ، فقد كان من واجبكم فسح المجال " للرأي الآخر؟. فأنا أخالفكم في موقفكم المعلن من العلمانية. وما سمعته أذناي أرى أنه يخالف الإسلام ونصوصه مخالفة صريحة. وكذلك ما ورد على لسان الضيوف الذين لا شك أنك تذكرهم في المؤتمر الأخير، فقد غالوا كثيراً وأبعدوا كثيراً. ولقد وُجد جوّ محموم مع العلمانية حتى اندفع شيخ أزهري جليل فافتتح كلمته بالدَعاء لدولة العلمانيين " دعاء خير لحسن معاملتهم للمسلمين... " إلى هذا الحد كان الاندفاع والانحراف.

إن تأييد العلمانية وتزيينها والدعوة إليها شيء، والاستفادة من بعض قوانينها شيء آخر. وإن البحث عن تأويلات شرعية تسوّغ العلمانية وتبرز ما يُدَّعى لها من محاسن شيء، واضطرار المسلم إلى أن يعيش تحت حكمها شيء آخر. إن الله سبحانه وتعالى حين كلف عباده المؤمنين بتبليغ رسالته ودينه ودعوته إلى الناس لم يترك عباده المؤمنين هملاً. إنه وضع لهم قواعد تعينهم على التصرف في كل

مجتمع يضطرون إلى أن يعيشوا فيه، دون أن يزيّنوا الكفر أو الشرك أو العلمانية أو أي صورة من صور الفتنة، إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان، حين يكون فرداً أو أفراداً متفرقين، لا حين يكونون دعوة أو جماعة أو أمّة. فخضوع المسلم إلى ما يخالف الإسلام مضطراً شيء، وقبول ما يخالف الإسلام وتزيينه أمام الناس والدفاع عنه أو الإيمان به شيء آخر. وإذا كان الإسلام قد بين لأبنائه القواعد التي يجب أن يلتزموها في هذه الأجواء، فليس ذنب الإسلام إذا خالف بعض المسلمين هذه القواعد.

وإن كنت لا استطيع أن أسجل هنا ما سمعته من تزيين خاطئ للعَلمانية في المؤتمر الأخير، فإني أشير إلى ما هو موثق بين يديّ. ففي لقاء سابق كان هناك مغالطات بالنسبة للإسلام والعلمانية مغالطات كبيرة مؤلمة ومؤذية، مع أنها أهون مما سمعته في المؤتمر الأخير.

فقد ورد في كلمة لأحد الأساتذة رداً على الذين يدّعون أنه يوجد تعارض بين الإسلام وقوانين الغرب العلمانية، حيث يقول " والإسلام يمنع الخمر ولكن قوانين فرنسا لا تفرضه. وتعدّد الزوجات تمنعه القوانين هنا ولكن الإسلام لم يفرضه... " ألا ترى يا أخي شدة المغالطة. ألا يوجد فرق بين التحريم والإباحة. الإسلام حرّم الخمر وقوانينهم تبيحه ولا تحرمه. فلماذا نلجأ إلى التلاعب بالألفاظ ونقول : " ولكنها لم تفرضه " . فرض الخمر ليس بالضروري أن يكون بالنص فقط ، فإن إباحة الخمر في كل مكان رسمي وغير رسمي والسماح بالسكر حتى يرتمي الإنسان في عرض الشارع ، وانتشاره في البيوت حتى مع الأطفال، هو نوع من فرضه وإشاعته والترغيب فيه. وبالنسبة للزواج فلو أراد المسلم في فرنسا أن يتزوج باثنتين حسب شريعة الله، فإن قوانينهم تمنعه. ألا يعتبر هذا تعارضاً؟! لمصلحة من نبدّل في دين الله ونجعل آياته لا تتعارض مع قوانين العلمانية؟! إن الإسلام لم يحرّم الخمر فحسب، وإنما اتخذ من وسائل البناء والتربية والقوانين ما يمنع انتشارها، ويقدّم القدوة العلمية من العلماء والأئمة والقادة. والعلمانية تبيح

وتشجع وتقدم القدوة التي تبيح شرب الخمر. والطفل الفرنسي يعتاد الخمر في بيته، فهل بيت المسلم كذلك؟!

وجاء قول أستاذ آخر ... فقد أكد على عدم تناقض العلمانية مع مقاصد الشريعة الإسلامية... "عجيب جداً أن يصدر هذا القول عن مسلم يعرف دينه ويتلو كتاب الله ويتدبر سنة النبيّ الخاتم ﷺ. فمن مقاصد الإسلام وشريعته أن يجّفف منابع الكفر في الأرض بالكلمة الطيبة والكلمة الشديدة الغليظة واغلظ عليهم، وبالقتال. شرع الإسلام ذلك كله وبيّن مقصده، فهل هذا هو مقصد العلمانية؟! الشريعة الإسلامية من أهم مقاصدها أن تكون كلمة الله هي العليا، فهل هذا هو مقصد العلمانية؟ الشريعة الإسلامية تقصد بكل الوسائل إلى منع الزنا وتسعى إلى ذلك بوسائل عديدة آخرها إقامة الحد. ومقاصد الشريعة الإسلامية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله ورسوله فهل هذه من مقاصد العلمانية؟!. لمصلحة من هذا التبديل والتحريف في دين الله وآياته.

إن الخلاف والفرق والتناقض بين قوانين الإسلام وشرعه ومقاصده من جهة، وبين العلمانية وقوانين الغرب كله من جهة أخرى، أكثر من أن يحصرها عدٌّ، فلماذا نغرس في نفوس الألوف من شباب الإسلام هذه المعلومات المضللة الخاطئة، وأين الخوف من الله ومن حسابه؟!

والمؤسف أنه ورد في كلمتكم في مؤتمر سابق ما يفوق ما سبق ذكره من مغالطات فقد قلتم: **" وأعتبر أن الهيئة التمثيلية لا يمكن إلا أن تعمل من أجل إسلام منفتح ومنسجم مع المجتمع وفيّ لمصادره الأولى، ومندمج مع النسيج الثقافي والديني (الأجنبي)... "** !

أعجب كل العجب كيف جمعتم بين هذه التناقضات! وماذا تقصدون بالإسلام المنفتح؟! منفتح على ماذا؟! وهل هنالك إسلام منفتح وإسلام منغلق؟! كلا! هنالك إسلام واحد فقط ودين واحد. ولكن قد يكون هنالك مسلم منفتح

على الحق ومسلم منغلق على نفسه أو على مجتمع ضيق. وكيف يمكن أن يكون المسلم وفياً لمصادره (الربّانية) ومنسجماً في الوقت نفسه مع النسيج الثقافي والديني (الأجنبي)، مع التسيج هكذا دفعة واحدة !.

إن هذا الاندماج مع " النسيج " الثقافي والديني لا يمكن أن يتمّ إلا بعد التخلي عن المصادر الربانية، إذ لا لقاء بين المصادر الربانية وبين نسيج العلمانية ولا خيوطها! فأين تذهبون بهذه التعبيرات والدعوات؟! وإن كنت لا أردّ أنا الآن على دعوتك هذه ودعوة إخوانك، فإني أترك هذه المهمة للآنسة الأوروبية حيث تقول في محاضرتها في المؤتمر: " يصبح المرء قومياً فرنسياً حين يصير مواطناً فرنسياً، وحين يقبل بقوانين معينة في المجتمع ولا يمكن أن يكون المرء مواطناً إلا إذا صار مشابهاً للآخرين. كلّ المشروع السياسي عندنا أُسسَ على هذه النظرة وعلى هذا التصور. وهذا التصور لا يصلح ويزعج المسلمين، بل إن هناك أقليات كثيرة لها خصائصها ترفض أن تعتبر كأفراد مشابهين للآخرين " .

إذن هذه الباحثة تدرك أن تلك القوانين العلمانية لا تناسب المسلمين ولا تناسب أقليات أخرى كثيرة! وهذه الأقليات ترفض أن تعتبر مشابهة للآخرين. فما بالك يا أخي المسلم! تريد أن تندمج مع النسيج الثقافي والديني عندهم، وما بال أحد المحاضرين لم يشعر بالفرق بين الإسلام وقوانين الجمهورية كما شعرت به تلك الباحثة، وما بال محاضر آخر يؤكد على عدم تناقض العلمانية مع مقاصد الشريعة الإسلامية، وما بال بعض الضيوف من المسلمين ينادون بالعلمانية وما فيها من حرية وانطلاق، يقارنون ذلك بالضيق على الحريات في العالم الإسلامي، فما ذنب الإسلام إذا كنت أيها المسلم قد غفلت عن واجباتك وتكاليفك الربانية في مجتمعك الإسلامي!

ولكن تلك الباحثة في مقالتها المترجمة الموجودة لديّ تورد نصاً يكاد يناقض ما قالته في النصّ السابق ذكره. إنها تقول: " ... لا يتعلق الأمر بمواجهة الإسلام والعلمانية فتلك إشكالية خاطئة ونقاش وهمي لأنه لا يوجد تعارض بين الإسلام

والعلمانية..." ! عجيب كيف تتناقض النصوص فهل هنالك خطأ في الترجمة؟! ولقد ذكرت في صفحة سابقة أنني عندما سمعت الترجمة الفورية في المؤتمر سمعت أنها تقول ما معناه لا لقاء بين الإسلام والعلمانية، فالإسلام نهج والعلمانية نهج آخر. وهذا المعنى منسجم مع النص السابق للباحثة. فماذا حدث وكيف تتغير النصوص؟! لهذه الدرجة يصل الهبوط والتزييف؟!

إن هذا الاندفاع وراء العلمانية لن يفيد المسلمين في الدنيا ولا في الآخرة. إننا بهذا الاندفاع نجعل مفاهيم الإسلام مائعة مضطربة في أذهان آلاف الشباب المسلمين الذين يستمعون سنة بعد سنة إلى تزيين العلمانية. فإذا كانت العلمانية تحمل كل هذا الخير الذي تتوهمونه فما حاجتكم إذن إلى الإسلام! ما بالنا كلما نعق ناعق في الغرب جرينا وراءه ولبسنا لبوسه! عندما قامت أغنية الاشتراكية أخذ يغنيها العديد من دعاة الإسلام، ولما قامت أغنية الديمقراطية تحولت جوقة العازفين إليها، واليوم طلعت أغاني العلمانية فجرينا نلهث خلفها! لماذا ولمصلحة من ؟!!

وأعجب كيف أن بعض المسلمين يريدون أن يتفاهموا مع العلمانية ويزينوها ويذلوا أمامها، ويبدو أنه في الواقع اليوم انقلبت الصورة! ولا يريدون أن يتفاهموا مع إخوانهم المسلمين. أين قوله سبحانه وتعالى:

﴿ ... أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ... ﴾ [المائدة: ٥٤]

٨ - قد تم الاستشهاد ببعض الآيات لتحبيب أهل الكتاب إلى المسلمين، وخاصة النصارى فبعضهم استشهد بالآية الكريمة:

﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾

فوقف عند كلمة أحسن. فلماذا لم يذكر الأخ الكريم بقية الآية الكريمة:

﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا

بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

[العنكبوت: ٤٦]

إن الإسلام يريد أن نخاطب أهل الكتاب بالتي هي أحسن ونحن نبلغهم دعوة الله ودين الإسلام وندعوهم إليه، ليدخلوا في نسيج الإسلام، لا من أجل أن ندخل نحن في النسيج الثقافي والديني عندهم. وتستثني الآية الذين ظلموا منهم. فانظروا في واقعكم من هم الظالمون ! أمثلة كثيرة من الآيات والأحاديث تُروى في صدد السكوت عن مظالم أهل الكتاب أو في صدد الدفاع عنهم أو التنازل لهم. وكثيرون الذين استشهدوا بالآية الكريمة:

﴿ وكذلك جعلناكم أُمَّةً وَسَطًا ... ﴾ [البقرة: ١٤٣]

لتسويغ التفاهم مع العلمانيين على ضوء ما ذكرناه من نصوص سابقة لأصحاب هذه الدعوة. والحقيقة خلاف ما يذهبون إليه. إن الله جعل الأمة المسلمة أُمة وسطاً في تشريعها حين تطبّق منهاج الله كما أُنزل دون أن نلوي أعناق الآيات لنسوّغ ضعفنا وتنازلنا.

إذا كنا ضعفاء فلنعترف ولا نحمل الإسلام مسؤولية ضعفنا وهواننا وتنازلاتنا. لا تبحثوا أيها المسلمون عن فتاوى في الإسلام تسوغ تقصيرنا وهزائمنا وجهلنا وضعفنا وتنازلاتنا.

﴿ .... وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١]

مع الدعاء الصادق

أخوكم

عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي

(١٥)
مع الدعوة الإسلامية
في مؤتمر إسلامي آخر

دُعيت إلى مؤتمر إسلامي في بلد أوروبي. وشاركت في المؤتمر ببحث، وبإلقاء كلمة بالإنجليزية في مجموعة غير عربية وبخطبة الجمعة بالعربية والإنجليزية. حدثت لي مفاجآت خلال المؤتمر، اتجاوزها لأصل إلى اللحظات الأخيرة من المؤتمر. فبعد انتهاء المؤتمر دعي الوفود إلى المنصّة، فالتقى عليها عدد من الدعاة المرموقين في الساحة الإسلامية. ودارت كلمات من هذا وذاك حول قضية يطرحها كلٌّ منهم في هذا اللقاء. وجمهور المستمعين حاضرون شاهدون!

أحد الدعاة تحدّث عن قضية تخصّ بلده واستشهد عليها وعلى صحة رأيه فيها بجملة لشيخه وأستاذه، حيث أصبح هذا الأسلوب هو الأسلوب المفضل لدى الكثيرين حين يأتون بحجّتهم على صحة رأيهم كما يظنون بقول شيخ أو عالم، دون الرجوع إلى منهاج الله كما جاء في قوله سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩]

ودون الإتيان بحجة من القرآن أوالسنّة أو الخلفاء الراشدين، كما جاء في حديث الرسول ﷺ ووصيته:

عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون. فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودّع فأوصنا. قال:

(أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي. فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء

الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور فإن كلّ بدعة ضلالة)[١]

وفي حديث رسول الله ﷺ يرويه أبو هريرة رضي الله عنه:

(تركتُ فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض.)[٢].

وما كان من المناسب أن أردّ على الداعية المتحدّث أمام الجميع، فتركت ذلك إلى وقت آخر أكثر مناسبة بيني وبينه. أو هكذا اجتهدتُ.

ثم تحدّث داعية آخر عن " الديمقراطية " وأسهب في حديثه حتى خُيّل للسامع أن المؤتمر مؤتمر " ديمقراطية " ! ولما انتهى بعد إفاضة، رأيتُ أن أحداً لم يردّ عليه أو يعلّق على حديثه. فتولّيتُ أنا ذلك، لأنّ أكثر من ألفي مستمع من رجال نساء. سمعوا هذا الحديث الذي لا أرضاه وأرى فيه فتنة كبيرة.

فسألت الأخ الكريم: لماذا تدعو إلى الديمقراطية والديمقراطية لها دول كبيرة تدعو لها وتنفق عليها، والإسلام يتطلّع إلى أبنائه ليدعوا الناس إليه، وأنت يا أخي الكريم ما اشتهرت ولا عرفت إلا بالإسلام؟!

أجاب: لأننا نريد الحرية والعدالة والمساواة!

فرددت عليه: ألا يوجد في الإسلام حرية وعدالة ومساواة على صورة أفضل ما عرفته البشرية. فإذا كان في الإسلام، فلماذا نتجاهل هذه الحقيقة وننزع هذا الخير عن الإسلام ونضعه شرفاً لديمقراطية لا تستحقه؟! وإذا كان لا يوجد في الإسلام ذلك فأعلن رأيك بوضوح؟!

ثم قلت له وللحضور كلهم: انظروا في الأرض كُلّها! من آثار المجازر والحروب والعدوان والظلم في الأرض كلها! لن تجدوا إلا الديمقراطية والدول

(١) أبو داود: (٣٤/ ٦/ ٤٦٠٧) الترمذي: (٤٢/ ١٦/ ٢٦٧٦) ابن ماجة: المقدمة (٣٥).
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته: (٢٩٣٧) ورواه الحاكم.

التي تتاجر بها. وأنت من أخرجك من بلدك وأخرج غيرك، أليست الديمقراطية؟! ومن أخرج المسلمين من فلسطين ليتيهوا في الأرض مشرّدين؟! وانظر إلى العالم الإسلامي، تجد الفتن وبحار الدم في هذا البلد وذاك، فمن أثار ذلك ومن أثار الفتن في العالم الإسلامي، إنها الديمقراطية بحريّتها الكاذبة، ومن أثار الفاحشة والخمر وسائر الموبقات إلا الديمقراطية؟!

وهنا دوّت القاعة بتصفيق الجمهور وهتاف: الله أكبر، الله أكبر!

وبعد أن انفرطت الجلسة قدّمت له كتابي: " الشورى لا الديمقراطية " ! ولو استقبلت من أمري ما استدبرت، لأسميت كتابي هذا : الإسلام لا الديمقراطية، فدعاة الديمقراطية اليوم يجعلونها مقابل الإسلام كله، وحرباً على الإسلام كله. والديمقراطية بنت الرأسمالية وأخت العلمانية والحداثة وأمثالهما.

ودعاة الديمقراطية والعلمانية جريئون يبذلون لباطلهم جهداً كبيراً جداً فتن كثيراً من الدعاة والشيوخ والعلماء، حتى إن منهم من جعلها من الإسلام، ومنهم من قال: إن معاوية رضي الله عنه كان يحكم بالديمقراطية التي جاء يدعو إليها محمد ﷺ. وأخذ كثير من المسلمين يتنافسون في تزيين باطل الديمقراطية ومهرجاناتها وحفلاتها.

باطل الديمقراطية واضح، وفتنتها مكشوفة: زخرف كاذب، وزينة مضللة، أخذت تنشره أقلام دعاة كثيرين، ولقد رددتُ على أكثرهم بالحجة من الكتاب والسنة، ومن الواقع، ومن التاريخ، ومن جذورها الأصلية من الوثنية اليونانية. ولقد التبس الأمر على الكثيرين لأن المفاهيم بين المسلمين اضطربت كثيراً، على أثر الغزو الفكريّ والثقافي الذي تحمله الديمقراطية والعلمانية والحداثة، ولأنّ المسلمين اليوم لم يملكوا جرأة دعاة الديمقراطية والعلمانية، ولا بذلهم، ولأنهم لا يجدون قوى داعمة لهم تسندهم كما يوجد قوى تسند دعاة الديمقراطية والعلمانية والتنصير! وحسبوا مخطئين أن دعم الله لهم لا يكفيهم!

إنها فتنة كبيرة جداً! كيف سقط كثير من رجال الإسلام ودعاته في حبائل العلمانية والديمقراطية والنصرانيّة والحداثة؟! وقبل أن تشتد هذه الفتنة سبقتها فتنة أخرى: فتنة الدعوة إلى العروبة منفصلة عن الإسلام، مقتربة من النصرانية! وأخذت تتوالى أنواع الفتن التي يُدْعى لها في العالم الإسلامي، وتتجدّد بأشكالها وألوانها وزينتها، ولكن الله ناصر دينه، وإنما هي فترات ابتلاء من الله وتمحيص لعباده، حتى تكون أعمالهم ومواقفهم وكلماتهم حجّة لهم يوم القيامة أو حجّة عليهم.

وتابعت حديثي مع إخواني في المؤتمر لأقول إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق عباده عبثاً، ولم يتركهم سدى، وإنما خلقهم لمهمّة كبيرة في الأرض في الحياة الدنيا، وقد أوضح الله سبحانه وتعالى لنا هذه المهمة واختصرها في أربعة مصطلحات: **العبادة، الأمانة، الخلافة، عمارة الأرض بحضارة الإيمان والتوحيد**، وتجتمع هذه المصطلحات الأربعة في المهمة الرئيسة ألا وهي تبليغ رسالة الله إلى الناس كافة كما أُنزلت على محمد ﷺ وتعهَّدهم عليها حتى تكون كلمة الله هي العليا في الأرض، ولقد فصّل منهاج الله هذه المهمة والمصطلحات الأربعة، ليكون الحساب عليها يوم القيامة.

فكيف يحلّ لمسلم آمن بالله ورسوله ﷺ وسائر رسله، أن يتخلّى عن هذه المهمة التي خلقه الله للوفاء بها، فيتركها ويأخذ بالدعوة إلى الديمقراطية الوثنية الجذور، العلمانية المنبت؟؟!!!

(١٦)
مع داعية مجاهد
يعيش في الغرب

التقيته في بلد غير عربيّ، فإذا هو عالي الثقافة يحمل شهادة الدكتوراه، ويهيئ نفسه لشهادة الدكتوراه ثانية في علم آخر، وهو مسلم داعية مجاهد!

عندما عرفت عنه هذا النشاط، توسّمت أن يكون نشاطه في باقي أمور مسؤولياته على نفس المستوى!

تحدّثنا أحاديث عامة من هنا وهناك، في السياسة، في الجهاد، في قضايا العالم الإسلامي، فكان له إلمام بالأحداث وبعض القضايا، ولكن لاحظت بعض الاختلاف في وجهات النظر، عَزَوْتُ ذلك إلى الاختلاف العادي الطبيعي الذي يمكن معالجته بإبراز الحجة من منهاج الله على أي وجهة نظر أو رأي.

دعاني إلى بيته في ضاحية من ضواحي المدينة. ذهبنا إلى بيته وجلسنا جلسة مفتوحة واضحة، فأحببت أن أعرف نظرته إلى العمل الإسلامي والدعوة الإسلامية، والزاد الذي يحمله.

فسألته سؤالاً مباشراً : ما هي صلتك بكتاب الله؟!

قال : جيدة.

قلت: هل تقرأه يومياً، أسبوعياً، أو أكثر أو أقل؟!

قال: ربما كلّ شهر أو أقلّ أقرأُ فيه. وهذا هو القرآن تراه في مكتبتي!

أدركت فوراً سبب اختلاف وجهات النظر، وأنها أسباب رئيسة. فوجهة نظر تُبْنَى على ثقافة عامّة معظمها دنيوي، ووَجهة نظر تنبع من منهاج الله مع حجتها، لا بدّ أن يكون بينهما اختلاف .

أشعرته بلطف أن هذا التعامل مع منهاج الله -قرآناً وسنةً ولغة عربيةً- لا

يصح. فلا بد من دراسة منهاج الله دراسة منهجيّة، صحبة عمر وحياة لا تتوقف، ولا بد أن تُعلّم هذه القاعدة لأهلك وأصحابك!

قال: حسناً نحن نفعل خيراً من ذلك! نحن نجمع الجهود للقتال والجهاد في سبيل فلسطين وغيرها من قضايا العالم الإسلامي.

أجبته: كان أفضل لو قلت: ... للقتال في سبيل الله من أجل فلسطين وغيرها. فكلمة في سبيل الله أساسية مع الجهاد والقتال في الإسلام، لأن هذه الكلمة: "**في سبيل الله**" تجمع كل الخصائص الإيمانيّة الربانية ليكون القتال حقّاً وخيراً للناس كلهم وعدلاً ورحمة، وليكون لله حقّاً.

ويبدو أنه سرّ بذلك، وذكرت له كتابي "الإسلام أركان وبناء" حيث أشرح فيه خصائص كلمة في سبيل الله.

وذكرت له كذلك أن تلاوة كتاب الله لا بد أن تكون يومية مدى العمر كله، مع دراسة التفسير، ومع الحفظ عن ظهر قلب ومع المراجعة، حتى تتوافر جميع أسباب تدّبر كتاب الله. ولا بد كذلك من إتقان اللغة العربية حتى تعين على تدبر منهاج الله.

وبدا لي كأن هذا الحديث كله كان جديداً عليه غريباً عنه، بضاعته الرئيسة من زاد الدنيا، وبضاعته من الكتاب والسنة واللغة العربية بضاعة قليلة.

وهذا هو حال معظم الذين يعيشون في الغرب إلا من رحم ربك، أو على الأقل فهذا هو الانطباع لديَّ مع كثرة زياراتي لأوروبا وأمريكا وكندا والدول الإسلامية في آسيا وإفريقيا وغيرها في سنين سابقة.

وقد ظن الكثيرون أن دراسة اللغة العربية وإتقانها ليست بالأهمية التي يفرضها الإسلام على المؤمنين، فتراخت العزائم عن دراستها وإتقانها، وعم الجهل بها، وغلبت على ألسنتهم اللغات الأجنبية، حتى في صلاة الجمعة وخطبتها، وكثرت الفتاوى في ذلك.

ومع كثرة زيارة الشيوخ والعلماء للمسلمين في العالم الغربي، فقد بدا أن موضوع اللغة العربية قلما يثار، وموضوع الربا يتساهل به، وقضايا كثيرة مثل هذه! وقد كتبت دراسات عن أكثرها.

لقد كان تأثر المسلمين الذين يعيشون في الغرب بلغة الغرب وثقافته وعلمانيته أكبر بكثير من تأثير المسلمين على الغرب ونشر اللغة العربيّة والقرآن والسنة على النحو والمنهج الذي يأمر به الله .

وانتقلت مع أخي الكريم إلى موضوع الإيمان والتوحيد، وما هي الركائز الأساسية التي يقوم عليها التوحيد كما وردت في كتاب الله، وشرحتها بالأسلوب الذي أعانني الله فيه .

واضح أن المسلم اليوم الذي يجهل لغته العربيّة الصحيحة، ويجهل الكتاب والسنة ولم يبذل على دراستهما جهداً جاداً، لا يستطيع أن يجمع في قلبه أسس الإيمان والتوحيد، وصورتهما المشرقة، ولا يستكمل الجهاد العسكري في الميدان شروطه الربانيّة ، مشكلة تلمسها بسهولة في بعض مسلمي الغرب العرب، إلا من رحم ربك ممّن وهبهم العزيمة وصفاء الإيمان لينهضوا إلى منهاج الله كله دراسة وتدبراً صحبَة منهجية، صحبة عمر وحياة.

ووضح أمامي حقيقة هذه المشكلة وشدّة انتشارها ودورها الخطير في هبوط الكثيرين في حمأة الحياة الغربيّة من عادات وفكر، مما يؤدّي في بعضهم إلى انحرافات ظاهرة، من أبرزها اختلاط الرجال والنساء في الحياة الاجتماعية وفي المؤتمرات والندوات ومختلف المناسبات. وترى هذه الانحرافات واسعة في مكان وخفيفة في مكان آخر، ولكنها آخذة بالانتشار والاتساع ، ويتبعها انحرافات أكثر وأخطر .

ويجعلون من قضية الحجاب قضية الإسلام كله، ويتنازلون عن أُسس ربّانيّة في الإسلام، وقواعد رئيسة في الإيمان والتوحيد، ويفقدون العمل المنهجي الخاضع لخطة مدروسة ونهج واضح الأهداف الربانيّة والدرب الرباني والوسائل الربانية.

لذلك نرى كيف أن ما يسمونه جهاداً ضد أعداء الله تحوّل إلى صراع بينهم، يقتل بعضهم بعضاً، وامتدّت الفتن في العالم الإسلامي، فتناً يتلو بعضُها بعضاً، ومن الناس من هم سكارى لا يدركون أسباب هذه الفتن المتلاحقة، ولا يدركون حقيقة انحرافهم عن دين الله، ولا يدركون سبب هزائمهم المتتالية.

(١٧)
مع فرنسي

زارني في شقتي في باريس ، أثناء وجودي للتدريب في إحدى الشركات. مهندس في الشركة هو وزوجته ، وفوجئ أن طلبت منه أن تدخل زوجته إلى غرفة أخرى حيث تنتظرها زوجتي. وبقيت أنا و إياه وحدنا .

دار حديث حول طلبي انفصال النساء عن مجلسنا ، فشرحت له بوضوح قواعد الإسلام التي يجب أن نلتزم بها . ولا مجال هنا لعرض كل ما دار من حديث حول ذلك مع أهميته، إذ أخذ فكرة جادة واضحة عن الإسلام .

ثم انتقلنا إلى السياسة التي فتح هو بابها ، بالسؤال لماذا تُعَادي " إسرائيل " ؟! فقلت له : لأنها دولة ظالمة هي ومن يُعينها ! فذكر أن اليهود عُذِّبوا في ألمانيا الهتلرية ، عذاباً شديداً ، فهاجر كثيرون منهم إلى فرنسا ، واستضافت كلٌّ عائلة فرنسيّة عائلة يهودية .

قلت إن مساعدة المظلومين أمر خير ومشروع وواجب على كل قادر . ولكن لماذا يُطبَّق هذا المبدأ على أناسٍ مثل اليهود الذين ظَلَموا ، ويُمنع تطبيقه على أهل فلسطين الذين طُردوا من أرضَهم وديارهم وبلدهم ، ليتيهوا في الأرض . هذا ظلمٌ كبير أيضاً ، فَلِمَ لَمْ تنهضوا لإنصاف المظلومِين ومساعدتهم وحمايتهم .

قال : الحالة مختلفة ، فاليهود عادوا إلى أرضهم التي جعلها الله لهم .

قلت : أعتقد أن هذا غير صحيح لعدة أسباب ، لا يعقل أن يعطي الله وعداً لجنس من البشر على حساب جنس آخر . فلسطين لم تكن في أي لحظة من التاريخ لليهود ، إنها كانت للمسلمين المؤمنين من بني إسرائيل وغيرهم الذين أمنوا وأسلموا ، وستبقى للمسلمين ، للمؤمنين على مدى الدهر .

ولتوضيح القضية لك أقول إنّه لا يُعقل أن يبعث الله لعباده أدياناً مختلفة

يتصارع الناس عليها ، ثم يحاسبهم يوم القيامة . إن الدين عند الله واحد ، بعث به جميع الرسل والأنبياء . وهو دين الإسلام ! دين نوح وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى ودين النبيّ الخاتم محمد ﷺ . فالله واحد ودينه واحد ! وبغير هذا الإيمان تضطرب التصورات وتغيب ملامح التوحيد ، ولا يبقى للدين مفهومٌ سليمٌ .

ففلسطين هي أرض الإسلام منذ إبراهيم عليه السلام ، وجعلها الله مقدّسة بدينه الواحد ، وسماها في القرآن الكريم الأرض المباركة ، الأرض التي بارك الله فيها بدينْهِ الحق الواحد منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا .

دخلها إبراهيم عليه السلام بدين الإسلام ، وكذلك لوط ، وموسى عليه السلام . وحكم فيها داود وسليمان عليهما السلام بالإسلام ، وبُعث عيسى عليه السلام فيها بالإسلام ودعا فيها إلى الإسلام فهي ملك الإسلام وحده .

فقال هذه وجهة نظرك !

قلت : ولكن لك عقلك ولي عقلي ، وعليك أن تقرر قبول هذا المبدأ التالي : " أن الله واحد فدينه واحد " ! أو ترفضه مع بيان الحجة .

ثم سألته : اليهود الآن في فلسطين ظالمون ، يقتلون ، ويدمرون ، ويسجنون ، بصورة عنيفة إجرامية فيها ظلم ظاهر ، فلماذا لا تقاومون هذا الظلم ، ولماذا لا تساعدون المستضعفين من الفلسطينيين ؟!

ودار نقاش طويل . ثم قلت له : إن القضية هي قضية الإيمان ، إيمان بالله الواحد الأحد ودينه الواحد ، أو عدم الإيمان .

ولذلك أدعوك إلى الإسلام لتنقذ نفسك وأهلك وولدك ! فكر بذلك واستعن بدراسة القرآن الكريم ولو من ترجمة معانيه بالفرنسية !

لا أستطيع أن أتذكر كل كلمة قيلت منه أو مني . فقد مضى على ذلك زمنٌ

طويل! وإنما عرضت الصورة كما أذكرها لا النصوص التي قد تختلف ، أما الفكرة وملامح الحوار فهي كما عرضتها .. وافترقنا بعد ذلك !

لقد حرصت على أن أوضّح له قضية الإيمان والتوحيد ، وقضية أن دين الله واحد وهو الإسلام ، وقضية فلسطين على أنها قضية الإيمان والتوحيد ، وقضيةُ دين الإسلام والمسلمين ، وأنها حقٌّ المسلمين أبد الدهر !

أرجو أن أكون أوفيت بذلك وأدعو الله أن يتقبل ذلك منا ، وله الحمد والشكر والفضل كله .

ولو أن كلّ مسلم عاش في الغرب بيّن للقوم هناك حقيقة أنه لا يُعقل أن يبعث الله لعباده بأديان مختلفة ، بل بعث جميع الرسل بدين واحد هو الإسلام ، ولو بيّنا للناس لماذا نقاتل من أجل فلسطين ، وأنها أرض الإسلام ، لو فعلنا ذلك لعمت الفكرة وانتشرت ، ولكانت دَعْماً وسنداً للجهاد الحق .



(١٨)
مجالس عامة مختلفة

كلما ضَمَّنا مجلس عام يدور فيه أحاديث عن الواقع والسياسة ونكبات المسلمين ، أترك الحديث للحضور حتى تأتي لحظة مناسبة لأبدأ بالمشاركة معهم . وبأسلوب هادئ أحول الموضوع الذي دخلت فيه إلى قضية الإسلام ، أو قضية الإيمان والتوحيد .

وتكون مداخلاتي تتناسب مع طبيعة الحضور . فإن كانوا جميعهم مسلمين لا ينكرون إسلامهم ولا إيمانهم ، مع ما قد يحملون من تقصير أو انحراف أو خلل ، فتكون مداخلتي على أساس ذلك ، أي أنهم مقرون بالإسلام . وهنا أُذكّر بحقائق أساسية في الإسلام تناسب جو الحوار المفتوح . فإن كان الحديث حول مصائب المسلمين وهزائمهم وهوانهم ، ذكَّرت بالحقائق التالية :

إذا كنا نؤمن بالله حقّاً ، فإن من بين أسس هذا الإيمان أن نؤمن بأن كل شيء يحدث في هذا الكون لا يتم إلا بأمر الله ، وبقضائه وقدره !

ومن بين أسس الإيمان أيضا أن قضاء الله حقٌّ كله ، وحق نافذ ، و قدر غالب على حكمة لله بالغة ، سواء أعرفنا الحكمة أم لم نعرف !

ويكون بذلك قضاء الله وقدره حقاً وعدلاً لا ظلم معه أبداً ، فإن الله سبحانه وتعالى حرم الظلم على نفسه وجعله محرّماً بين الناس ، حتى لا يتظالموا !

إذن ما يحلّ بنا من هزائم ومصائب ونكبات هو بعلم الله وقضائه النافذ وقدره الغالب وحكمته البالغة ، على عدل وحق !

إذن ما يحل بنا ليس ظلماً من الله سبحانه وتعالى أبداً ، ولكنه بسبب الخلل فينا ، فلننظر في أنفسنا ، ولنتذكّر آيات الله و أوامره ونواهيه وتكاليفه الربانية ، ولننظر كم أوفينا بالعهد مع الله ، وبالأمانة التي حملناها ! إذن الخلل في أنفسنا ، نحن ظلمنا أنفسنا ولا ظلم من الله أبداً .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [يونس: ٤٤]

إذن إذا كنا ندّعي الإيمان والإسلام ، يجب أن نحاسب أنفسنا ، ونعرف أخطاءنا ونحددها، ونسرع بالمبادرة إلى معالجة أخطائنا ، ثمّ نتوب إلى الله توبةً نصوحاً .

وهذا العمل : دراسة الأخطاء ، ودراسة سبل معالجتها ، ومعالجتها عملياً ، ثم التوبة إلى الله توبة نصوحاً ، يجب أن يكون دورياً مستمراً ممتداً في حياة الإنسان المسلم، والأسرة ، والحركة ، والجماعة ، والأمة .

لقد كان رسول الله ﷺ يستغفر الله سبحانه وتعالى أكثر من سبعين مرة في اليوم الواحد ، وفي رواية ، أكثر من مئة مرّة .

قواعد أساسية في صدق الإيمان والتوحيد ، لابد أن نتعلّمها ونعلمها حتى تثبت في القلوب وفي الممارسة الإيمانية في واقع الحياة .

في مثل هذه المجالس التي تضم أناساً لا ينكرون إسلامهم ولا إيمانهم مع ما يحملون من أخطاء وتقصير أو انحراف ، يحسن أن نثير قضايا إيمانية وقواعد أساسية يسهل عليهم فهمها وتصديقها وممارستها . وهناك قواعد أخرى كثيرة وأسس ثابتة هامة ، يمكن أن تعرض في مثل هذه المجالس ، وتنبيه الناس إليها ، ليستعيدوا صفاء الإيمان وصدق التوحيد ، من خلال الدعوة المستمرة التي لا تتوقف ، والتي تمضي على صورة منهجية تحمل النهج والخطة ، والوعي ، والمثابرة ، ونعيد القاعدة الرئيسة :

يجب تبليغ رسالة الله إلى الناس كافّةً كما أُنْزِلتْ على محمد ﷺ ، وتَعَهّدهم عليها والمضي على ذلك على نهج وخطة ، مع الزّمَن كله ، حتى تكون كلمة الله هي العليا في الأرض كلها ، وحتى تكون الدعوة الإسلامية في الأرض كلها دعوة واحدة ، ذلك لأن الله واحد أحد لا شريك له ، والدين من عند الله واحد ، فالدعوة الإسلاميّة يجب أن تكون واحدة ، لنبلِّغ الناس جميعاً شيئاً واحداً وديناً واحداً ، كما كانت أيام محمد ﷺ والخلفاء الراشدين .

ومن أجل ذلك يجب أن يتزوَّد الداعية بالزاد الحق الذي سيبلغه للناس كافة ، وأساسه كله منهاج الله -قرآناً وسنّة ولغةً عربيّة ـ .

وفي كلِّ مجلس يمكن أن يُثار موضوع حقٍ من منهاج الله ،يبلّغه الداعية وينصح ويذكر ويتعهّد ما أمكنه ذلك .

(١٩)
مجالس غلب فيها
العلمانيون والديمقراطيون والحداثيون

كانت تجمعنا مجالس من هذا النوع في مسيرة حياتي ، حيثما كنت في رحلة اللجوء والنّزوح من بلد إلى بلد . وهذه المجالس فرصة ذهبية للداعية المسلم ليوفي فيها بعهده مع الله ، بأسلوب بارع مناسب . إذ لا يحلُّ للداعية المسلم أن لا يبلغ رسالة الله أبداً . إنه تكليف من عند الله، وإنها المهمة الرئيسية التي خلق الله عباده في الحياة الدنيا ليوفوا بها . إنما على الداعية أن يحسن اختيار الأسلوب المناسب ليكسب القلوب ويشدّها إليه ، ويفتح الآذان لتصغي إليه :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥]

والحكمة والموعظة الحسنة تظلُّ محصورة في كلمة الحق دون أي تنازل عنها أو أي جزء منها . إنها الصدق والحسم والوضوح ، دون أن يضيع هذا كله بالمجاملاتِ الكاذبة والتنازلات السيئة . إنها تبليغ رسالة الله إلى الناس ، وأنّى يحل التنازل عن شيء منها أو تغييرها ؟!

ولقد مررت بكثير من هذه المجالس ، وأحمد الله أني كنت أقوم بالتبليغ بالأسلوب الذي يفتحه الله عليّ في كل مرحلة من مراحل عمري . فحيناً كنت أفلح وحيناً لم أكن أفلح ، إلا أنني كنت أكتسب في كل مرة خبرة وتجربة ، تظل نامية مع المضيّ بالتبليغ .

في أحد هذه المجالس دار حوار حول الإيمان والإسلام . وقال أحدهم أنا مؤمن ولكني شيوعي . فسألته : لو جاءك رجل وقال لك إنه شيوعي مثلك ولكنه لا يلتزم بالشيوعية ولا يدعو لها ، أفتقبل منه هذا الادّعاءَ . قال : طبعاً ! لا أقبل . وكذلك الحال مع أي فكرة ، وأهمها قضية الإيمان والتوحيد ، والإسلام ، لا يُقبَل

منك ولا من غيرك أن يقول إنه مسلم مؤمن ولكنه يلتزم بالشيوعية فكراً وممارسة ولا يلتزم بممارسة قواعد الإسلام . فأين الإيمان إذن ؟!

ثم قلت له : إن أهم أساس في العقائد والمبادئ أن يكون الإنسان صادقاً واضحاً . وبغير ذلك تتحول المبادئ إلى فتنة وفساد في الأرض . وليس المهم أن تقول لي إنك مسلم مؤمن ، ولكن الأهمَّ أن يعلم الله منك ذلك ! ثمّ انظر وتفكر في مصيرك بعد الموت ؟! إن الخلق كلهم راجعون إلى الله بعد الموت وبعده الساعة والبعث والحساب ، ثم إما إلى الجنة أو إلى النار . فماذا تستطيع أن تفعل بعد الموت ، حين يتبين لك الحق ؟!

وهنا وضح أمام الجميع أنه في الحقيقة لا يؤمن بالساعة ولا البعث ولا الحساب ولا الجنة ولا النار . واشترك الحاضرون في الحديث والحوار . وتركت كلّ واحد يقول ما يشاء . وقالوا وأيد معظمهم قول صاحبهم . فسألتهم : إنكم تنكرون ذلك كله ، وانتم تدعون البحث العلمي والحجة العلمية ، فما هي حجتكم العلمية على صحة رأيكم؟! فسكتوا ، ثم أخذ كلٌّ يقول برأي لا علم فيه ، ولكنه ظنون ووهم !

فقلت لهم : وضح لكم أنكم لا تملكون أيَّ دليل علمي ولا غير علمي على رأيكم ولكن وجود الله حقّ عليه أدلة علمية وآيات بينات . أولها : أنه ثابت أن التاريخ البشري شهد ظهور أناس قالوا إنهم رسل من عند الله يبلغون رسالة الله إلى الناس ، وعرف عن هؤلاء أن أهم صفة من صفاتهم أنهم صادقون ولا يكذبون ، عرفهم مجتمعهم بذلك . وكذلك أنهم عاقلون متميزون برجاحة العقل ، وأن حياتهم وأعمالهم وأقوالهم كلها خير لم يدعوا إلى شرّ أبداً . إن إجماع الرسل على مدار التاريخ مع تباعد الأزمنة بينهم على قضية واحدة بأن الله حق ودينه حق ، لدليل كذلك هام .

والدليل الآخر هو أنك لو اتبعت موقف الإنسان صافي النفس الذي بقيت فطرته سليمة نقيّة لم تشوَّه بالظلم أو الآثام ، لوجدت استجابتهم لدعوة الإيمان

فورية استجابة لفطرتهم التي فطر الله عباده عليها . فمن رحمة الله بعباده أن جعل الإيمان والتوحيد في فطرة الإنسان ، يتلقى الدعوة إليها تلقياً فطرياً .

والدليل الثالث : أن الله برحمته جعل في الكون آيات بينات تدل على وجوده الحق، يراها الإنسان الذي لا يغلبه هواه ، والذي يبحث عن الحق ، فيرى في ولادته وخلقه وحياته آيات بينات ، ويرى في السماء والأرض آيات بينات . إلا أن الذين فسدت فطرتهم تعمى أبصارهم فلا يرون هذه الآيات شاهدة على أن الله حق واحد أحد لا إله سواه !

ودار نقاش طويل وجدل عقيم . ثم سألتهم أنتم ترفضون الإسلام وتتمسكون بالشيوعية أو العلمانية أو ما شابه ذلك من مذاهب شتى ، فهل درستم الإسلام كما درستم الشيوعية ، فحتى تكونوا صادقين علمياً يجب أن لا تحكموا على شيء أنتم تجهلونه . دراسة الإسلام أسهل بألف مرة من دراسة المادية الجدلية أو المادية التاريخية . حاولوا أن تدرسوا القرآن والسنة ، تفكَّروا ، ثم تُقرِّروا وتتحملوا مسؤولية قراركم . وأذكركم ببعض الآيات الكريمة :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

[المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سبأ: ٤٦]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

[النحل: ٣٦]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢٣]

نعم ! فورب السماء والأرض إنه لحقٌّ مثل ما أنكم تنطقون !

فماذا تقولون أيها الأصحاب ! لعلكم تعودون لدراسة كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، وتتقنون اللغة العربية حتى تُحسنوا تَدبُّر منهاج الله وما فيه من آيات بينات ، فتُنْقذوا بذلك أنفسكم من النار .

ابحثوا عن الحق ! فاقرؤوا وادرسوا وابحثوا قبل أن تُقرِّروا هذا أو ذاك فتهلكوا .

على الدعاة المسلمين الذين يحملون رسالة الله ليبَلغوها إلى الناس كافة ، أن يخترقوا الصفوف ، ويصلوا إلى مختلف الفئات ليبلِّغوا ويؤدّوا الأمانة ، بدلاً من أن يَنْغَلقوا على أنفسهم ، ويجمعوا الأنصار لهم ليهتفوا ويصفقوا وينتخبوا ، ثم يتمزّقَ المسلمون .

على الدعاة أن يدركوا أن مهمَّتهم هي إنقاذ الناس من فتنة الدنيا ومن عذاب الآخرة. ومن يتخلف عن هذه المهمة فإنه محاسَبٌ و مسؤول بين يدي الله .

وأوجز النقاط السابقة ، النقاط التي تدعو إلى الإيمان والتوحيد ، كما يلي :

أولاً : إن الله سبحانه وتعالى جعل الإيمان والتوحيد مغروساً في فطرة الإنسان السليمة التي لم تنحرف ولم تشوَّه ، رحمة منه بعباده .

ثانياً : جعل الله آياته الدالة على أنّ الله حق مثبوتةً في الكون : في السموات والأرض وفي الإنسان نفسه .

ثالثاً : مع هذا كله بعث المرسلين على مرّ الزمن ، كل رسول يصدّق مَنْ قبله ويبشر بِمنْ بعده ، حتى ختموا بمحمد ﷺ . وجاءوا كلهم مبشّرين ومنذرين :

﴿**رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً** ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]

ونرى من ذلك أن الله سبحانه وتعالى ، حين أراد من عباده أن يؤمنوا به ويعبدوه ، وفّر لهم جميع الإمكانات ليؤمنوا به ويعبدوه ، حتى لا يكون لأحد عذر في كفر : فطرة سليمة ، آيات مثبوتة ، رسل ممتدون على زمن طويل .

إلا أن على الإنسان أن ينظر في السموات والأرض وفي نفسه ، ويتفكّر ويتدبّر ، حتى يخفق قلبه بالإيمان . ومن أجل ذلك جعل للإنسان : السمع والبصر والفؤاد . لينظر ويتدبّر ويفكر .

في الحقيقة كان الحديث أطول من ذلك ، وأكثر تفصيلاً ، وأكثر استشهاداً بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة . ولكني عرضت مجمل ما أذكره من مثل هذه الجلسات التي كانت تضمّ نماذج شتى من الناس ، وطوائف شتى من عباد الله .

أورد هذه الأحداث ، لأذكر نفسي ، وأذكّر كلَّ مسلم قادر بضرورة تبليغ رسالة الله إلى الناس ووجوبه ، وأن يكون التبليغ ممتداً متواصلاً لا يقف أبداً .

إن هذا التبليغ لرسالة الله إلى الناس كافة قاعدة رئيسة لكل ما يمكن أن يلي بعد ذلك من تكاليف ربانّية تقوم على هذا التبليغ وهذه الدعوة ، كالجهاد في سبيل الله . وإذا تعطلت الدعوة تعطل الجهاد بعدها .

إن هذا الحوار وتبليغ الإسلام إلى بعض رجال العلمانية وأمثالهم ، لم يكن هو الأسلوب الوحيد لدعوتهم . فقد سلكت سبيلاً آخر من أجل ذلك ، بأن قدّمتُ دراسات مفصّلة عن العلمانية والديمقراطية والحداثة ، كنت أعرض فيها رأي هؤلاء من كتبهم الرئيسة المعتمدة ، ثمّ أردّ عليها من خلال منهاج الله .

ولقد عجبت أنا نفسي حين وجدت أن منهاج الله ـ قرآناً وسنة ولغة عربية ـ يردّ على جميع الانحرافات الفكرية ومذاهبها وما يسمونه ديانات . كنت أومن بأن منهاج الله جاء للبشرية كلها لكل زمان وواقع ، ولكن زاد يقيني وأنا أرى كتاب الله يردّ بالحجة البالغة القاطعة . وأشير إلى أهم الكتب التي أصدرتها في هذا الصدد :

- المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية .
- الشورى لا الديمقراطية .
- الحداثة في منظور إيماني .
- تقويم نظرية الحداثة .
- الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام .
- الشعر المتفلت بين النثر والتفعيلة وخطره .

هذا خلاف ما أتطرق إليه في دراسات أخرى وموضوعات مختلفة ، يدفع السياق أن أبيّن المآخذ على هذه الانحرافات كلها .

(٢٠)
مع
زملاء في التدريس

كنتُ أعمل مدرّساً وحولي نماذج متعددة من المدرسين يختلفون في اتجاهاتهم الفكرية والثقافية . ومعظمهم يطوي اتجاهه ولا يتحدّث به إلا في جو خاص . كان ذلك في الخمسينات من القرن الماضي .

استفرد بي في جو خاص ثلاثة من هؤلاء المدرسين ، يحملون الفكر الشيوعي ، وأخذوا يدعونني إلى الشيوعية ويغرونني بما يدعونه من حسنات فيها .

كنت في أول شبابي وزادي من الإسلام قليل ، وزادي من الشيوعية أقل . فما كان لي أن أخوض بنقاش واسع وأنا غير مزوّد بالزاد الحق .

فطلبت منهم أن يزودوني بأفضل مالديهم من مراجع حول فكرهم الشيوعي . فأحضروا لي : الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية ، والبيان الشيوعي ، وكتاب عن المادية الجدلية والمادية التاريخية .

وأخذت أدرس هذه الكتب بتمعن ، وأحفظ في الوقت نفسه من كتاب الله بصورة يومية منهجية ألزمت نفسي بها . وكان لدينا وقت كبير من الفراغ ، فكان فضل الله عليّ كبيراً أن ملأت وقتي بخير عظيم ، وهو البدء بدراسة كتاب الله وحفظه ، لتظل هذه القاعدة ماضيةً معي حتى يومي هذا دون توقف ولا انقطاع . أما الكتب الشيوعية فدرستها بإمعان حتى انتهيت منها ، وأعدتها إلى أصحابها ، وقلت لهم : أنا جاهز للحوار .

وأخذنا نلتقي في فترات متقاربة ، هم ثلاثة وأنا وحدي . ولكن الله فتح عليّ برحمته حتى أردّ عليهم ردوداً قويّة مفحمة . لا أذكر تفصيلات ذلك ، ولكن أذكر روح الحديث والحوار الذي استمرّ معي في حياتي كلما التقيت أناساً من الشيوعيين . وكانوا هم يقبلون عليّ لدعوتي إلى الشيوعية .

كان مَحْوَرُ حديثي معهم وأساسه ونهجه قضية الإيمان والتوحيد ، الإيمان بالله الواحد الأحد بكامل أسمائه الحسنى ، دون أن أدخل في قضايا اقتصادية أو سياسية ، إذ أجِّلتُ هذه القضايا إلى مرحلة أخرى .

وكان أَول سؤال وجَّهتُه لهم : هل تؤمنون بالله الواحد الأحد بكامل أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ؟!

الإجابة كما أذكر كانت مضطربة ، يؤمنون ولا يؤمنون ، ويحاولون تغيير الموضوع إلى السياسة والاقتصاد ، على اعتبار أنها أولى للدراسة في نظرهم .

وكان موقفي الإصرار على قضية الإيمان والتوحيد هي الأساس والمنطلق ، وكل ما عداها قضايا ترتبط بتصورها الحق بالإيمان والتوحيد . وكنت أشعر أن ما حفظته من كتاب الله وفّر لي زاداً كبيراً عن قضية الإيمان والتوحيد ، ورأيت هذه التجربة تجربة رائدة في حياتي .

ثم توجّهت إليهم بسؤال يدور حول ما يلي : قضية الإيمان والتوحيد جاء بها عدد كبير من الرسل على مرّ التاريخ ، كلهم يدعون إلى الإيمان بدين واحد ، برب واحد ، لم يكن هناك ديانات مختلفة . وعرف هؤلاء الرسل بالصدق والأمانة والوضوح ، والتجرّد من المصالح الدنيوية الذاتية ، وتفرّغوا لدعوتهم يقدّمون الأدلة والبينات على ضرورة الإيمان بالله الواحد الذي لا إله غيره . هؤلاء الرسل ، وتتابعهم مع الزمن ، كل رسول يصدّق الذي قبله ، ويبشر بالذي بعده . إذن لدينا حجة عقلية ، يقبلها العقل على قضية الإيمان والتوحيد .

أما الفئة الأخرى التي تنكر وجود الله ولا تؤمن به ، وتؤمن بالعلم والأدلة العلمية ، فما هي حجتها على الكفر بالله ، ما هي حجتها العلمية ، وماذا يقول العلم والعقل لهم ؟!

كانوا يجيبون بأجوبة مضطربة يهدفون إلى الخروج من هذا الموضوع المربك لهم . مما جعلني أن أجيب عنهم على سؤالي ، وأن أوضح لهم قواعد أساسية تعينهم على حسن التفكير إن كان الله يريد أن يهديهم .

فقلت إن المنكرين للإيمان ليس لهم أيُّ دليل من العلم كما يدّعون ، بل العكس ، فإن العلم كله يدعو إلى الإيمان والتوحيد . وهناك بالإضافة إلى العلم ، فإنّ الفطرة التي فطر الله الناس عليها إذا لم تتشوه وتفسد وتنحرف ، فإنها تدعو إلى الإيمان ، لأن الله برحمته لعباده جعل الإيمان مغروساً في الفطرة ، لا يفارقها إلا إذا فسدت الفطرة . وكذلك الآيات المبثوثة في السموات والأرض وفي أنفسنا تدعو إلى الإيمان الحق بالله الواحد الأحد ، وكذلك المرسلون الذين جاءوا كلهم بدين واحد وإيمان واحد . ومع هذا كله فهناك هداية الله يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء .

هذه صورة موجزة جداً عن حوار استمر أشهراً وربما سنة ، استمرّ حتى افترقنا .

ولكن الحوار لم ينته إلى شيء ! فالله يهدي من يشاء ويضل من يشاء !



(٢١)
لماذا يجب أن نؤمن
بالله الواحد
الذي لا إله إلا هو

ـ سألني أحدهم هذا السؤال :

لماذا يجب أن نؤمن بالله الواحد الذي لا إله إلا هو ؟!

ـ فسألته : هل تؤمن أن كلَّ إنسان مصيره الموت ؟!

ـ فأجاب : نعم !

ـ هل فَكّرت في ما بعد الموت ؟

ـ قال : لا ، لم أفكر .

ـ أنصحك بأن تبدأ بالتفكير من هذه اللحظة . وأن يبدأ تفكيرك بأنك في هذه الحياة الدنيا يمكن أن تجد فرصة لحل مشكلاتك ، أو فرصة للإصلاح والتوبة ومعالجة ما قد يطرأ عليك . أما بعد الموت فلا قدرة لك على شيء ، ولا على إصلاح ولا على معالجة ولا تجد حولك ما يعين . في الدنيا قد تجد من يعين ! أما بعد الموت فكيف يكون حالك ؟! لعلك بهذه النقطة والقضية تستطيع أن تتابع تفكيرك عسى أن يهديك الله !

– ثم سألته : كيف ترى الكون والحياة ؟! كيف ترى السماء والنجوم والكواكب والشمس والقمر والرياح والأمطار ؟! هل ترى ذلك كله فوضى لا يتبع نظاماً ثابتاً ؟!

– قال : لا أدري ! لم أفكر بذلك !

– قلت : هنا المشكلة ! المشكلة مع كثير ممن لا يؤمنون أنهم لا يفكرون ، لا

يتـأملون ، والله يأمـر عـباده بأن يفكروا ويتـأملوا ، ولذلك أعطاهم القـدرة على التفكير ، وأعطاهم السمع والبصر والفؤاد ، لينظروا في السموات والأرض ، والحياة والموت ، وليتدبّروا !

لو نظرت إلى السماء لظننتَ أول وهلة أن النجوم مبعثرات في السماء على غير نظام ولا قانون ولا سنن ثابتة . وعندما تنظر نظرة البحث والتأمل كما يحدث في علم الفلك تجد أن النجوم والكواكب والشمس والقمر ، كل ذلك مرتّب ترتيباً دقيقاً لا خلل فيه ولا فوضى . وأن السموات والأرض خلقهنّ الله بالحق ، بالنظام الثابت والسنن الثابتة .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]

" **سُبْحَانَكَ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً** " ! أي لم يخلقه على غير سنن ثابتة وهدف رباني عظيم . إن التـأمل في هذه الآيات : **خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**، تؤدّي إلى الحقيقة الثابتة أن هذا كله خلقه الله بالحق ، بالسنن الثابتة والغاية المحدّدة والأجل المسمى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠) ﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠]

وكذلك :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) ﴾ [الحجر: ٨٥]

وكذلك :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩]

وكذلك :

﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣]

وتتوالى الآيات في كتاب الله لتؤكد هذه الحقيقة الرئيسة التي تدعو المتأمل إلى الإيمان : أن السموات والأرض وما بينهما خلقهنّ الله بالحق بالسنن والقوانين الثابتة ، إلى أجل مسمى حين تقوم الساعة ، ولتُجزى كل نفس بالحق بما كسبت وهم لا يُظلمون . وكلما زاد الإنسان تأملاً وبحثاً تكشّفت له آيات وآيات تدعو إلى الإيمان والتوحيد واليقين ، بالسنن الثابتة والنظام الحق والغاية الربّانيّة والحكمة البالغة .

ولكن الذين لا يفكرون ولا يتأملون ولا ينظرون ، كأنما تعطّل عندهم السمع فهم لا يسمعون أو تعطل البصر فهم لا يبصرون ، أو تعطل الفكر فهم لا يفقهون ، وكأنهم معرضون عن الآيات البينات .

ـ ثم سألته : ما قولك في هذا العرض ، وفي هذه النتيجة ؟!

ـ قال : لا بُدّ أن أفكر وأن أتأمل وأن أنظر وأن أسمع قبل أن أعطي رأياً أثبت عليه . أرجو أن أفعل ذلك !

ـ قلتُ : لا بأس ! ولكن فلنتابع المسيرة قليلاً أيضاً . إن النتيجة التي نخلص إليها بهذا التفكُّر والتدبّر والتأمل أن شؤون الكون كله ليست متفلّتة أبداً ، وأنها جميعها خاضعة لنظام ثابت وقوانين ثابتة وحكمة بالغة وغاية محددة . السموات والأرض ، النجوم ، الشمس والقمر ، كل ذلك ! الحق ، العدل ، النظام الحق والعادل .

ونستطيع أن نجزم بعد ذلك أن الكون كله ، ما نراه وما لا نراه ، يخضع لقوانين وسنن ثابتة . سواء أعرفناها أم لن نعرفْها .

ومن بين ذلك حياة الإنسان ! فلا بدّ أن تكون حياته خاضعة لنظام وسنن وقوانين ، وحكمة بالغة وعدالة حق !

وربما تقودنا النظرة الأولى التي لا يصحبها تأمل وتفكير ، إلى أن الأمور فوضى متفلتة ، ولكن التأمل والتفكير والفطرة السليمة ستقود إلى أن حياة الإنسان خاضعة لسنن ثابتة وحق وعدل وحكمة بالغة .

ولنأخذ مثلاً واحداً : رجل مظلوم فقير اعتدى عليه رجل طاغ جبار قويّ غنيّ ، فقتل القويّ هذا الرجل الضعيف ظلماً ! فهل يُعقل في السنن الثابتة والقوانين العادلة أن تكون القصة انتهت على هذا الوضع غير العادل ؟! كلا ! لا بد أن يكون للقصّة تتمّة حتى يقوم العدل والحق الذي قامت عليه السموات والأرض والحياة كلها .

فهناك يوم الحساب ، ويوم العدل والحق ، يوم القيامة حيث يقوم العدل والحق بين جميع البشر الذين عاشوا وماتوا على هذه الأرض .

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال :

" لتؤدَّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء " [رواه مسلم والترمذي](١)

وكذلك :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩]

(١) مسلم : ٤٥/ ١٥/ ٢٥٨٢ ، الترمذي : ٣٨/ ٢/ ٢٤٢٠ .

ـ ثم سألته : هل أضافت هذه القضية إضاءة أوسع أمامك لتفكر وتُحْسِنَ التفكير ؟! .

ـ قال : لي سؤال هنا . لماذا يُسَوِّى الله الأمور يوم القيامة فقط ، لماذا لا تُسَوَّى في الدنيا ؟!

ـ فأجبته : أولاً : هذا السؤال لا يأتي في هذه المرحلة . أنت الآن تسأل : لماذا يسوِّى الله الأمور ... ؟! فهل أنت آمنت بالله واستقرّ إيمانك حتى تسأل الله ؟! وإن كنت لم تؤمن بالله فعلى أي أساس تسأل هذا السؤال ؟! وكذلك فإن هناك أسئلة كثيرة جداً كلها تبتدئ بـ : لماذا فعل الله هذا أو ذاك ؟! لا يمكن الإجابة عليها وأنت غير مؤمن . أما لو كنت مؤمناً فستدرك بإيمانك أن الله هو الذي خلق الكون والموت والحياة على حكمة عنده بالغة أوسع من حسابات البشر ، على الحق الرباني والعدل الرباني والحكمة البالغة الربانية . وستجد أن من شروط صدق الإيمان بالله الواحد الأحد وبأسمائه الحسنى كلها في تصور واحد أنه لا يُسأل عما يفعل والناس هم الذين يُسألون . الناس ، الخلق ، هم الذين يحاسَبون ويُسألون ، والله هو الخالق المدبّر المتفرّد بالأُلوهيّة لا يُسْأل ولا يحاسَب وإلا لا يكون هو الله الإلهَ المتفرّدَ له الأسماء الحسنى ! إن الله سبحانه وتعالى خالق الكون كله والحياة والموت على الحق والعدل والحكمة البالغة ، يفعل ما يشاء ، قادر على كل شيء له الأمر كله ، وله الملك كله ، " لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ " أي أن المخلوقات هي التي تُسأل وتُحاسب !

﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]

وعندما تكون أنت تعمل في دائرة ما ، ويصدر الوزير قرارات للتنفيذ ، فإنك لا تسأل الوزير ولا تحاسبه . وكذلك لو أصدر المسؤول الأول في الأمة لا تشعر في نفسك القدرة على سؤاله أو محاسبته ، فكيف تريد أن تسأل الله أو تحاسبه سبحانه وتعالى .

وقضية أُخرى ! لو أردت أن تناقش قاضياً أو حاكماً في حكم أصدره ، وتريد

أن تبيّن له حسب ظنك أن قراره خاطئ . فما هي أهم صفة يجب أن تتوافر لديك حتى يحقّ لك أن تناقش القاضي أو الحاكم ؟! إنها صفة هامة بغيرها لا يحق لك مناقشته ، ألا وهي أن يكون علمك مساوياً لعلم القاضي ، فإن لم يكن كذلك فكيف تناقش القاضي ؟! وعلمك لا يمكن أن يقترب من علم الله رب السموات والأرض وما بينهما ، رب الكون كله ، فكيف تجيز لنفسك أن تناقشه وتسأله لم فعلتَ هذا ولم فعلت ذاك ؟!

- قال : لي سؤال آخر ! قلت لي أن أفكر كيف يكون الحال بعد الموت حيث لا أجد معيناً ، وفي الحياة الدنيا أجد المعين ! ولكن الإنسان يموت ولا يعود يشعر بشيء لأنه ميّت ، ولا يحتاج إلى من يعينه لأنه لم يعد لديه مشكلات !

- أجبته : نعم ! هذا تصوّر لما بعد الموت يراه بعض الناس . ولكنه رأيٌ غير مبنيٍّ على علمٍ أو حجّة بيّنة . إنه رايٌ مبنيّ على الظنّ فقط :

﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ ﴾

[النجم: ٢٨]

فهذا تصوّر قائم على الظنّ لا حجّة معه أبداً ولا علم ولا يقين . وأما التصوّر الآخر فهو يقوم على أن بعد الموت مسيرة طويلة إلى يوم البعث . حياة أخرى يسمع الميت خطوات المشيعين ، وتأتيه الملائكة ، ولا يجد حوله من يعين ، ويجد نفسه لا حول له ولا قوة . وهذا التصوّر بكامله يحمل حجته الثابتة ، ذلك بأن المرسلين على مرّ الزمن أتوا كلهم بتصور واحد ودين واحد ، يفصّل كل شيء ، حتى ختموا بمحمد ﷺ ، جاء بالخبر اليقين والنبأ العظيم والحجة البيّنة . توالي الرسل بهذه الكثرة يبلّغون ديناً واحداً هو حجّة قوية دامغة إلا على المستكبر الذي لا يريد أن يعرف الحق ولا أن يتبعه .

فأيّ التصوّرين أحق أن يتَّبع : تصور لا يقوم إلا على الظن ، أم التصوّر الذي يؤكده رسول بعد رسول ، ونبيٌّ بعد نبيّ ، لزمن طويل يُخْتَم بالنبي الخاتم والرسالة الخاتمة ؟!

ـ أجاب : لا شك أن التصور الثاني أولى بالاتباع !

وهذه الأمور بعد الموت هي من أمور الغيب الذي لا يمكن للإنسان أن يعرفه بالبحث كما يعرف أمور الدنيا . فالمصدر الوحيد لمعرفة بعض الغيب هو الوحي المنزّل من عند الله :

﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾

[النمل: ٦٥]

من السهل جداً أن نؤمن أن هناك شيئاً يمكن أن نسميه الغيب . إنه هو الذي يخرج من نطاق جهد الإنسان وبحثه وقدرته وعلمه . الموت وما بعد الموت أمر من الغيب يستحيل على كل وسائل العلوم المادية البشريّة أن تعرفه أو أن تصل إليه . فإما أن نقول لا يوجد شيء وهذا استسلام مبنيٌّ على الظنّ كما ذكرنا ، وتصور لا يحمل أيَّ حجّة من عقل أو علم . وإما أن نستمع لمن يقول لنا : إن الغيب كله لله وعند الله وحده ، والله بعثنا نحن الرسل لنذكّر ونعلّم ونبلّغ ولننذر ، ونحن عن طريق الوحي نعلم بعض الغيب الذي أُوحيَ به إلينا ، فنبلغكم إياه !

ـ قلت : كيف تجد نفسك الآن مع هذا الطرح ؟!

ـ قال : مازلت أحتاج إلى أن أفكر وأراجع كلَّ ما قلته لي !

ـ قلت : على رسلك ! فهذه هي النعمة الكبرى أن تفكر وتتأمل . فإن الله سبحانه وتعالى يريد من عباده إيماناً صادقاً خالصاً نابعاً من قناعة ذاتيّة قلبية ، ولا يريد إيمان إكراه . ففكر وتأمل ، ولكن لي ملاحظة عسى أن تعينك على التفكير والتأمل . فمَن رحمة الله على عباده أن جعل الإيمان والتوحيد في فطرة كلّ مولود :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال الرسول ﷺ :

" كلُّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، كما تَنَاتَجُ الإبلُ من بهيمة جمعاء هل تحسُّ من جدعاء " قالوا : يا رسول الله ، أفرأيت من يموت صغيراً ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين " (١)

(١) أبو داود : ٣٤/١٨/ ٤٧١٤ .

وإنما يفسد الإيمان وقد يضلُّ الإنسان إذا فسدت فطرته وشوّهت ، ولذلك كان من واجب الوالدين والأسرة والمجتمع والمؤسسات الدولية كلها أن تحرص على حماية فطرة الإنسان وتوفير سلامتها . **وهذا هو الحق الأول للإنسان** ، الحق الذي أهملته جميع مؤسسات حقوق الإنسان .

وكذلك كان من رحمة الله بعباده أن جعل آياته الدالة عليه مبثوثة في الأرض والسماء وفي أنفسنا ، حتى نراها ونفكر ونتدبر :

﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾
[الذاريات: ٢٠ - ٢٣]

ثم بعث الله رسله ليبلغوا ويذكروا وينذروا ، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل :

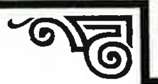
﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء: ١٦٥]

وإذا أردت مرجعاً تعيش معه وأنت تفكر ، فذلك كتاب الله القرآن الكريم ، عد إليه لتجد الحقَّ المبين :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩]

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [النمل: ٧٦، ٧٧]

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤]




البـــاب الثالـث

الـدعــوة الإســلاميــة في قصـائــد

- الدعوة الإسلامية في قصائد .
- أتــوب إلى الرحمن ..!
- دعــوة ونــداء .
- هذا هو الصراط المستقيم – ذكرى وتذكير .
- دربي سبيل الله .
- أدعوك إلى الإسلام !
- إن الظن لأكذب الحديث .
- صدق الوفاء ! ما كان لله من ودٍ ومن صلةٍ .
- مــن نحـــن ! .






الدعـوة الإسلاميـة
في قصائـد

إن تبليغ رسالة الله ودينه الحق إلى الناس كافّة كما أنزل على محمد ﷺ ، وتعهّدهم عليه ، أَمْرٌ من عند الله وتكليف منه .

ذلك لأن هذا الأمر وما يتطلبه من إعداد صادق وتزوّد بالزاد الحق هو جوهر العبادة التي خلق الله الإنسان لها ، ومحور الأمانة التي حملها الإنسان ، وأساس الخلافة التي جُعلتْ للإنسان ، وحقيقة عمارة الأرض التي طلبها الله من الإنسان : عبادة وأمانة وخَلافة وعمارة . وعليها يدور الحساب يوم القيامة .

لم يخلق الله الإنسان عبثاً أبداً ، وإنما خلقه للوفاء بمهمة عظيمة في الأرض في الحياة الدنيا ، وأوجزها سبحانه وتعالى بالمصطلحات الأربعة التي ذُكِرتْ أعلاه :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

ومن أجل هذه المهمة العظيمة كان على المؤمن أن يضع إمكاناته ووسعه وما وهبه الله من نعم في الوفاء بهذه المهمة العظيمة . وسيحاسب الناس على هذه المهمة وعن الوفاء بها . وعن النِّعَم التي اسبغها الله على عباده ، والتي أمرهم أن يضعوها في طاعته ونصرة دينه وتبليغ رسالته .

﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]

وكذلك :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]

ولخطورة هذا الأمر في حياة البشريّة كلها جاء حديث رسول الله ﷺ :

" **بلّغوا عني ولو آية** "(1)

فإن لم يضع الإنسان نعمة الله عليه في نصرة دين الله وتبليغه فإنه بذلك يُفسد في الأرض ويُحلُّ قومه في الهلاك مهما طال الزمن .

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا** ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٩]

﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣]

ولقد عرضنا في الصفحات السابقة بعض القضايا الخاصة بالدعوة الإسلامية ، ونقدّم هنا بعض قضايا الدعوة الإسلامية شعراً ، وكان الشعر أحد أسلحة الدعوة الإسلامية أيام النبوّة الخاتمة ، وأمر رسول الله ﷺ بمجاهدة المشركين الذين يصدون عن سبيل الله بالمال والنفس واللسان :

فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

" **جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم** "(2)

ولقد جاهد المسلمون المشركين بأموالهم وأنفسهم وألسنتهم على مرّ الزمن ، عسى الله أن يتقبل جهد المؤمنين وبذلهم وعطاءهم .

ونقدم في هذا الباب بعض قصائدي التي تتعلق ببعض جوانب الدعوة الإسلامية لا كلها ، فقصائدي التي تتعلق بالدعوة الإسلامية كثيرة اخترتُ منها بعض النماذج التي أعتقد أنها ضرورية ومناسبة .

---

(1) سبق تخريجه .

(2) أبو داود ٩/ ١٨/ ٢٥٠٤ ، النسائي في الجهاد : رقم ٣٠٩٨ ، الدارمي باب الجهاد : ٢/ ٢١٣ ، أحمد المسند : ٣/ ١٢٤/ ١٥٣/ ٢٥٠ ، أحمد الفتح : ١٤/ ٧/ -٨ . ابن حبان : رقم : ١٦١٨ ، والحاكم في المستدرك : ٢/ ٨١ .



أتوب إلى الرحمن ...

إلهي ! وفي نَفْسي أُرَدِّدُ حَاجَتي … وبَيْنَ ضُلُوعي هَمْسَةُ اللَّهَفَاتِ

وبَيْنَ جُفُوني مِنْ بَرِيقِ ضَرَاعتي … مَعَانٍ لها مَاجَتْ عَلَى عَبَرَاتي

على شفتيَّ الهَمْسُ، والجَهْرُ، والصَّدَى … يُرَجِّعُ ما في القَلْبِ مِنْ كَلِماتِ

* * * * *

أَبى لِيَ دِيني أنْ أُضَيِّعَ مُرُوءتي … وقَدْ غُرِسَتْ في فِطْرةٍ وَسِمَاتِ

يَصُوغُ لَنَا القُرْآن طِيبَ جُذُورِها … وحُلْوَ أَمَانِيها ونَهْجَ حَيَاةِ

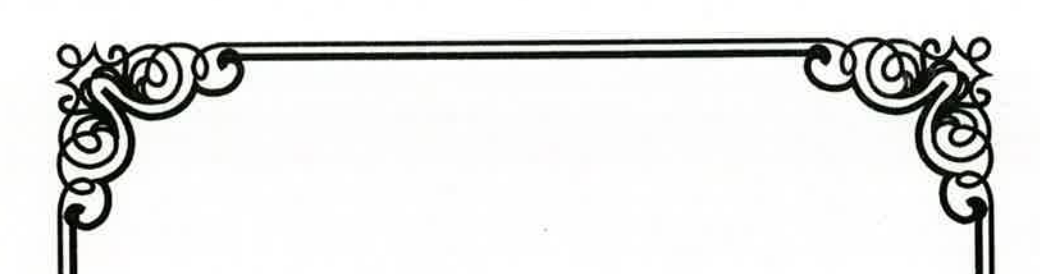
ويُعْلِي لَنا الآمَالَ والسَّعْيَ والخُطَا … ويُزْكِي لَنَا الأشْوَاقَ والرَّغَبَاتِ

عَلَى سُنَّةٍ ضَاءَتْ وهَدْيِ نُبُوَّةٍ … وحِكْمَةِ مَا نَتْلُوه مِنْ نَفَحَاتِ

وَعَوْنٍ مِنَ الرَّحمن، لولاهُ ما اهْتَدَى … فُؤَادٌ ولا نَالَ الفَتَى حَسَنَاتِ

إذا نِلْتُ مِنْ خَيْرٍ فَذَلِكَ فَضْلُهُ … وَإِنْ مَسَّني سُوءٌ فَمِنْ عَثَراتي

أَتُوبُ إلى الرَّحمن ..! يَا فَوْزَ تَائِبٍ … إذا وَسِعَتْهُ رَحْمَةٌ بِنَجَاةِ



دعـــوة ونـــداء

أبيات من الشعر أطلقها مدويّة في أذن كل مسلم وكل حركة إسلامية ، وقد امتدّت الأحداث والفواجع في ديار المسلمين ، وامتدّ المكر والكيد من أعداء الله ، وامتدّ التمزّق بين المسلمين ، وأمامنا الأحداث الدامية والفتن والفواجع دروس وعبر فهل نعتبر ؟ !

دعـوة ونــداء

أخي رُوَيْـدَكَ ! بي مِمّاَ يَحلُّ بنِـا
هـمٌّ يَطُـولُ وبي من قَـومْنا عَـجَـبُ

همٌّ يَكادُ مَعَ الأهْـوال يَذْهَـبُ بـي
وغَضْبَةٌ لم تَزَلْ في الصَّدْر تَضطربُ

ضَجَّتْ شِـعاراتُنا في كلِّ نـاحيـة
ولم تضجَّ بنـا الساحاتُ و الهضـبُ

يَكـادُ بنيـاننـا يَنْهـارُ من وَهَـن
والناس في غفوة الأحلام قد ذهبـوا

ما بالُنا افْتَرَقَتْ ساحاتُنا شِيعاً
يكـاد يَطْحَنُهمْ مِـن خُلْفهمْ حَرَبُ

كـلٌّ يُقيـمُ عَلَى أحـلامـه وثَـنـاً
يَظَـلُّ في وهْـمـه يَرجـو ويَرْتَقـبُ

الجاهليّـة مَـدَّت مِـنْ مَخـالبـهـا
فَـقُطِّعَ النَّسبُ الموصولُ والسَّبب

* * * * *

أخي مَـدَدْتُ يَدِيْ بالأمْسِ مرتَجياً
عَوْناً على الحقِّ! نعْمَ السعيُ والطَّلَبُ

رَجَوتُ لَوْ يَلْتَقي حَشدُ الدعـاة على
صَفٍّ ويَنْهـضُ بُنيـانٌ لنـا أشِـبُ

ولـو تَلُـمُّ عُـراَ الإيمـان فُـرقَـتنـا
وعـروةُ الحقِّ والتوحـيـد مُنْتَسَبُ

أشاحَ وانفضَّ مَـنْ أمّلتُ نصرتَهُـمْ
وأدْبَروا في دُرُوب الخُلف و احْتَجَبُوا

كلٌّ يظـنُّ هَـواهُ الحـقَّ يَـدْفَـعُـه
وهْـمٌ يُزيِّـنُ فـيـه النّصْـرُ والغَلَـبُ

حتى جَنَوا غُصَصاً تَدْمَى وفاجعَـةً
وفِـتْنَـة لم تَزَلْ تَعلُـو وتَـلتَـهـبُ

و ذلّـة لم تَـزَلْ تُحنـي أُنُـوفَـهُـمُ
إلى التُّـرابِ وتحنيـهـمْ بهـا الكُـرَبُ

هَمْسٌ يَدُور ونجْـوَى لا وَفَـاءَ بهـا
كـم فـرّقَ المسلمين الظنُّ و الكـذبُ

وفـوَّتـوا فُـرَصـاً كـانـت نجاتُـهُـمُ
فيها فما عادَ يُجدي اللّـومُ والعَتَـبُ

لله أشْكُو الذي نَلْقَاه ! مـا يَئِـسَـتْ
نفسي ولا وهَنَ البـذلُ الذي يجـبُ

ولا العَـزَائـمُ هَانـتْ وهي صـادقـة		لله يـدفَعُـهـا التـرْغيـبُ والرّهَـبُ
خـوفـاً مِنَ الله ، أشـواقـاً لجَنَّتِـه		تَكَشَّفـتْ عندها الأسْتَارُ والحُجُبُ
فـانهضْ لنجمعَ مِنْ أشْتاتنـا أمَلاً		وتَـوْبَـةً علَّنـا نَدنُـو و نَقْـتَـرِبُ

* * * * *

الرياض
١٥ذو الحجة ١٤١٦هـ
الموافق ٢/ ٥/ ١٩٩٦م

هذا هو الصراط المستقيم
ذكرى وتّذْكيـر

هَلْ يَذكُرُ الأصحابُ حين نَصَحْتُهمْ ... يومـاً على عَـهْـد الشَّبـاب الأوَّلِ
هَلْ يَذكُرونَ وقَـدْ نَصَحْتُ بآيَـة ... لله مـحكَـمَـة وسُنّـة مُـرسَـلِ
كم قلتُ إنَّ أمَـامَنَـا هـذا الصِـرا ... طَ المستَـقيـمَ مع الهُدى المتَنَـزِّلِ
وسِـواهُ دربٌ مُـغْلَـقٌ يُـودي بنـا ... لِمَهَـالِـك وهـزائـمٍ وتـذَلُّـلِ
ولَكَـم أشَـرْتُ إلى مَـخاوف أُمَّـة ... من كلِّ شَرٍّ في الخـفـاء مُـعَـجَّـلِ
لا تَرْكَنـوا للظّـالمين ولا تُـغَـ ... ـرُّوا بابتِسَـامَـة مجْرمٍ مُتَسَلِّـلِ
مـاذا يُحَـاكُ لَـدى الكَواليسِ التي ... نَتنَـتْ بِكـلِّ خـيـانَـة وتَـحـوُّلِ
هل يَذكُرون وقد نَصَحْتُ لجَمْعِهِمْ ... لا تَقْـبَلـوا من مُجْرمٍ مُـتَـفَضِّـلِ
لا تَقْـبَلـوا بدُويـلَـة مِـسْخٍ ولا ... بحلـول أجْزاء وضَـيـعـة مَنْزلِ
هي خِدْعةُ الشيطان! لا تَمضُوا وتَتَّـ ... ـبِعُوا سبيـلَ مُضَلِّـلٍ ومُضَلَّـلِ
ولقَـد نهانـا الله أن نَـمضي علـى ... خُطُـوات شَـيْطـانٍ أذلَّ وأجْـهـلِ
نُورٌ يَشُقّ لنا السَّبـيـل فكيف نَتْـ ... ـركه لحُلْكَة مَسْلَـكٍ أو مَجْهَـلِ (١)

* * * * *

هـذا سَـبيـلُ الله بَيّنَـه لـنـا ... حَـقّـاً وفَـصَّلَـهُ بِسوحـيٍ مُـنْـزَلِ
إنْ لَـمْ نُغَـيِّر مـا بـأنفـسنا إلـى ... خَـيْـرِ أبـرَّ تُقـىً وهَـدْيٍ أمْـثَـلِ
لا يستَـقـيـم بنا الطريـقُ ولا نـرى ... إشراقَ نصْرٍ في الصـدور مُـؤمَّـلِ

(١) الأرضُ المجهلَ: التي لا يُهتَدى فيها.

ولَكَمْ مَررْتُ على الدِّيار مُذكِّراً ويْحي ! بخطْو دائب مُتَنَقِّلِ
أُقْضي بكُلِّ نصيحَة لله خا لصة وأُفرِغُ مِنْ فؤاد مُثْقَلِ
عَجَباً ! فَكَيف تُسَدُّ آذانٌ وتُطْـ ـمَس أُعْيُنٌ عن كلِّ تبيانٍ جَلي

* * * * *

هذا سبيلُ الله شُقَّ ونُورُهُ حقٌّ لكلِّ مصدِّقٍ مُتَوكِّلِ
وكتابُه نَهْجٌ أبَرُّ ومخْرَجٌ لعباده مِنْ كلِّ أمْرٍ مُعْضِلِ
عَجَباً ! وكيف يَتيهُ عنه مُسلمٌ إلاّ بِسُوءِ هوىً وسُوءِ تأوُّلِ
فلمَ التفرُّقُ والسَّبيل مُوحَّدٌ للمؤمنين هُدىً وصفوةُ مَنْهَلِ
عَصَبيَّةٌ جَهْلاءُ كمْ قد أَنشبَتْ فينا مخالِبَها وكم من مَقْتَلِ !
والظنُّ ! سُوءُ الظنِّ مَزَّقَ أُمَّةً ورمَى بها بمتاهَةٍ وبمجْهلِ
عُودُوا إلى الرَّحمن صَفّاً واحداً يُجْلَى بِنَصْرٍ في الدِّيارِ مُجَلَّلِ

* * * * *

هل يذكرُ الأصْحابُ حين أَتيْتُهُم سَعْياً لأُنْذِرَهُم بَشَرٍّ مُقْبلِ
لأُبيِّن الأشْيَاء ! أجْلُو أمرَهَا بالبيِّنَات ! بحجَّة ! بتَعقُّلِ
وأُعيدُ ثُمَّ أُعيدُ بَعْدُ مذكِّراً بالنّهج بالسُّنَنِ التي لم تُجْهَلِ
هذا الصراطُ المُسْتقيمُ ! فكيف لا نَمْضي عَلَيْه بعَزْمَةٍ وتوكُّلِ
صفّاً يُرصُّ كأنه البنيان لَمْ يَهْوِ الشِّقاقُ به ولم يتزلزَلِ
عَجَباً ! وكيف تَغيبُ آمالُ القُلو ب وراء أمْواجِ السَّحاب المرْسَلِ
وتَظَلُّ ساحاتُ التنازُلِ ترتجي بِمُسَلْسَلٍ ومُسَلْسَلٍ ومُسَلْسَلِ

وتظَلُّ ألوانُ الهَزائمِ تَنْجَلي ... بينَ الشّعارات التي لم تَنْجَلِ
ويَظلُّ تصْميمُ اليَهود يزيده ... عَزْماً هوى المُسْتَضْعفين العُزَّلِ
تَمْضي السِّنون بنَا ولمْ نَنهضْ إلى ... إعْداد عَزْمٍ للنِّزال مُؤَهَّلِ
شُغلتْ قُلوبُ المُسْلمين بفتنَة ... موَّارة تأتي بِهَمٍّ أثقَلِ
وَطغَتْ شعاراتُ الهياجِ فَلَمْ يَعُدْ ... للنُّصح مِنْ مُصْغٍ ولا مُتَقَبِّلِ
وهُنَاكَ يُوري المجْرمُونَ هياجَنا ... من كُلِّ دَاهية يكيد وأطْحَلِ[1]
فَتَغيبُ ما بَيْنَ الضّجيج حُلُومُنا ... وهُدى رسَالتنا وحكمَةُ أمْثلِ
وكأنّنا نَرْمي بِكُلِّ جُهودنا ... عَبْرَ الفضَاء هبَاءَ نَثْرِ القَسْطلِ[2]
ليُفيد كُلُّ أخي هوىً مُتَربِّص ... منْها بِخُطّته التي لمْ تَعْجَلِ
وإذا ارْتِجالُ التّائهين يَصُبُّ في ... نَصْرِ العَدُوِّ المَاكِرِ المتَمَهِّلِ
ويصَفّقُ اللاّهُون في سكَراتهم ... طربَاً لفوْرَة جَاهلٍ مُتَطوِّلِ
حتى تُفاجئَنا الهَزائم ! ويْحَنا ! ... هَولاً يُدمِّر منْ بِناء أطول
كلٌّ يقُولُ : " أنَا الذي " ! فإذا " الذي " ... وَعَدَ الوُعودَ مضى ولمّا يَفْعَلِ
وإذا الجميعُ مع المصائبِ عُذَّلٌ ... كلٌّ يَلُومُ سِواه ! يا للْعُذَّلِ

* * * * *

(١) أطحل : الذئب لونه بين الغبرة والسواد .
(٢) القَسْطلِ : الغبار .

دربي سبيل الله

آبائيَ الغُرُّ الذين عَرفْتُهمْ طَلعُوا على الدُّنيا طُلوع نَهار
أَبْنَاءُ مَدْرَسة النُبوَّة كُلهُّمْ نَسَبُ التُقاة ولحُمَةُ الأطْهار
سأُعيدُ سيرَتَهُمْ وأَبْرأُ من هَوَى عَصَبيَّة جَهْلاء أَوْ أَوْزَار
أَنَا مُسْتَقل عَنْ دَعاوى فتْنة و وحُول أَوْهَام ودَرْب عثار
أَنَا لن أُمزِّقُ مُهجَتي و حُشَاشَتي قطَعاً تُبَاعُ وتُشْتَرى بدُلاَر
أَنَا لا أُريدُ على الطريق بناءَ جِسْر إبادَتي أَوْ وَصْمَةً مِنْ عَار
أَنَا إنْ بَنَيْتُ فمنْ دَمي أبني العُلا ومنَ التُّقَى أَبْني شَوَامِخَ داري
دَرْبي سَبيلُ الله يا لجَلائه نُورٌ يَمُوجُ على رُبىً وقِفار
لا يَطْرُقَنَّ سَبيلَهُ إلاَّ الذي يأْبَى مُسَاومَةً وذُلَّ صَغار
يَجْلو علَى المَيْدان عِزَّةَ دِينه ويَصُوغُ في السَّاحات صدْقَ شِعَار

* * * * *

ورَجَعْتُ أَبْحَثُ في الدُّروب أشقُّهَا شَقّاً وأَدفعُ خُطْوتي و بِدَاري
فَلمحتُ آيةَ سَاحِها وعُصَارَةً منْ شَوقِهَا فَهَرعْت في إصْرار
جُمعَ الحَنينُ فكانَ قُبَّةَ صَخْرَة وطُيُوفَ إسْراء وطيبَ مَزَار
ورَفيفَ أَجْنحة الحَمَام وخَفْقَةً منْ أَكْبُد حَرَّى ومنْ زُوَّار
ودويَّ آيات ورَهْبَةَ مَوْكب منْ سُجَّد خَشَعَتْ ومنْ أنْوَار
وجَلالَ تَكْبير وعِزَّةَ أُمَّة قَنَتَتْ و وَثْبَةَ فارس مِغْوار
فألَّم أَشْوَاقي هُنَاكَ بِدَمْعة وتَضرُّعٍ في خُفْيَةٍ وَجِهَار

* * * * *

يَا قُبَّةَ الأَقْصى طَلَعْت على المَدَى أُفُقاً يُظَلِّلُ لَهْفَتي وأَوَاري

فَملأْت آفَاقَ الحَيَاة بَلاَلَةً عنْدَ الهَجير وعندَ كُلِّ عصَار

يَا ساحَةَ الأَقْصَى ويا لجَلاله سُدَّتْ إليك مَسَالكٌ وبَرَاري

أَأَمُرُّ في سَاحَاته وأَشَمُّ منْ عَبَق الجنَان به ومنْ أَزْهَار

أُصْغي إلى الزَّيتون بَيْنَ ظلاله قصَصُ الجُدود ونسْمَةُ الأَخْبَار

وعلى أَريج البُرتُقال نَداوةٌ نَشَرَتْ هوى الآصَال والأَسْحَار

وشَذاً منَ الليمُون بَيْنَ أَريجه دَفْقُ المَلاحم أَو دَويُّ نفار

المسجدُ الأَقْصى ! فَيَا لحَنينه وأَنينه وَجراحه وإسَار

* * * * *

أدعـوك إلى الإسـلام !

أدعُـوكَ للإسـلام يا طـاغٍ ! فـمَـهْـ ـلَكَ ! قفْ ! تفَكَّرْ في المصير ! تأمَّل !

قَـدْ غرَّكَ الأعْـوانُ مِـنْ سُفَهاء ضَلّـ ـوا ! مِنْ نفَـاق التـائهـينَ الرُّحَّـلِ [1]

ومِنَ العصَابات التي احترفَتْ سَبيـ ـل المجْـرمين الظَّالمـينَ الجُـهَّـلِ

قَـدْ غـرَّكَ الجُنْدُ العـديـدُ أو السِّلا حُ وكُلُّ أمْـرٍ بَـعْـدَ ذاك مُـعَـوَّلِ

قَـدْ غَـرَّكَ الأعْـوانُ مِـن دُوَلٍ تَـدا عَـتْ للجريْمة والغنيمة ! فامْهَلِ

والتَّـابعون لكلِّ صَيْحة مجْرِم مستضعفون على بِسَاط مُمَوَّلِ

قَدْ غَرَّك الضعفـاءُ ! كم أذللتَهُمْ بَيْن الوعـود الكاذبـات المُحَّلِ [2]

فَنَما الغُرورُ بكُلِّ عِـرقٍ منك واشْـ ـتَـدَّتْ نَوازعُ كِـبْـرك المُتَـأَصِّلِ

كِـبْرٍ يُغَشِّي ناظِرَيْكَ وفـتْـنَـة مَلأتْ فُؤادَكَ بالضَّلال المُعْضلِ [3]

مَا عُدْتَ تُبصِرُ عِبْرةَ التَّاريخِ والْـ ـسُّنَنَ التي تُرْوَى بِذكْـرِ مُنْـزَلِ

انْظرْ إلى "فِرْعَوْنَ" والمَلأ الذي يَطغى وفـتنَةَ ظالِمٍ مُسْتَرسِلِ

أمْلى له الجَـبّـارُ حِـيْـناً ثُـمَّ لـمْ يُفلِتْـهُ مِنْ قَـدَرٍ أشَـدَّ وأمْـثَلِ

أيْنَ الجُنودُ ؟! وأيْنَ أعْـوانُ الطُّغـا ة ؟ ! وأينَ طاغٍ بَيْنَهُم ومُـدَجِّلِ

هَلَكُوا جَميعاً والطغـاةُ و حَشْدُهُـم عَـبْـرَ الزَّمـان على عـذاب أثـقَـلِ

وتراهُـمُ يـومَ القـيـامَـة في جَـهَنَّـ ـمَ خَـالديـن على لَهـيـب أنْـكَـلِ

كُلٌّ سَـيـقْـدُمُ قَـومَـهُ فـيـهـا فَـيُـو ردُهُـمْ عـذابَ النَّار شَرَّ المَوْئلِ

* * * * *

(١) الرُّحَّل : الذين يتنقلون بنفاقهم من زعيم إلى زعيم ومن بلد إلى بلد .
(٢) المحل : المجرد من اللحم . أي وعود لا وفاء لها ولا عطاء .
(٣) المعضل : الذي لا شفاء له ولا حل له .

فانظرْ لنفسكَ ! لا نجاةَ لظالمٍ وانظُرْ لفعْلكَ ما جَنيْتَ وأَقْبِلِ

وانظر حَوالَيْكَ الضَّحايا : من يَتامى أو شيوخٍ عاجزين وثُكَّلِ

ومن الطُفُولة قَدْ دَفَنْتَ حَنينَها من بَيْنِ أكوامِ البناء وجندلِ

ومن الطُفُولَة قدْ طوى أشْواقَها وقَضَى علَيْها كُلُّ داء مُعْضلِ

ومنَ النساء قَد اغْتُصبْنَ وقَدْ فَرَرْنَ إلى فَضَاءٍ واسعٍ مُتَحَوِّلِ

ومنَ الرِّجال تقطَّعَت أشلاؤهَمُ ! وتَناثَرَتْ في كلِّ وادٍ مُهمَلِ

ومنَ الملايين الجياعِ نَهَبْتَها ورَمَيْتَها نَهْبَ الفَناءِ المُعْجلِ

ومنَ الفَسَاد ،منَ الفواجش، كمْ نَشَرْتَ بكلِّ أَرْضٍ قَدْ بَلَغْتَ ومَدْخَلِ

ومنَ الدِّيار غَصبْتَها وطَرَدتَ أهْليها لخَاطرٍ مُفْترٍ مُتَقَوِّلِ

المَسْجدُ الأقْصى ! وتلك جريمَةٌ مَازلتَ تُتْبعُها بظلمٍ أشْمَلِ

حَسبُ الجرائمِ ما فَعَلْتَ بأهْلها منْ كُلِّ فتك في النفوس مُزَلزلِ

في كُلِّ أَرْضٍ في البَسيطة منْكُمُ فِتَنٌ وشَرٌّ جَريمةٌ وتَغَلْغُلِ

ما بينَ دجْلَةَ والفُرات جرائمٌ ومَجازرٌ من كلِّ هَوْلٍ مُذْهلِ

وعلى رُبى " أفغانَ " أيُّ جَريمةٍ صَنَعتْ يداكَ وأيُّ كِبرٍ مُوغلِ

في كلِّ أرضٍ من يديك جريمةٌ كبرى ودعوى مُفْتَرٍ ومُضَلِّلِ

من كان ينسى " ناجَزاكي " أو هروشيما وفيها كلِّ قصفٍ أهْوَلِ

ورجالَ أفْريقيا تُساقُ حُشُودهُمْ بَيْنَ السَّلاسلِ والهَوان الأثْقَلِ

وهُنودُ أمريكا تُبادُ جُمُوعُهُمْ ما بَيْنَ تَشْريدٍ يُدارُ ومَقْتَلِ

في كُلِّ أرضٍ في البسيطة فِتْنَةٌ ودَويُّ إرهابِ الطغاةِ ومِعْوَلِ

وهَلاكُ أسْلحَةِ الدَّمار جَميعها ... تَهْوي عَلى شَعْب هُنالكَ أعْزَل
فانظُرْ لنَفْسكَ ! أيُّ مَنْجى ترْتجي؟! ... والظّلْمُ بَينَ تَصَاعُدٍ وتَزيُّلِ
هذا هُو الإسْلامُ يُفْتَحُ صَدْرَه ... للتائبين الصَّادقين المُثَّلِ
فافْزَع إلى الإسلام ! لا مَنْجى بغَيـ ... ـرِ هُداه ، والزَمْ شَرْعَه وتَقَبَّلِ
إنّي دَعَوْتُك ! هَلْ تُجيب ؟ وإنَّما ... اللهُ الذي يَهْدي العِباد ويبْتَلي

* * * * *

إنّ الظنّ لأكذب الحديث

من أشدّ الأمراض التي تفتك بالعلاقات بين الناس سوء الظنّ في غير محلّه ، ودون توافر مسوّغ شرعي أو دليل واقعي :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢) ﴾ [الحجرات: ١٢]

وفي الحديث الصحيح :

" **إياكم والظنّ فإن الظنّ أكذب الحديث ولا تحسَّسوا ولا تجسّسوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً** " [عن أبي هريرة . متفق عليه]

وكأن الميل إلى الظنّ طبيعة في النفوس تسرع إليه كلما ساءها موقف لم يتوافر لديها بيّنة جليّة عنه . وربمّا مالت بعض النفوس إلى سوء الظن مع توافر ما يمكن أن ينفي سوء الظن . ولكنها حالة نفسيّة ، أو مرض نفسي ، حذّر الإسلام منه ، وعالجه ووضع له قواعد رئيسة تحمي المسلم والمجتمع الإسلامي منه .

فترى الرجل إذا رأى أمراً رابَه ، لا يسعى إلى التبيُّن كما أمره الله سبحانه وتعالى ، ولا يبذل جهداً للتحقّق والتأكد ، ولكن يُسْرِع إلى الظنّ يوسوس له به الشيطان ، ثمّ يُنْزِل الظنَّ في نفسه منزلةَ اليقين ، وهو مازال مسترخياً لا يبذل أيّ جهد للتثبُّت ، ثمّ يتخذ قراراً ، ثمّ يتخذ موقفاً عملياً على أساس القرار الظني . فتتقطَّع بذلك حبال وروابط ، وأرحام وصلات ، ومودة وعلاقات وتضطرب المصالح ، ويتسعَ الخرق ، وتسوء كثير من النفوس ، ويمتدّ سوء الظن إلى آخرين . وقد يتبع هذا إشاعات وقيل وقال ، وقد تتطور الأمور إلى أكثر من ذلك !

ويحدُث في كثير من الأحيان أن يكتشف الرجل نفسُه الذي بدأ بالظنّ ، أنّ ظنّه كان خاطئاً لا حقّ له به ، وذلك بعد فترة طويلة يَبتَلي خلالها الله عباده

ويمحّص نفوسهم بما يقع من مشكلات وأزمات وفتن ، كان يمكن تلافيها من اللحظة الأولى ببذل الجهد الأمين للتبيُّن والتثبّت قبل اتخاذ قرار وموقف :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝٦ ﴾ [الحجرات: ٦]

وكثير من الأحيان لا يكون سوء الظن الباطل هو المرض الوحيد بين الناس . فالتحاسد والتنافس على الدنيا ، والكبر والغرور ، والتباغض والتدابر ، وغير ذلك ، كلّ ذلك قد يكون دافعاً لسوء الظنّ ماضياً معه في أجواء يضعف فيها الإيمان والتوحيد وضوابطهما .

والتربية الإسلامية منذ الصغر تعالج كثيراً من هذه الأمراض في النفوس . وإنها مسؤولية البيت والمسجد والمعهد ومراكز الأمة كلها . ومع أن بعض الظنّ فقط إثم ، وليس كله ، ولكن جاء التوجيه الرباني باجتناب كثير منه ، وليس كله . فهنالك مواقف لا بد فيها من الظن حماية للناس والأمة من شرٍّ أكبر .

ويمتد سوء الظن لدي بعض الناس إلى سوء الظن بالله ، وإلى بناء تصورات فكرية عن الكون والحياة لا تقوم إلا على الظنّ ، ثمّ يسمُّونها علماً وما هي بعلم إن هي إلا ظن :

﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۝٢٨ ﴾ [النجم: ٢٨]

إنّ بناء علاقات المودّة وصلة الأخوة تستغرق أحياناً زمناً حتى تستقرّ ثم يُحدُث أن يهدمها الظن في لحظة عاجلة . جهد سنين ينهار في لحظة اندفاعاً وراء وهم وظنّ !

ونستعرض هذه القضيَّة في القصيدة التالية :

صِدْقُ الوَفَاءِ

ما كان لله من وُدٍّ ومن صِلة

مـا كــان لـله مـنْ وُدٍّ ومـنْ صِلَـةٍ	يَظلُّ في زَحْـمَـةِ الأَيَّـامِ مَـوْصُـولا
يظلُّ ريَّانَ مِنْ صـدق الـوفـاء بـه	يُغْني الحـيـاةَ هُدىً قـد كـان مـأمـولا
كـأنّـه الزّهَـرُ الفـوّاحُ روضـتُـه	هذي الحَـيـاةُ يَمُـدُّ العُـمْـرَ تجـمـيـلا
ما أَجْملَ العُمرَ في بِرّ الوفاءِ وما	أَحْلـى أَمـانيـه تقـديـراً وتفـعـيـلا

* * * * *

ومـا يكـون لغَيْـر الله لا عَجَـبٌ	إذا تَـغَـيَّـرَ تقطيـعـاً وتبْـديـلا
لا يُفْسد الودَّ مِثْلُ الظنِّ يَفْتَحُ منْ	شَـرٍّ ولا يرْتضي للخَـيْـر تَعْليـلا
يَظَلُّ يُغلقُ أبوابَ الرضـا غـضـباً	جَـهْـلاً وينشُـر إفـسـاداً وتَضْليـلا
تُبْنَى المودَّةُ منْ جُـهْـد السِّنينَ رضـاً	ويَهْـدمُ الظـنُّ مـا نَبْنيه تَعْـجيـلا
وتُشْرِقُ النَّفسُ من نُور الهُدى أَملاً	حـقّـاً ويملؤُها ظـنُّ الـهـوى قَـيـلا
يَظلُّ بالظنِّ صَـدْرُ المرء مُـضطربـاً	بالقيل والقـال تَحْويراً و تأويـلا

* * * * *

يَجْلو التَّبَيُّنُ ما في الصَّدر من ريَبٍ	ويحـفـظُ الـودَّ مَـجْلوّاً ومـأمـولا
يَبْني التُّقى النُّصحَ بين الناس نَهْجَ وَفَا	ويَحْسب الظنُّ نهجَ النصح تجهيلا
يظَلُّ بالنُّصْح حَبْلُ الـوُدِّ مُـتَّصِـلاً	بـراً وصَـفْـواً وإحـسـانـاً وتنْويـلا
كمْ مزّق الظنُّ مَنْ قَدْ كانَ يجمعهم	صـدقُ الهُدى ووفـاءً كـان مـبـذولاً
حَالتْ بِهِمْ صُورُ الأيّام واخْتلفَتْ	بِهِـمْ لِيـالٍ وعـاد الحـبْلُ مَـبْتُـولا

وكــيــف يَصْـدقُ ظَنٌ دُونَ بيِّنَـة ... تردُّ من شُبْـهـة ،تَنْفي الأقَـاويـلا
هـذا هـو الـدِّيـن والإيمـانُ بَيِّنَـهُ ... لنـا الكتـابُ بيـاناً ليس مـجـهـولاً
فـأيْنَ ، ويْحيَ ، أنْداءُ الظِّلال وقَـدْ ... سَرَى النَّسـيمُ بهـا بُشـرى وتهْليـلا

* * * * *

تُلقي النَّميمـةُ أَلْـوانَ الفسـاد وقـد ... تُخْفي الحقيقةَ تزويراً وتهـويلاً
تُزيِّنَ الشـرَّ بين الناسِ ! تَقْطَعُ مـن ... وشـائجٍ ! تَقْتُـل الإنسانَ تقـتيلاً
مـا بين غيْبـة مُـغْتـاب وفـريَته ... تفـرّقَ الناسُ تشـتيـتاً وتضليـلا
تمزَّقت رَحِمٌ مَـوْصُـولَـةٌ بِهِـمِ ... فَبَـاتَ لحْمُهُمُ مَيْتاً ومأكـولا

* * * * *

نُعْمى مِن الله !حُسْنُ الظنّ باب تُقىً ... يُدني الحقيـقةَ أو يَنْفي الأباطيـلا
وإنّه الصِّـدقُ يَجْلـو كُلَّ خَـافيـة ... ويُنْزلُ الحقَّ في الأَحْنـاء تَنْزيـلا
صدقٌ ونُصْحٌ وصَفْوٌ في النفوس بَدَاً ... عَـزْمـاً يَظَـلُّ مَعَ الإيمان مَبْـذولا
لا يَرْبطُ النَّاسَ في الإسلام غَيْر عُرى ... عَـهْـد توثَّـقَ تكريمـاً وتفـضيـلا
عَـهْدٍ مع الله شَدَّتهُ النّفـوسُ تُقىً ... جيـلاً يَمُدُّ على حَبْل الوفـا جيـلا

* * * * *

مَـنْ نَحْـنُ ؟!

نحْنُ الدعـاةُ إلى لـقـاء الـمُـؤْ ... منين ! وفـاؤنا عَـهْـدٌ بذلك قـائمُ
مَنْ نحنُ ؟! نحن المسلمون المؤمنو ... نَ إذا تسـاءلَ جـاهـلٌ أو ظـالـمُ
نَحْـنُ الذين نُريـدُ شَـرْعَ الله أَعْـ ... ـلى في الحيـاة ! ودينُه هو حَـاكـمُ
نَمْضي على هذا الصِّرَاطِ المُسْتَقيـ ... ـم يَقُـودُنَا نُورٌ سَـرَى وعَـزائـمُ
نَدْعُـو الخَـلائـقَ كُلَّهـا لرسـالـة ... حَـقٍّ وَهَـدْيِ للـنُّفـوسِ يُـلازِمُ
وبهـا نَنَالُ العـزَّ في الدنيـا هُـدىً ... وتُـشَـدُّ فـينا عَـزمَـةٌ ودعَـائـمُ
ونَنَـالُ في الأُخْرى النَّجاةَ ورَحْـمَـةً ... ورُؤى الجِنـان بهـا نعـيـمٌ دائـمُ

* * * * *

نَـحْـنُ الدُّعـاةُ إلى لـقـاء الـمُـؤْ ... منيـنَ ! وَفَـاؤُنَـا عَـهـدٌ بَذلك قَـائمُ
نَهجٌ أَبَـرُّ ولُـحْـمَـةٌ مَـوْصُـولَـةٌ ... وبِنَـاءُ أَجْـيَـال عَـلَيْـه تَـزَاحَـمُ
كُـلٌّ عَـلى آمـالـه مُـتَـواثـبٌ ... للـه يَـدْفَـعُـهُ تُـقىً وَعَـزائـمُ
والله يَـعلَـمُ مـا تُكِـنُّ صُـدورُنا ... كُـلٌّ عـلـى نيّـاتِـه هُـو قَـادِمُ

* * * * *

مَنْ نَحْنُ ؟! مَدْرَسَةٌ يقومُ بِها الدُّعَا ... ةُ فَـرَاكِـضٌ أَوْ سَـابِقٌ أو عَـازِمُ
سَـعْـيـاً إلـى دَار الجِنَان ! وَرَحْـمَـةٌ ... تَغْشَى ! وفَـوزٌ عِنْدَها ومَـغَـانِـمُ
نهجٌ أَبَرُّ على الصِّراط المُسْتَقيـ ... ـم مُـبَـيَّـنٌ ! وأُخُـوَّةٌ وتَـراحُـمُ
وَرِسَـالَةٌ لله نَحْـمِـلُهـا إلـى الـدُّ ... دنْـيـا نُجـاهـدُ دُونَهـا ونُسَـالِـمُ
نهجٌ ومَـدْرَسَـةٌ ! وأَهْـدافٌ عَـلى ... هـذا الـصِّراطِ المُسْتقيم مَعَـالِمُ

هَدَفٌ لنا أَسْمى يَشُقُّ سَبيلَنا ... سَعْياً إليه من النُّفوس عَظائمُ
بَذْلٌ لِمَنْ يَبْغي الجِنانَ ووَثْبَةٌ ... لله صادقةُ الهوى ومَلاحِمُ

* * * * *

نَهْجٌ يقوم على الكتابِ وسُنّةٍ ... غَرّاءَ يَجْلُوها رَسُولٌ خاتَمُ
نَهْجٌ يُجَمِّعُ كُلَّ قَلْبٍ صادقٍ ... لله يَدْفَعُهُ يَقِينٌ حازِمُ
صَفٌّ كَبُنْيانٍ يُشَدُّ بِنَاؤُهُ ... وَتُرَصُّ أَرْكانٌ لَهُ ودَعائِمُ
هَذا سَبيلُ النَّصْرِ ! نَصْرٌ صَادقٌ ... وَعْدٌ لِمَنْ أَوْفى الأمانةَ دائمُ
وَعْدٌ مِنَ الرَّحْمنِ حَقٌّ بالغٌ ... وَسِواهُ وَهْمٌ خَادِعٌ ومَزاعِمُ
وَعْدٌ لأُمّةِ أَحْمَدٍ إنْ أَقْبَلَتْ ... صَفّاً يُرَصُّ وأُمَّةً تَتَراحَمُ

* * * * *

المسلمونَ تَفَرَّقوا شِيَعاً وأَحْـ ... ـزَاباً وكُلٌّ في هَواهُ هائمُ
فَتَفَتَّحَتْ للمشْرِكين مَنافِذٌ ... يتسلّلون ! فمجرمٌ أو ظالمُ
وَتَسَلَّلَتْ بين التُّخُومِ ثَعالِبٌ ... وكواسِرٌ هاجَتْ هُنا وأَراقمُ
فِتَنٌ تُدَار مع الفَواجِعِ والنَّوا ... زل والمجازر ! والأسى يَتَفاقمُ
فإذا الهوانُ هوى بنا والقهْرُ والأ ... خْطارُ والإذْلالُ لَيْلٌ فاحِمُ
غَضَبٌ من الجبَّار حلَّ بساحنا ... فإذا عذابُ الله فينا داهمُ
هذا بما كسبته أيدينا وما ... تُخْفيه أنْفُسُنا وما هو راغمُ
والنَّاسُ وَيْحَهُمُ ! فهذا تائهٌ ... لا يَسْتجيبُ وذاك عَبْدٌ نائمُ

* * * * *

مَـنْ للمـؤمنين إذا تَفـرَّقَ جـمـعـهم ... وَطَـغَتْ علـيـهم فـتْـنة وسَخـائمُ
لا مَـلْجـأٌ أَبَـداً ولا منـجـى لـنا ... مـا دام يُـشْـغلنا هوىً وتـخـاصُـمُ
مـا دامَت الـدُّنْيـا هَـوانا والهَـوى ... طَـاغٍ وأَحْـلام النُّفـوسِ غَـواشِمُ

* * * * *

هَـذا سـبـيـل الله نـورٌ مُـشْـرِقٌ ... وصـراطُـه لـلـه دَرْبٌ قَـائـمُ
وعلـيـه صفٌّ المؤمنين ! لقـاؤهـمُ ... دَرْبُ النَّـجـاة ! سـواهُ دربٌ قَـاتمُ
هذا لقـاء المؤمنين ! فَـمَنْ يَـهُـبُّ ... إلى اللقـاءِ ؟!ومَنْ تَراهُ يُسَـاهِمُ

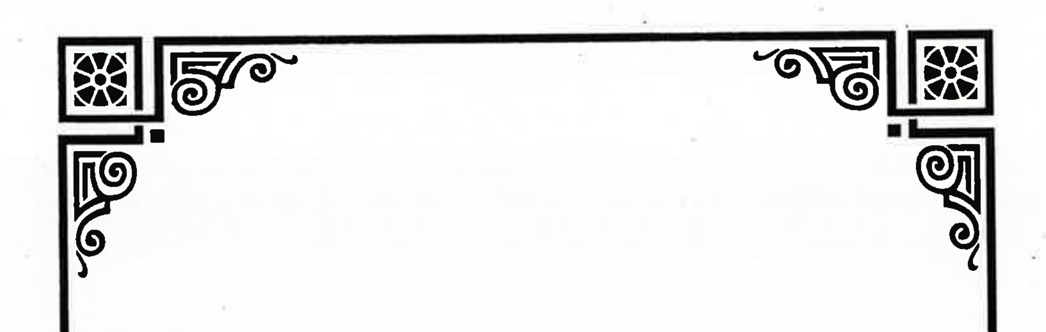
* * * * *

الـريـاض
٢٠/ ٥/ ١٤٢٨هـ
٦/ ٦/ ٢٠٠٧م



فهرس الموضوعات

فهرس كتاب
مصارحة ونصيحة
مراجعات دعوية ووقفات إيمانية



إصـدارات دار النحـوي
للنشـــر والتـــوزيع






إصدارات دار النحوي للنشر والتوزيع

* مـؤلفـات الدكـتـور عـدنان علي رضـا النحـوي

الرقم	اسـم الكتـاب	الطبعـة
	أولاً : كتب توجز النهج العام والنظرية العامة للدعوة الإسلامية :	
١	موجز النهج العام للدعوة الإسلامية وأساس لقاء المؤمنين	ط ١
٢	موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام وأساس لقاء المؤمنين	ط ٢
٣	أضواء على طريق النجاة	ط ١
٤	النهج والممارسة الإيمانيّة في الدعوة الإسلامية	ط ٤
٥	كيف تلتقي الجماعات الإسلامية	ط ١
٦	الموجز الميسّر لنهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن ومناهجها	ط٢
	ثانياً : كتب تفصل النهج العام والنظرية العامة في الدعوة الإسلامية :	
٧	دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية	ط ٦
٨	منهج المؤمن بين العلم والتطبيق	ط ٥
٩	النظرية العامة للدعوة الإسلامية - نهج الدعوة وخطة التربية والبناء	ط ٣
١٠	منهج لقاء المؤمنين	ط ٢
١١	لقاء المؤمنين - أسسه وقواعده - الجزء الأول	ط ٥
١٢	لقاء المؤمنين - الأهداف - الجزء الثاني	ط ٤
١٣	العهد والبيعة وواقعنا المعاصر	ط٣
١٤	قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال - الجزء الأول	ط ٢
١٥	قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال - الجزء الثاني	ط ١
١٦	الفقه امتداده وشموله في الإسلام بين المنهاج الرباني والواقع	ط١
١٧	الإسلام أركان وبناء - تذكير ونصح	ط١
١٨	فقه الإدارة الإيمانية في الدعوة الإسلامية	ط ١
١٩	المسؤولية الفردية في الإسلام : أسسها وتكاليفها وتميزها	ط ١
٢٠	التربية في الإسلام - النظريّة والمنهج .	ط١
٢١	النهج الإيماني للتفكير	ط١
٢٢	عهد الله والعهد مع الله بين التفلت والالتزام	ط١

الرقم	اســـم الكتـــاب	الطبعـة
٢٣	حتى نتدبّر منهاج الله	ط١
٢٤	حتى نغيّر ما بأنفسنا	ط١
٢٥	لؤلؤة الإيمان فريضة طلب العلم ومسئولية المسلم الذاتية (المنهاج الفردي)	ط١
٢٦	النهج في موضوعاته ومصطلحاته	ط١
٢٧	الموازنة وممارستها الإيمانية	ط١
٢٨	الاختلاف بين الوفاق والشقاق	ط١
٢٩	مواجهة المشكلات والأخطاء والتقصير وعلاجها	ط١
٣٠	مصارحة ونصيحة مراجعات دعوية ووقفات إيمانية	ط١
ثالثاً : كتب تعرض أهم قضايا التوحيد في واقعنا المعاصر والنهج للدعوة والبلاغ والبيان :		
٣١	التوحيد وواقعنا المعاصر	ط ٣
٣٢	الحقيقة الكبرى في الكون والحياة	ط ١
٣٣	النية في الإسلام وبعدها الإنساني	ط ١
٣٤	النية إشراقَة في النفس وجمال	ط ١
٣٥	الولاء بين منهاج الله والواقع	ط ٤
٣٦	الحوافز الإيمانيّة بين المبادرة والالتزام	ط ٤
٣٧	الخشـــــــوع	ط ٢
٣٨	النبي العظيم والرحمة المهداة محمد ﷺ	ط ١
رابعاً : كتب تدرس بعض القضايا الفكرية في الواقع الإسلامي وأهم أحداثه وتعتبر الملاحم جزءاً من دراسة الواقع :		
٣٩	الشورى وممارستها الإيمانية	ط٤
٤٠	الشورى لا الديمقراطية	ط ٥
٤١	الصحوة الإسلامية إلى أين ؟	ط ٣
٤٢	التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الانتماء الصادق إلى الإسلام	ط ١
٤٣	واقع المسلمين أمراض وعلاج	ط ١
٤٤	بناء الأمة المسلمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية	ط ١
٤٥	المسلمون بين العَلمانية وحقوق الإنسان الوضعيَة	ط ١
٤٦	المرأة بين نهجين الإسلام أو العلمانية	ط١

الرقم	اســـم الكتـــاب	الطبعـة
٤٧	على أبواب القدس	ط٣
٤٨	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع	ط ٤
٤٩	فلسطين واللعبة الماكرة	ط١
٥٠	عبدالله عزام أحداث ومواقف	ط ٣
٥١	حوار الأديان – دعوة أم تقارب أم تنازل	ط ١
٥٢	الانحراف	ط ١
٥٣	كيف ضيِّعت الأمانة التي خلقنا للوفاء بها ؟!	ط ١
٥٤	حرّية الرأي في الميدان	ط ١
٥٥	هذا هو الصراط المستقيم فاتَّبعوه !	ط ١
٥٦	المسلمون بين الواقع والأمل	ط ١
٥٧	تمزق العمل الإسلامي بين ضجيج الشعارات واضطراب الخطوات	ط١
٥٨	الربِــَا وخطره في حياة الإنسان	ط ١
٥٩	الدعوة الإسلامية بين الأحزاب والجماعات	ط ١
٦٠	هوان المسلمين أمام الواقع وتعدد المواقف والاتجاهات والاجتهادات	ط١
٦١	العولمة والإسلام	ط١
٦٢	الشريعة والحياة المعاصرة	ط١
٦٣	فقه الاستشهاد في سبيل الله	ط١
٦٤	المرأة والأسرة المسلمة والتحدِّيَات في واقعنا المعاصر	ط١
٦٥	الإسلام والحرّية وحريّة المعتقد	ط١
خامساً : كتب تدرس الأدب الملتزم بالإسلام والنقد (النصح) الأدبي ، وترد على المذاهب الأخرى :		
٦٦	الأدب الإسلامي – إنسانيته وعالميته	ط ٤
٦٧	الأدب الإسلامي في موضوعاته ومصطلحاته	ط ١
٦٨	النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء	ط١
٦٩	أدب الوصايا والمواعظ في الإسلام منزلته ونهجه وخصائصه الإيمانية والفنية	ط١
٧٠	أدب الأطفال الإسلامي وأثره في تربيتهم العقدية الصحيحة	ط١
٧١	التجديد في الشعر بين الإبداع والتقليد والانحراف	ط١
٧٢	لماذا اللغة العربية ؟	ط١
٧٣	الحداثة في منظور إيماني	ط٥

الرقم	اســــم الكتــــــاب	الطبعـة
٧٤	تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها	ط٣
٧٥	الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام	ط ١
٧٦	الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية	ط١
٧٧	الشعر المتفلّت بين النثر والتفعيلة وخطره	ط١
٧٨	تجربتي الشعرية وامتدادها	ط١
٧٩	قراءة في قصيدة مهرجان القصيد أو الأدب الإسلامي	ط١
٨٠	الملحمة بين التصوّر الإيماني والتصور الوثني	ط١
٨١	اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء	ط١
٨٢	أهم الأخطاء الشائعة اليوم فى اللغة العربية	ط١
سادساً : الدواوين الشعرية :		
٨٣	ديـوان الأرض المباركـة	ط٦
٨٤	ديوان موكب النور	ط٤
٨٥	ديوان جراح على الدرب	ط ٣
٨٦	ديوان مهرجان القصيد	ط٢
٨٧	ديوان عبر وعبرات	ط١
٨٨	ديوان حرقة ألم وإشراقة أمل	ط١
٨٩	درة الأقصى	ط١
٩٠	أكثروا ذكر هاذم اللذات - أب يرثي ابنه	ط١
٩١	أيـن الجـنـى ؟!	ط١
سابعاً : الملاحم الشعرية وتعتبر جزءاً من دراسة الواقع وأحداثه :		
٩٢	ملحمة فلسطين	ط ٥
٩٣	ملحمة الأقصى	ط ٢
٩٤	ملحمة الجهاد الأفغاني	ط ٣
٩٥	ملحمة البوسنة والهرسك	ط ٢
٩٦	ملحمة الإسلام في الهند	ط ٢
٩٧	ملحمة القَسطنطينية	ط ٢
٩٨	ملحمة الغرباء	ط٣
٩٩	ملحمة أرض الرسالات	ط ١

الرقم	اســـم الكتـــاب	الطبعـة
١٠٠	ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين	ط ١
١٠١	لهفي على بغداد	ط ١
١٠٢	ملحمة بين سجن «أبو غريب» ورفح	ط١
١٠٣	ملحمة أفغانستان	ط١
١٠٤	ملحمة الطوفان "تسونامي"	ط١
١٠٥	ملحمة التاريخ ! قيام الدولة الإسلامية وسقوطها	ط١
ثامناً : كتب في الدعوة الإسلامية باللغة الإنجليزية :		
١٠٦	خطة الداعية (The Caller's Plan)	ط٢
تاسعاً : كتب في علوم أخري :		
١٠٧	دراسة الموجات الالكترومغناطيسية المتوسطة «بالإنجليزية»	ط١
عاشراً : كتب ترجمت إلى لغات أخرى :		
١٠٨	لقاء المؤمنين – الجزء الأول «ترجم إلى اللغة التركية»	ط ١
١٠٩	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع «ترجم إلى اللغة التركية»	ط ١
١١٠	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع « ترجم إلى اللغة الإنجليزية»	ط ١
١١١	لماذا اللغة العربية « ترجم إلى اللغة الأوردية»	ط ١
أحد عشر : الصوتيات والمرئيات :		
١	أضواء على طريق النجاة	فيديو وكاسيت
٢	لمحة عن واقع المسلمين أمراض وعلاج	فيديو وكاسيت
٣	الإسلام أركان وبناء – تذكير ونصح	فيديو وكاسيت
٤	الأسلوب والأسلوبيّة	فيديو وكاسيت
٥	درة الأقصى	فيديو وكاسيت
٦	النيَّة إشراقة في النفس وجمال ويَقَظةٌ في القلب ووعي	كاسيت
٧	حديث النفس بين الدنيا والآخرة	كاسيت
٨	التعامل مع مجتمع غير مسلم	فيديو وكاسيت
٩	وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه	فيديو وكاسيت
١٠	قضايا في الأدب الملتزم بالإسلام	فيديو وكاسيت
١١	المسلمون في الغرب بين الإسلام والعلمانية	فيديو وكاسيت
١٢	محاضرة الوصايا والمواعظ	فيديو وكاسيت

الرقم	اسـم الكتـاب	الطبعـة
١٣	ندوة شعرية - عمان	فيديو وكاسيت
١٤	ندوة شعرية عن فلسطين	فيديو وكاسيت
١٥	ندوة شعرية - جامعة قطر	فيديو وكاسيت
١٦	ندوة شعرية - مؤسسة (مركز) الملك فيصل	فيديو وكاسيت
١٧	محاضرة: «وحملها الإنسان»	كاسيت

* كتب لمؤلفين آخرين:

الرقم	اسـم الكتـاب		الطبعـة
١	من ذخائر التراث الإسلامي	الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي	ط ١
٢	ملحمة بنت حواء المغربية	الدكتور عبدالرحمن عبدالوافي	ط ١
٣	معجم مصطلحات الأدب الإسلامي	الدكتور محمد بن عبدالعظيم بنعزوز	ط ١
٤	الإبدال والإعلال دراسة نظرية تطبيقية في قصيدة البردة	الدكتورة منيرة محمود الحمد	ط ١
٥	النفخ في الطين قفو الأثر في أسماء السور	الدكتور حسن الأمراني	ط ١
٦	قصيدة الإسراء	الدكتور حسن الأمراني	ط ٣
٧	ديوان أين الطريق	مصطفى حسن حمد الله النبالي	ط١
٨	قالت لي أمي - قصة	أفنان سمير الحلو	ط١
٩	كمين في منتصف الليل	منى محمد العمد	ط١
١٠	الحقوق والحريات العامة في الدولة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة	محمد البشير أحمد موسى	ط١

* كتب للنشر والتوزيع:

الرقم	اسـم الكتـاب		الطبعـة
١	مواقف من التاريخ العربي	سليمان مصلح أبو عزب	ط ١
٢	موسوعة العالم في صفحات	سليمان مصلح أبو عزب	ط ١
٣	موسوعة الـ ١٠٠٠ سؤال في العلم والمعرفة	سليمان مصلح أبو عزب	ط ٤
٤	قطر والعالم الإسلامي - حقائق ومعلومات بيئية	سليمان مصلح أبو عزب وآخرون	ط ١
٥	بيضة الديك	يوسف الصيداوي	ط ١



دار النحوي للنشر والتوزيع

هاتف : ٤٩٢٤٣٣٩ – فاكس : ٤٩٣٤٨٤٢

موقع الانترنت : www.alnahwi.com

البريد الإلكتروني : info@alnahwi.com

ص . ب : ١٨٩١ الرياض : ١١٤٤١

المملكة العربية السعودية

الجمع التصويري – جمع الكمبيوتر – والتصميم والإخراج الفني بالتعاون مع :

وكالة وادي العمران للدعاية والاعلان – الرياض – هاتف ٤٧٣٣٠٥٠ ـ فاكس : ٤٧٣٣٠٦٠ – جوال : ٠٥٠٣٢٠٧٣٥٠

مع هذا الكتاب
مصارحة ونصيحة
مراجعات دعوية ووقفات إيمانية

على الرغم من كثرة الحركات الإسلامية في الأرض، وكثرة الدعاة، وامتداد الساحات والزمن، نلاحظ بسهولة ويُسر أن ذلك كله لم يَبنِ صفّاً واحداً كما يريده الله ورسوله، ولم يُبْنَ جيلٌ مؤمن واحدٌ ليمثّل منهاج الله فكراً ونهجاً وممارسة إيمانيّة، ولم تُبْنَ أمة الإسلام الواحدة التي يكون رباطها أُخوّة الايمان، وممارسة المؤمنين في الأرض أمّةً واحدة، كما يأمر الله سبحانه وتعالى، وكما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولا تكاد تشعر اليوم بأن المسلم يحمل رسالة ربّانيّة أمر الله بحملهالتكون هي حقيقة مهمته ووجوده في الحياة الدنيا. وهي المهمّة التي خلقه الله للوفاء بها في الدنيا، إنها هي حقيقة الأمانة التي حملها الإنسان، والعبادة التي خُلِقَ لها، والخلافة التي جُعِلَتْ له، والعمارة التي أُمر بها، والتي سيُحاسب عليها يوم القيامة، وتجتمع هذه المهمة كلها عبادةٍ وأمانةٍ وخلافةٍ وعمارةٍ في وجوب تبليغ رسالة الله ودينه الإسلام كما أُنزل على محمدصلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة وتعهدهم عليها حتى تكون كلمة الله هي العُليا .

ويجب أن نتذكر دائماً أننا حين ندعو الناس إلى الإسلام إلى الايمان والتوحيد، واجبنا ان نُقدِّم لهم أولاً كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما جاءا في اللغة العربية وأن نوضحَ لهم أن واجبهم التزام دراسة منهاج الله ـ قرآناً وسنّة ولغة عربية ـ صحبة عمر وحياة صحبةٍ منهجيةٍ، وأن مسؤولية الدعوة الإسلامية أن تعينهم على بلوغ ذلك والتدريب عليه وتحقيقه.

ويجب أن نُقدِّم للعالم كلّه ديناً واحداً، دين الإسلام الحق، كما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. يجب أن نقدّمه بجراة ووضوح، على أن يكون الداعية قدوة في الإلتزام بمنهاج الله دراسة وتدبّراً وحفظاً وممارسة، يحمل معه النهج والخطة.

وفي مسيرة الحياة قد تكون هناك أخطاء، فكلُّ بني آدم خطاء، ولكن يجب أن تكون هناك مراجعة مستمرّة ومحاسبة للنفس منهجية دائمة، حتى يُبْذَلَ الجُهد على نور من الله!

وعلى ضوء ذلك، فإن الله واحد، وإن الدين واحد، ولذلك يجب أن تكون الدعوة الإسلامية دعوة واحدة في الأرض كلها، حتى يكون مايُبَلِّغُه الإنسان في الشرق هو نفسه ما يُبَلِّغُه الإنسان في الغرب، ليوفي الدعاة بالأمانة ويصدق الله بالأداء.